

البَابُ الثَّالِثُ
منظور نفسي اجتماعي

يمثل الباب الحالى آخر أبواب هذا الكتاب ، ويتناول ذلك الدور الذى يضطلع به الأب فى حياة الطفل من منظور نفسى اجتماعى وذلك على امتداد أربعة فصول أيضًا من الفصل التاسع وحتى الفصل الثانى عشر . ويعرض الفصل التاسع لدور الأب كما يتضح من خلال السياق الأسرى ، ويستعرض أنماط التكيف من جانب الآباء للدور الوالدى ، وكيف تتأثر بتلك الظروف المصاحبة لولادة الطفل ، والتنظيم الأسرى للأدوار، ومدى توحيد الأب مع الدور الجنسى الملائم أى الذى يتفق مع جنسه البيولوجى . كما أنه يتناول أيضًا العلاقة المتبادلة التى تنشأ بين الأنساق الأسرية الفرعية التى يكونها أولئك الأعضاء الذين تتألف منهم الأسرة والذين يشكلون فى مجملهم الشبكة الاجتماعية داخل الأسرة بما تتضمنه من علاقات التأثير والتأثر موضعًا تلك الكيفية التى يتم بها مثل هذا التأثير من جانب بعض الأعضاء وذلك التأثير من جانب بعضهم الآخر ، وعلى وجه الخصوص كيف تؤثر التفاعلات الاجتماعية المختلفة التى تنشأ بين شخصين على شخص ثالث ، وتتأثر بها . ويعرض الفصل العاشر للأب كعضو فى شبكة العلاقة الاجتماعية للطفل ، ومدى تعقدها، وهى تلك الشبكة التى تمثل كل الحالات المحتملة لتبادل التأثير والتأثر بين أعضاء الأسرة التى تزداد تعقيدًا مع زيادة عدد أعضائها . ومن هنا يعرض الفصل لنموذج الشبكة الاجتماعية ، وعلاقات التفاعل الاجتماعى التى تتضمنها ، والافتراضات التى تقوم عليها ، ثم يتتقى بعد ذلك من هذه الافتراضات تلك التى تتعلق بالأب كعضو فى الشبكة الاجتماعية للطفل ، ويتناولها بالتفصيل مع توضيح لما يمكن أن تخلفه من آثار على الطفل فضلاً عن تلك الآثار المباشرة فى هذا الصدد ، والآثار غير المباشرة للأب على الطفل ، وأنماط التفاعل بين الأب والطفل . أما الفصل الحادى عشر فيتناول دور الأب فى حياة الطفل خلال مرحلة المهد من خلال استعراض محددات انغماسه فى العناية بالرضيع ، وأنماط التفاعل بينهما ، وأنماط لعبه مع الرضيع قياسًا بأنماط لعب الأم معه ، ويوضح تلك التفاعلات التى تحدث بينهما فى المواقف الثنائية وذلك عندما يكون الأب بمفرده مع الرضيع ، وفى المواقف الثلاثية وذلك عندما تتواجد الأم أثناء التفاعل . ثم يعرض بعد ذلك للفروق بين الأب والأم فى القيام بأنشطة العناية بالأطفال ، وكيف يؤثر الأب على تفاعل الأم مع الرضيع ، وأهم الفروق التى تميز لعب كل من الأب والأم مع الأطفال ، وتغير الفروق التقليدية بين الوالدين فى العناية بالرضع واللعب معهم .

ويختتم هذا الفصل باستعراض بعض نظم التأييد والمساندة الثقافية للآباء كما ظهرت في المجتمعات الغربية والولايات المتحدة الأمريكية . ويعرض الفصل الثانى عشر والذى يمثل آخر فصول هذا الكتاب لتطور العلاقة بين الأب والرضيع ، ويتناول حساسية الأب تجاه الرضيع واستجاباته له ، ومدى التفاعل بينهما ، وأهم السمات التى تميز مثل هذا التفاعل قياساً بتلك السمات التى تميز تفاعل الأم مع الرضيع . ثم يعرض بعد ذلك لتطور التعلق attachment والارتباط الذى ينشأ بين الأب والرضيع فضلاً عن تلك الآثار المباشرة وغير المباشرة للأب على النمو الاجتماعى للرضيع ، ونمو شخصيته .

وبذلك يعرض هذا الكتاب بصورة متكاملة من ذلك الدور الذى يمكن أن يلعبه الأب فى حياة أبنائه من مختلف الجوانب والزوايا والرؤى بما يفتح المجال أمام الباحثين لسبر غور شخصية الطفل بجوانبها المختلفة ، والقيام بتمحيص دور الأب وباقى أعضاء الأسرة فى حياة الطفل استرشاداً بما يضمنه الكتاب من كم كبير من الدراسات خاصة الحديثة منها فضلاً عما يقدمه من أطر نظرية حديثة حول تلك الجوانب التى تمت دراستها بالفعل . وبالتالي يصبح هذا الكتاب لا غنى عنه للباحث ، والدارس ، والمربى ، والأب ، والأم ، بل وعامة الناس سواء كانوا متخصصين فى ذلك أم لم يكونوا متخصصين .

* * *

الفصل التاسع
دور الأب في السياق الأسري

فرانك بيدرسين
Frank A. Pedersen

استخدمت الدراسات المبكرة التى تناولت آثار الأب على نمو الطفل نموذجًا معيوبًا فى الأساس تم من خلاله مقارنة الأطفال الذين كانوا عادة إما فى سن المدرسة الابتدائية أو أكبر والذين تمت تربيتهم فى أسر يغيب عنها الأب مع أقران لهم تربوا فى أسر لا يغيب عنها الأب . وعندما كانت تظهر فروق ثابتة بين مجموعات المقارنة التى تتسم بالتجانس كانت ترجع أسباب تلك الفروق فى الأساس إلى التخمين والاستنتاج والتصور النظرى . ولم يعط هذا النموذج سوى قدرًا ضئيلاً من المعلومات حول الكيفية التى يؤدى بها الأب دوره فى الأسرة ، فلم نلاحظ فيه على سبيل المثال سوى القليل عن الملامح المميزة لتفاعل الأب مع الطفل تمامًا كما قامت الدراسة التى تناولت الأطفال الذين تربوا فى مؤسسات اجتماعية كالملاجئ بإعطاء قدر ضئيل من المعلومات بشكل مباشر عن العلاقة بين الأم والطفل .

هذا وقد تم توجيه الأبحاث فى الآونة الأخيرة إلى سلوك الآباء الذى تتم ملاحظته إما فى بيئة المنزل الطبيعية أو فى المواقف العملية . وتمت مقارنة سلوك الأب بالإضافة إلى سلوك الطفل الموجه نحو الأب مع تلك البيانات التى تم جمعها من الملاحظات المشابهة التى أجريت على الأمهات والتى أجريت فى بعض الأحيان على راشدين غير مألوفين للطفل . وتمت من ناحية أخرى ملاحظة الفروق الكمية والكيفية بين سلوك الأب وسلوك الأم ودراستها ، ويتضمن ذلك بطبيعة الحال الفروق فى تفضيلاتهما لأساليب معينة تتعلق بسلوك اللعب ، والتفاعلات التى تتضمن نماذج لمثيرات لفظية وأخرى جسمية ، والدور الذى يؤديه كل منهما فى مثل هذه الأنشطة كالعناية بالأطفال على سبيل المثال والعاطفة المميزة التى تحدث خلال ذلك التفاعل . ونظرًا لأن مثل هذه الأبحاث كانت تركز فى الأساس على مقارنة النمط الذى يمثلها الوالد من أحد الجنسين فى سبيل ذلك مع النمط الذى يمثلها الوالد الآخر فإنه يمكن أن نطلق على الدراسات من هذا النوع اسم الدراسات الوصفية الشاملة . global descriptive .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الدراسات التى تسمى بالدراسات الوصفية الشاملة قد تم إجراؤها فى الأخرى فى إطار ذلك النموذج المعيوب فإنها مع هذا تتميز بأن ما تتناوله

من عمليات نفسية للتفاعل والتي تتمثل في شبكة الأنماط السلوكية التي يقوم بمقتضاها كل من الأب والطفل بمشاركة الآخر يتم فحصها وتقييمها بدقة . وعن طريق مقارنة سلوك الأب بسلوك الأم يصبح من الممكن تقييم تلك الخبرات المتميزة التي يقدمها الأب لطفله في مراحل نموه ، بالإضافة إلى التحقق من ذلك الرأى القائل بأن هناك مجالات معينة يتشابه فيها سلوك الأب مع سلوك الأم بدرجة كبيرة . وإلى جانب هذا فإنه لا يمكننا تفسير الآثار التي يخلفها غياب الأب على الطفل والتي تثيرها التصورات النظرية والاستنتاجات إلا من خلال البيانات السلوكية التي يتم جمعها .

وعلى الرغم من أن النموذج الوصفى الشامل global descriptive paradigm يمثل مرحلة طبيعية مبكرة في البحث العلمى فإن هناك حاجة ماسة لتناول أسئلة أكثر تعقيداً من خلال الدراسات التي يتم إجراؤها . وتتمثل الحاجة إلى إجراء البحوث الوصفية التفاضلية أو التمييزية differential descriptive في التغلب على وجهين أساسيين من أوجه القصور التي تتضح في الدراسات الوصفية الشاملة هما :

١ - ميل البحث الوصفى الشامل إلى تعميم أو إخفاء الثبات داخل فئة التصنيف حيث تعمل مقارنة الآباء بالأمهات على جذب الانتباه بعيداً عن ذلك المدى الكلى لإمكانيات التكيف التي توجد داخل الأسر في الوقت الراهن .

٢ - ميل البحث الوصفى الشامل إلى تجاهل التفاعل بين العديد من الأنساق الأسرية الفرعية المختلفة حيث نجد على سبيل المثال أن سلوك الأب الموجه نحو الطفل أى دور الأب قد يتأثر بالأدوار الأخرى التي يؤديها مثل دوره كزوج أو دوره كقائم على كسب العيش . كما أن هذه الأنماط السلوكية المرتبطة بالدور لا تحدث في فراغ نفسى ولكنها تتأثر بتلك التفضيلات التي يبيدها شريكه المتمثل في الزوجة والأم ، وتوقعات ذلك الشريك وسلوكه الذى يدل على إقراره لتلك الأنماط السلوكية . وبنفس الطريقة نجد أن علاقة الأم بالطفل قد تتأثر هى الأخرى بسلوك وقيم واتجاهات زوجها ووالد طفلها . وهذا يعنى أن هناك مسارات أخرى مختلفة للتأثير داخل الأسرة لم يتم فهمها بالدرجة المطلوبة حتى الآن .

وسوف نقوم في الفصل الحالى بتفحص سلوك الأب من منظور النموذج الوصفى التفاضلى أو التمييزى ، كما سيتم تناول مجموعتين أساسيتين من الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الجانب تتمثل أولاهما فى تلك الدراسات التى تتناول مظاهر الاختلاف أو الفروق الفردية فى أنماط التكيف الأبوى للدور الذى يضطلع به الآباء فى الأسرة ، أما الثانية فتتمثل فى تلك الدراسات التى تتناول العلاقات الداخلية فى الأنساق الأسرية الفرعية المختلفة . ومن المعروف أن هذه الأبحاث قد أجريت على الأطفال فى مرحلة المهد وهى المرحلة النهائية التى تتسم بندرة التصورات النظرية والمفاهيمية للسلوك الأبوى خلالها . ونظرًا لأن الدراسات الوصفية التفاضلية التى تتناول تأثير الأب فى السياق الأسرى لها أفضلية الريادة فى هذا المجال فإن معظم ما نقدمه من خلالها لا يعتبر نهائيًا بالضرورة إذ أنه لا يزال على مستوى الفرض فيما يتعلق بالنمو . ومن خلال تشجيعنا على إعمال الفكر فى مثل هذه الخطوات من المنطق والتفكير يصبح هدفنا العام والأساسى من خلال هذا الفصل هو إثارة التصورات النظرية المفاهيمية التى تتعلق بآثار الأب فى السياق الأسرى .

مظاهر الاختلاف بين الآباء فى أنماط التكيف للدور الوالدى :

تختلف الدراسات التى تناولت العلاقة بين الأب والطفل الرضيع فى المصادر التى استقت منها بياناتها إذ اعتمد بعضها على تلك التقارير الواردة من أحد الوالدين فى مقابل الملاحظات التى قام عليها البعض الآخر ، كما تختلف أيضًا فى نوعية البناء النفسى الذى تم تقييمه خلالها حيث نجد أن البعض منها قد قام على تقييم مدى انغماس الأب فى حياة الرضيع ، بينما قام البعض الآخر بعملية حصر لتلك الأنماك السلوكية النوعية التى تصدر عن الأب . كذلك فإن المكان الذى تم فيه جمع البيانات سواء كان هذا المكان هو المنزل أو المعمل يمثل مظهرًا آخر من مظاهر الاختلاف بين هذه الدراسات ، كما تختلف أيضًا فى تلك الإجراءات التى اتخذت حيال المشاركين فيها خلال جمع البيانات ، وفى الخلفيات التى تميز الأسر التى أجريت عليها كالحصائص الديموجرافية وخبرات الحياة .

وتعمل الاختلافات المنهجية والتى تعتبر هى الهدف الأساسى من القسم الحالى فى هذا الفصل على توضيح وتفسير الكيفية التى قد تؤثر بها السمات المميزة لخبرة الحياة

بالنسبة للآباء على أنماط التكيف من جانبهم للأدوار التي يضطلعون بها . وتقوم مثل هذه البيانات بطبيعة الحال بتناول الفروق الفردية في السلوك الأبوى في ذلك السياق الاجتماعي الأكبر الذي تحدث فيه . وسوف يتم تفحص ثلاث من السمات المميزة للخلفيات الأسرية والتي يحتمل أن تقوم بالتأثير على سلوك الأب تجاه الطفل ، وهذه السمات هي :

- ١ - الظروف المصاحبة لولادة الطفل .
- ٢ - التنظيم الأسري للأدوار فيما يتعلق بالحصول على الدخل .
- ٣ - توحيد الأب نفسه مع الدور الجنسي .

أولاً : الظروف المصاحبة لولادة الطفل :

من الجدير بالذكر أن هناك تغيرات جوهرية قد حدثت منذ عام ١٩٧٠ على الأقل بين تلك القطاعات التي تمثل الطبقة المتوسطة فيما يتعلق بالاستعداد لولادة الطفل وفي تلك الأحداث التي تقع عندما تتم ولادة طفل طبيعي . ومع أنه غالباً ما يطلق على مثل هذه الولادة أنها ولادة طبيعية فإنه قد حدث تغير في مساهماتها لتصبح مشاركة الأب للأم انفعالياً في ولادة الطفل ووجوده معها Participative Childbirth وقد بذلت جهود كثيرة في سبيل الإقلال من التدخل الطبي في مثل هذه الحالة وخاصة التدخل الطبي الذي قد يعود بالضرر على الوليد الجديد . هذا وقد تم إحياء العلاقات الاجتماعية الدالة في موقف ولادة الطفل وإعادتها من جديد ، وغالباً ما أصبح يتم هذا الموقف في الوقت الراهن في وجود شخص مدرب على تقديم المساندة الانفعالية للأم هو الزوج الذي يقوم بمشاركة زوجته في برنامج الإعداد للولادة . وقد أبدى كل من مارشال كلاوس M.Klaus وجون كينيل J. Kennell وهما من أطباء الأطفال اهتماماً كبيراً وعلى نطاق واسع بالإجراءات المتبعة لحجز الأم بالمستشفى في الفترة التالية للولادة . وأدت هذه الجهود إلى تقليل فترة الانفصال بين الأم وطفلها الوليد والذي غالباً ما يحدث عقب الولادة في المستشفى وذلك إلى حدها الأدنى . وقد تمت هذه التغيرات في إطار من الارتقاء بمستوى الأداء الطفلي للوليد وإقامة علاقات جيدة بين الأم وبينه .

ومن ناحية أخرى فقد حدث تغير مواز في خبرات الأب التى تتعلق بولادة الطفل ، ويعمل هذا التغير على زيادة انغماسه مع الأم ومساندته لها أثناء الولادة ، كما يعمل أيضًا على زيادة فرصة حدوث الخبرة المباشرة من جانبه مع الوليد الجديد . فأوضحت الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الصدد أن وجود الأب مع الأم أثناء الولادة يرتبط بالانخفاض الدال فى احتمال تعرضها للجراحة . كما دلت التقارير الواردة من الوالدين على وجود المزيد من المشاعر الإيجابية بينهما فيما يتعلق بالخبرة الكلية للولادة (Henneborn & Cogan, 1975) . ويرى بعض الآباء والأمهات فى الواقع أن المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة تمثل ذروة الخبرة الانفعالية التى تدعم وتعزز بشدة ذلك الإحساس بالتعهدات الأسرية (Tanzer & Block, 1972) .

ونظرًا لأن التغير باتجاه المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة لم يحدث بشكل متسق فى المجتمع الأمريكى فإن هناك سؤالاً هامًا يمكن إثارته فى هذا الصدد يتعلق بما إذا كان السلوك الوالدى يتأثر بانتهاء تلك الممارسات التقليدية التى تتم فى المستشفى أم لا ، إذ اتضح بالنسبة للأمهات أن البرامج التى تأخذ نمط برنامج لاماز Lamaze وزيادة الإدراك الشعورى أثناء الولادة يرتبطان بتقريرهن القيام بإرضاع أطفالهن من أئدائهن واستمرار ذلك لفترة أطول . وعلاوة على هذا فقد قامت هؤلاء الأمهات بوصف ردود أفعالهن الأولية لأطفالهن الرضع بأنها أكثر إيجابية (Doering & Entwisle, 1975) .

وبنفس الطريقة يرى كلاوس وكنيل (Klaus & Kennell ١٩٧٦) أن التواصل المبكر مع الرضيع يقوى من علاقة الأم به وهو ما يعمل على تسهيل حضائته ويقلل من القلق ، ويعمل من ناحية أخرى على تدعيم نمو العلاقة بين الأم والرضيع . وتعمل نتائج الدراسات الحديثة على تنفيذ فعالية التواصل المبكر فى حد ذاته فى التأثير على ذلك التفاعل التالى الذى يحدث بين الأم والرضيع (Vietze & O'Connor, 1980; Svejda, et al. 1980) . إلا أنه يبدو مع ذلك أن هناك قبولاً على نطاق واسع بأن التحرك باتجاه المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة ينتج عنه مشاعر أكثر إيجابية فيما يتعلق بخبرة الولادة نفسها .

وفيا يتعلق بالآباء فإن القدر القليل من الأدلة المتاحة يكشف عن أن المشاركة من جانبهم أثناء الولادة قد يكون لها أثر مدعم للتفاعل الذى يحدث بعد ذلك بين الأب والرضيع ، إلا أن الدليل على ذلك لا يعتبر دليلاً حاسماً . ففى إحدى الدراسات التى تناولت الفترة التالية للولادة مباشرة استخدم جرينبرج وموريس (١٩٧٤) Greenberg & Morris مصطلح الاستحواذ على الفكر أو الانتباه engrossment لوصف الإحساس بالانهماك ، والانشغال ، والاهتمام الذى يستثيره الوليد الجديد لدى الآباء ، واتضح أن هناك فى الواقع تأثيراً قوياً لدى جميع الآباء لخبيرة أول تعرض لهم لطفل رضيع سواء مروا بخبيرة أول اتصال لهم به عند ميلاده أى فى غرفة الولادة أو حدث ذلك بعد ولادته فقط حينما أخذته الممرضة إليهم . ووجد ونت وكروكنبرج (١٩٧٦) Wente & Crockenberg أيضاً أن هناك آثاراً قليلة قد اتضحت لدى الآباء الذين حضروا برنامج لاماز Lamaze التدريبى وكانوا مع زوجاتهم عند الولادة وذلك قياساً بأقرانهم فى المجموعة الضابطة علماً بأن هذه المجموعة قد ضمت عدداً كبيراً من الآباء الذين كانوا مع زوجاتهم أثناء الولادة أيضاً . ويقدم بيترسون وميهل وليدرمان (١٩٧٩) Peterson, Mehl, & Leiderman دليلاً قوياً على أن المتغيرات التى ترتبط بالولادة تؤثر على التواصل والتفاعل الذى يحدث بعد ذلك بين الأب والرضيع وذلك إثر دراستهم لثلاث مجموعات بعد المقارنة بينها فى المتغيرات المرتبطة بالخلفيات الأسرية ؛ ضمت المجموعة الأولى الأزواج الذين قامت زوجاتهم بالولادة فى المستشفى بعد تخديرهن كلياً ، فى حين ضمت المجموعة الثانية أولئك الأزواج الذين قامت زوجاتهم بالولادة فى المستشفى أيضاً ولكن بعد إعطائهن كميات قليلة من المخدر ، أما المجموعة الثالثة فقد ضمت الأزواج الذين قامت زوجاتهم بالولادة فى المنزل بدون أى مخدر ، واتضح أن الوصف الإيجابى الذى يقدمه الأب عن خبرة الولادة والذى يركز على الملاحظات والتقارير الذاتية التى تم القيام بها خلال الشهور الستة الأولى التالية للولادة يرتبط ارتباطاً كبيراً بتقديره للتواصل والتفاعل الذى يحدث فيها بعد بينه وبين الرضيع . كذلك فقد استخدم هؤلاء الباحثون دليل تواصل الأب مع الرضيع والذى يضم عدداً من العوامل المختلفة تتضمن قيام الأب بأنشطة العناية بالرضيع ، واستجابته للإشارات الدالة على الانزعاج وعدم الراحة التى يصدرها الرضيع ، والأنماط السلوكية المرتبطة باللعب مع الرضيع من جانب

الأب ، وثقة الأب بنفسه فيما يتعلق بقيامه بدوره كأب . واتضح من خلاله أن الأحداث المرتبطة بالولادة تعتبر مؤشرات قوية يمكن من خلالها التنبؤ بمعدل التواصل والتفاعل بين الأب والرضيع وذلك بشكل يفوق ما تدل عليه البيانات التي تم جمعها خلال فترة الحمل ، وبذلك يرى هؤلاء الباحثون أن العوامل التي تم اختيارها ذاتياً لم تكن بنفس أهمية خبرة الولادة في حد ذاتها بالنسبة لمدى الانغماس التالى من جانب الأب مع الرضيع.

وهناك فرض لقي قدرًا معتدلاً من التأييد الإمبيرى يعتبر أن المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة مروراً بالإعداد للولادة إلى انغماس الأب بشكل كبير مع الأم في عملية الولادة ، والمشاعر الأكثر إيجابية التي ترتبط بالولادة ، والفرص المتزايدة التي تتاح لإقامة التواصل والتفاعل المبكر مع الرضيع تدعم وتعزز التفاعل التالى والأكثر تكراراً الذى يحدث بين الأب والرضيع ، وتساهم في قيام علاقات التواصل والتفاعل التي تنشأ بينهما . وبطبيعة الحال فإن الأحداث التي تلى الولادة والتي تتمثل في تفاعل الأب مع الأم ومع الرضيع ستكون بها لا يدع مجالاً للشك لها أهميتها في تحديد ما إذا كانت الترتيبات المبكرة التي يتم القيام بها تبقى كفروق واضحة في السلوك أم لا . ويرى فين (١٩٧٦) Fein أن المشاركة من جانب الأب أثناء الولادة قد يكون لها أثر ثابت على تحديد دور الفرد كأب ، إلا أنه مع ذلك توجد هناك تحديدات بديلة للدور تتاح أمام الرجال إذ أن هناك من وجهة نظره نمطين للدور ؛ يتمثل أولهما في الدور التقليدى الذى نطلق عليه دور القائم على كسب العيش والذى يركز على قيام الأب بتزويد الأسرة بالمصادر الاقتصادية اللازمة لها وإقامة علاقة من جانبه مع الأم تركز على المساندة الانفعالية حيث تقع المسئولية الأساسية في العناية بالأطفال على عاتقها . أما النمط الثانى فيعتبر نمطاً تكيفياً ويسمى بالدور غير التقليدى ويؤكد على الانغماس المباشر بدرجة كبيرة من جانب الأب في حياة الرضيع ، والمشاركة المتساوية للأب مع الأم في مسئوليات العناية بالأطفال وذلك في تلك الفترة التي يتواجد الأب فيها بالمنزل . ويشير فين Fien إلى أن هذا النمط التكيفى يحتاج إلى المبادرة من جانب الأب وذلك في إطار من توقعات الأم لما سيقوم به . وعلى الرغم من أن العوامل التي تهيء حدوث أى من هذين النمطين لم تتضح بعد فإن مثل هذه الصياغة

تثير الاهتمام والفضول لأنها تجذب الانتباه إلى المتغيرات الوسيطة التي قد تؤدي إلى نتائج بديلة لنفس خبرة الولادة .

ويثير هذا الخط من التفكير والذي يعتبر أن خبرة الولادة تؤثر على التفاعل الذي يحدث بعد ذلك بين الأب والرضيع تساؤلاً هاماً يتعلق بما ستكون عليه النتيجة في حالة تعقد الأمور أثناء الولادة كأن تكون الولادة قيصرية مثلاً . فإذا تطلب الأمر حدوث ولادة قيصرية على سبيل المثال يكون هناك إجراء طبي يحول في الغالب دون وجود الأب أثناء الولادة ، ويقلل من احتمال أن يكون الوليد في متناول كلا الوالدين لأنه في الغالب يوضع تحت العناية المركزة لمدة أربع وعشرين ساعة . وهناك عوامل أخرى تتساوى في أهميتها مع هذه الخبرة منها على سبيل المثال ذلك الفرض الذي يعتبر أن الولادة القيصرية لا تؤدي إلى نفس النتائج الإيجابية على علاقة الأب بالرضيع والتي يعتقد أنها تحدث من جراء المشاركة من جانبه أثناء الولادة .

ومن الجدير بالذكر أن هناك قدرًا كبيرًا من الدراسات تتناول تلك التفاعلات التي تحدث بين الأب والرضيع عقب الولادة القيصرية . ويرجع أحد أسباب الاهتمام بهذا النوع من الولادات على وجه الخصوص إلى أن معدلات الولادة القيصرية قد ازدادت في الولايات المتحدة الأمريكية ثلاث مرات منذ عام ١٩٧٠ (Bottoms, et al. 1980) . ويبدو أن هذه الزيادة تعتبر نتيجة للتغيرات التي انتابت الاستجابة الطبية للعمل الذي يقوم به الأطباء والذي يستغرق وقتًا طويلاً وذلك بدلاً من كونها ترجع إلى الزيادة التي تطرأ على عوامل المخاطرة . ومن السخريّة أن نجد أن احتمالات التدخل الطبي القيصرى قد ازدادت في نفس الوقت الذي يبحث فيه المزيد من الآباء والأمهات عن تلك الولادات التي تتطلب قدرًا منخفضًا من التدخل الطبي ، أضف إلى ذلك أن الإعداد النفسى الذى يحدث فى حالة الولادة القيصرية يكون عند حده الأدنى .

وفى دراسة أجراها بيدرسين وآخرون (١٩٨٢) Pedersen, et al. على عينة من الأطفال الرضع ذوى الترتيب الميلادى الأول تبلغ أعمارهم خمسة شهور استخدموا المقابلات وقاموا بملاحظة التفاعلات التى تحدث بين الوالدين والرضع فى المنزل ، وتمت مقارنتهم بمجموعة أخرى ضمت ستة أطفال ولدوا قيصرياً Cesarean-delivered

Children وسبعة عشر طفلاً ولدوا طبيعياً Vaginally-delivered Children وأوضحت النتائج وجود فروق ضئيلة بين المجموعتين لا ترجع إلى نوعية الولادة في حد ذاتها بل إلى أن الأمهات قد قررن أنهن كن تعانين مشاكل أكثر من الرضيع في البداية حيث تم إعطاؤهن مخدراً كلياً عند إجراء الولادة القيصرية ، كما أنهن كن في حاجة إلى البقاء في المستشفى لفترة أطول . كذلك فقد اتضح أيضاً وجود فروق أكثر حسماً بالنسبة للآباء ترجع إلى نوعية الولادة إذ أوضحت المقابلات التي تم إجراؤها معهم قيامهم بالعديد من الأنماط السلوكية المرتبطة بالعناية بالطفل بدرجة أكبر كإرضاعه ، وتغيير الحفاض (البامبرز) له ، وتحميمه ، وتغيير ملابسه على سبيل المثال وذلك بالنسبة للآباء الذين تمت ولادة أطفالهم قيصرية . ومن ناحية أخرى فقد أوضحت الملاحظات التي تم القيام بها وجود فروق تسير في الاتجاه ذاته أيضاً ، فقد رأى الملاحظون أن آباء الأطفال الذين تمت ولادتهم قيصرية كانوا أكثر استجابة بشكل دال لتلك الإشارات التي تصدر عن الرضيع وتدل على الألم والضيق وذلك قياساً بأقرانهم في المجموعة الضابطة . ومع ذلك فإن مثل هذه الفروق لا يمكن تعميمها على الأشكال الأخرى للتفاعل الذي يحدث بين الأب والرضيع إذ أوضحت مقاييس الإثارة الاجتماعية تفوقاً للآباء في المجموعة الضابطة أي الذين تمت ولادة أطفالهم طبيعياً وذلك على أقرانهم الذين تمت ولادة أطفالهم قيصرية . كما اتضح أيضاً وبشكل خاص وجود عاطفة أقل إيجابية وذلك في التفاعلات والتغيرات السلوكية التي تمت بين الآباء وأطفالهم الرضع الذين ولدوا قيصرية .

وتتفق نتائج الدراسة التي أجرتها فيتز وآخرون (١٩٨٠) Vietze, et al. على عينة أكبر من الأطفال الرضع في الشهر السادس من أعمارهم ضمت سبعة عشر طفلاً تمت ولادتهم قيصرية وثمانية وخمسين طفلاً تمت ولادتهم طبيعياً ، تتفق بدرجة كبيرة مع هذه النتائج التي نحن بصدد الحديث عنها . وعلى الرغم من الاختلافات المنهجية التي وجدت بين الدراستين فقد اتضح أن آباء الأطفال الرضع الذين تمت ولادتهم قيصرية عند مقارنتهم بآباء الأطفال الذين تمت ولادتهم طبيعياً كانوا أكثر انغماساً في القيام بأنشطة العناية بالطفل وخاصة إرضاعه ، كما كانوا يقومون أيضاً بتهدئة الطفل وإرضائه بدرجة أكبر ، إلا أنهم لم يكونوا كذلك فيما يتعلق بالتفاعل الاجتماعي مع أطفالهم الرضع حيث

أبدوا درجة أقل من هذا التفاعل قياسًا بأقرانهم الذين تمت ولادة أطفالهم طبيعيًا . وعلاوة على ذلك فقد انضح بالنسبة للأمهات وجود فروق أقل تتعلق بنوعية الولادة . وبمتابعة هؤلاء الأطفال اتضح أن القدر الأكبر من هذه الفروق التي أظهرتها النتائج يختفى في حوالى الشهر الثانى عشر من حياة هؤلاء الأطفال . هذا وقد وجدت جروسمان (١٩٨٠) Grossman أيضًا في دراستها التي قامت بإجرائها على عينة من الأطفال الرضع في الشهر الثانى من أعمارهم ممن تمت ولادتهم قيصرًا نمطًا مشابهًا يتسم بارتفاع معدل انغماس الأب في حياة الرضيع . كما وجدت أن نمط الولادة لا يميز بين تفاعل كل من الوالدين مع طفلها الرضيع في شهره الثانى عشر .

وبذلك يتضح أن الولادة القيصرية أو عدم مرور الأب بخبرة المشاركة أثناء الولادة يرتبط بدرجة أكبر من انغماسه في القيام بأنشطة العناية بالرضيع . وأنه من المحتمل أن يكون العامل الدافع للأب في هذه الحالة لإقامة علاقة أكثر فعالية مع الرضيع تستند إلى العناية به عقب ولادته قيصرًا ويرجع إلى أن الأم عند عودتها للمنزل في الفترة التي تلى الولادة مباشرة لا تكون قد شفيت بعد من العملية الجراحية التي تم إجراؤها لها ، ومن ثم تكون لا تزال تعاني من تعب شديد ، ومن فتور انفعالى ، وهبوط في قواها الحيوية ونشاطها الوظيفى (Bradley, 1977) . وعلى الرغم من أنه من المعقول أن نفترض أن حاجات الأم في هذه الفترة المبكرة تساهم في قيام الأب بدور فعال في العناية بالطفل الرضيع فهناك قدر ضئيل من الدلائل على أن سلوكها تجاه طفلها الرضيع يتغير بعد الأسابيع القليلة الأولى التالية . وعلى ذلك فإن انغماس الأب بدرجة أكبر في العناية بالرضيع قد يستمر لفترة أطول من تلك الفترة التي تحدث خلالها تلك التغيرات المحتملة في سلوك الأم تجاه الرضيع .

وتتطلب مثل هذه النتائج القيام بتغيير تركيزنا على أهمية التواصل والتفاعل المبكرين مع الوليد الجديد إذ أن هناك عوامل أخرى ترتبط بالولادة قد يكون لها أثر دائم نسبيًا أيضًا في هذا الصدد . وتؤكد مثل هذه النتائج بطبيعة الحال على أن للأم تأثيرًا غير مباشر على التفاعل الذى يحدث بين الأب والرضيع .

ثانياً : التنظيم الأسرى للأدوار :

تقوم الأم في الأسرة التقليدية بدور أساسى فى العناية بالأطفال وبمسئولية أكبر فى الاضطلاع بشئون الأسرة ، بينما يقوم الأب على كسب العيش . وفى الواقع نجد أن الدراسات الوصفية الشاملة التى تناولت التفاعل المبكر الذى يحدث بين الأب والطفل الرضيع قد أجريت على عينات يسود بينها هذا التنظيم الأسرى للأدوار (Lamb, 1976; Belsky, 1979; Parke & Swain, 1980; Pedersen, et al., 1980). وفى مقابل هذا الأسلوب فى اختيار العينة نجد أن هناك اتجاهًا واضحًا نحو دراسة تلك الأسر التى تحصل على دخلين اثنين حيث يقوم الوالدان بالعمل خارج المنزل حتى فى ظل وجود أطفال صغار السن حيث نلاحظ فى الواقع زيادة كبيرة فى معدلات توظيف النساء فى المجموعة التى تضم أطفالاً صغار السن . وفى الفترة التى تضاعفت فيها معدلات توظيف أمهات الأطفال فى سن المدرسة الابتدائية بالولايات المتحدة الأمريكية مرة واحدة تضاعفت معدلات توظيف أمهات الأطفال فى سن ما قبل المدرسة ثلاث مرات ، وفى عام ١٩٧٩ كان أكثر من أربعين فى المائة من أمهات الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات يعملن خارج منازلهن كما يتضح من إحصائيات مكاتب العمل بالولايات المتحدة لعام ١٩٧٩ . وهنا يثار تساؤل هام يتعلق بما إذا كانت تلك الأسر التى تحصل على دخلين اثنين من جراء عمل كلا الوالدين خارج المنزل تتسم بوجود أسلوبيين للتفاعل مع الأطفال الرضع والقيام بالعناية بهم يختلفان عما تتسم به تلك الأسر التقليدية التى تتسم بحصولها على دخل واحد فقط تحصل عليه بطبيعة الحال من جراء عمل الأب فقط خارج المنزل .

وقد قام هوفمان (١٩٧٧) Hoffman باستعراض العديد من الدراسات التى توضح أن الآباء يلعبون دورًا أكثر فاعلية فى تربية أطفالهم فى سن المدرسة الابتدائية عندما تكون الأم من بين النساء العاملات . وعلى الرغم من أن صدق مثل هذا التعميم يعتبر موضع شك كما ترى كوك (١٩٧٨) Cook فإنه من المحتمل أن يكون هناك تأثير قوى لقيام الأم بالعمل خارج المنزل على سلوك الأب تجاه الأطفال عندما يكون هؤلاء الأطفال لا يزالون صغارًا فى السن . وتوضح الدراسات التى تناولت أطفالاً فى سن

المدرسة الابتدائية أن الأم تعود مرة أخرى إلى القوى العاملة بعد أن تكون الأسرة قد خبرت سنوات عديدة يكون فيها نمط تخصص الأم في العناية بالأطفال قد أتاحت له الفرصة كي يصبح نمطًا ثابتًا . وقد يصاحب التحاق الأم بالقوى العاملة عند هذه النقطة أو المرحلة تغيرات قليلة نسبيًا في النمط الثابت المميز للأب فيما يتعلق بالعناية بالأطفال وقيامه بالمشاركة في الشئون المنزلية إذ عندما تقوم الأم التي لديها طفل صغير السن بالعمل خارج المنزل يصبح من المحتمل أن تقوم بعض الضغوط من خارج الأسرة بالتشجيع على مشاركة الأب في العناية بهذا الطفل الصغير .

وتؤكد الدراسات التي أجريت على الأطفال في مرحلة المهد والتي تستند في الأساس على تقارير الوالدين فيما يتعلق بأساليب العناية بالأطفال أن الآباء الذين تقوم زوجاتهم بالعمل خارج المنزل ينغمسون في الواقع بشكل أكثر فاعلية في العناية بالأطفال فيرى فين (١٩٧٦) Fein في دراسته التي أجراها على اثنين وثلاثين من الأزواج إضافة إلى زوجاتهم والتي غطت الفترة من أربعة أسابيع قبل الولادة حتى ستة أسابيع بعدها أن مجموعة الآباء غير التقليديين أى الذين كانوا ينغمسون بدرجة كبيرة في العناية اليومية بأطفالهم الرضع كانوا يميلون إلى الانحدار من أسر تتسم بوجود خطط محددة جيدًا إلى حد ما من جانب الأم للجمع بين كل من الأمومة والعمل خارج المنزل للحصول على دخل معين أو العمل في سبيل تحقيق درجة مهنية ما . ونظرًا لأن مقدار العناية بالأطفال من جانب الأب كان يمكن التنبؤ به من المقابلات التمهيدية التي تم إجراؤها مع الآباء ، يرى فين Fein أن العديد من الآباء والأمهات قد بدأوا في التفاوض معًا حول نصيب كل منهم من مسئولية العناية بالأطفال حتى قبل أن تتم ولادة هؤلاء الأطفال . كما وجد يونج (١٩٧٥) Young في دراسة أخرى تعتمد على التقارير التي ترد من الوالدين أن الآباء الذين تقوم زوجاتهم بالعمل خارج المنزل يقضون قدرًا أكبر من الوقت وهم شديدي القرب من أطفالهم الذين يبلغون عامًا من أعمارهم ، كما ينغمسون أيضًا في أنشطة أكثر للعناية بهم وذلك قياسًا بالآباء في تلك الأسر التي لا تقوم الأم فيها بالعمل خارج المنزل .

وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسات التي تستند على بيانات تم الحصول عليها من خلال إتباع أسلوب الملاحظة لا تقدم لنا مثل هذه الصورة الثابتة التي تقدمها تلك

الدراسات التي تستند في الأساس على التقارير التي ترد من الوالدين . وفي واحدة من تلك الدراسات التي أجريت في هذا الإطار قام لام وآخرون (١٩٨٢) Lamb, et al. في السويد بإجراء المقابلات مع الوالدين قبل الولادة ، كما قاموا أيضًا بعد ذلك بملاحظة التفاعلات التي تحدث بين الوالدين وبين طفلها الرضيع في الشهر الثالث من عمره . وقاموا بتصنيف الأسر التي تضمنتها عينة دراستهم هذه إلى أسر تقليدية وأسرة غير تقليدية وذلك استنادًا على التعهدات التي قطعها كلاً من الوالدين على نفسيهما في الفترة السابقة للولادة على قيام كل منهما بقدر معين من العناية بالطفل بعد ولادته ، علماً بأنه يتم في السويد تقديم حوافز للوالدين كي يقوم كلاهما بتقسيم مسئولية العناية بالطفل فيما بينهما وذلك طوال العام الأول من عمره . ومن الملاحظ أن تصنيف الأسر هنا إلى تقليدية وغير تقليدية لا يعتبر هو نفس التصنيف الذي يقوم على أساس حصول الأسرة على دخل واحد من جراء عمل الأب فقط ، أو حصولها على دخلين اثنين نتيجة عمل كلا الوالدين خارج المنزل حيث نجد أن غالبية الأمهات السويديات لا يكن عادة من بين القوى العاملة إلا بعد انقضاء العام الأول من عمر أطفالهن . واتضح أن التعهدات التي قطعها الأب على نفسه قبل الولادة بالمشاركة في العناية بالطفل ترتبط بمقدار العناية التي يوليها لطفله عند نهاية الشهر الثالث من عمر ذلك الطفل . ولم يكن من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأباء غير التقليديين بأقرانهم التقليديين أن يقوموا بمسئوليتهم المفترضة تجاه الطفل لمدة يوم كامل أو أكثر إذ أوضحت الملاحظات التي تمت في الشهر الثالث من عمر الطفل وجود فروق ضئيلة نسبياً في السلوك الأبوي الذي يرجع إلى الاتجاهات التقليدية وغير التقليدية في هذا الصدد . ومع ذلك فقد وجدت بعض الفروق عند وضع جنس الطفل في الاعتبار ، فكانت الأسر التقليدية تحيط الأطفال البنين بمزيد من الاهتمام والإثارة ، في حين كانت تقوم الأسر غير التقليدية بمعاملة أطفالهم البنات بشكل أفضل من البنين . ومن المعتقد أن الملاحظات التبعية لهذه الأسر سوف تحدد مدى ثبات هذه الأنماط ، وما إذا كانت الفروق في السلوك الأبوي سوف تظهر بعد ذلك أم لا .

ولم يتوصل بيدرسين وآخرون Pedersen, et al. من ملاحظاتهم للأطفال الأمريكيين الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم والذين ينحدرون من أسر ذات دخل واحد فقط أي من أسر تقليدية لا تقوم الأم فيها بالعمل خارج المنزل ، أو من

أسر ذات دخلين اثنين أى من أسر غير تقليدية تعتبر الأم فيها من النساء العاملات إلى أى فروق دالة فى أنشطة العناية بالأطفال من جانب الوالدين ترتبط بتنظيم الأدوار . وكان من الأقل احتمالاً بالنسبة للنساء العاملات أن يقمن بإرضاع أطفالهن من أئدائهن ، كما كانت النساء من كلا النمطين من الأسر تقضين وقتاً أطول من الآباء فى إرضاع أطفالهن . ومع ذلك فقد تم التوصل إلى وجود فروق دالة ترتبط بتنظيم الأدوار وذلك فى أنماط السلوك التى لا ترتبط بالعناية بالأطفال . ومن ناحية أخرى فقد أوضحت النساء العاملات قدراً أكبر من معدلات التفاعل اللفظى مع الأطفال الرضع قياساً بالأمهات غير العاملات ، كما كان الآباء فى الأسر التى تعتبر فيها الأم من النساء العاملات أقل انغماساً من الأمهات فى اللعب الاجتماعى مع أطفالهم الرضع ، إلا أن هذا النمط قد اتخذ اتجاهًا عكسيًا فى الأسر التى لا تعتبر فيها الأم من بين النساء العاملات .

وتعتبر هذه النتيجة ذات أهمية خاصة نظرًا لأن الدراسات التى أجريت على الآباء فى الأسر التى لا تقوم الأم فيها بالعمل خارج المنزل قد أكدت على أن اللعب الاجتماعى يعتبر خاصية مميزة للأب (Parke, ١٩٧٩) . ويبدو أن هذا التعميم لا يعتبر صادقاً بالنسبة للأسر التى يقوم فيها كل من الأب والأم بالعمل خارج المنزل . وهناك نتيجة أخرى جديرة بالملاحظة كشفت عنها هذه الدراسات تتمثل فى أنه بالنظر إلى كل أنماط السلوك الوالدى نجد أن التفاعل بين الأنماط الأربعة المتعلقة بجنس الوالد وبين التصنيفات المرتبطة بتنظيم الأدوار يوضح نمطاً دالاً فى الدرجات التى تم الحصول عليها ، فقد حصلت الأمهات العاملات على أعلى الدرجات ، أما الآباء الذين كانوا أزواجاً لأمهات عاملات فقد حصلوا على أقل الدرجات ، فى حين حصل كل من الآباء والأمهات فى الأسر التى لا تقوم فيها الأم بالعمل خارج المنزل على درجات متوسطة . وبدلاً مما أوضحت الدراسات المختلفة التى تم إجراؤها على الأسر التى يقوم فيها كلا الوالدين بالعمل خارج المنزل من التساوى بين الأب والأم فى مسئولية العناية بالأطفال وفى قيامهما بأنشطة العناية بهم ، فإن النتائج التى تم التوصل إليها قد كشفت عن عكس ذلك .

ومن بين التفسيرات المحتملة لهذه النتائج ما نلاحظه فى السياق الثقافى الأمريكى وفى النسق الثقافى هناك من أن الأم حينما يبلغ طفلها الرضيع الشهر الخامس من عمره

تكون قد انضمت بالفعل إلى القوى العاملة وتصبح بالتالى متأرجحة نوعاً ما بين طفلها وبين العمل . ومن هنا يكون من المحتمل أن تتمثل أعلى معدلات للتفاعل بينها وبين الطفل في تلك التفاعلات التى تتضمن الحاجة للانغماس مع الطفل بعد قضاء بعض الوقت بعيداً عنه والحاجة إلى تعويضه ما يمكن أن يكون قد افتقده أثناء تلقيه عناية بديلة . ومن ناحية أخرى يمكن أن يثار الأب في الأسر التى يقوم فيها كلا الزوجين بالعمل خارج المنزل من جراء الحاجة القوية للأم للتفاعل مع طفلها الرضيع . وعلى النقيض من ذلك نلاحظ أن الأم غير العاملة قد تكون راضية نسبياً عن تفاعلها مع طفلها الرضيع في الوقت الذى تتم فيه الملاحظات ، وقد ترحب بتأجيل تفاعلها معه وذلك في الوقت الذى يقضيه الأب معه . ويبدو أن هذا الأثر يتشابه بالنسبة لمعدلات سلوك كل من الأب والأم تجاه الطفل .

ومن الجدير بالذكر أن الفروق في النتائج التى تم التوصل إليها بإتباع أساليب مختلفة كالملاحظة والتقارير الوالدية مثلاً لا تعنى بالضرورة أن يكون أسلوب ما هو الصادق والمناسب ويكون أسلوب آخر غير صادق ، لكنه من الأكثر احتمالاً أن يعبر الدافع إلى الرغبة الاجتماعية من جانب الشخص المشارك في البحث عن نفسه بطريقة مختلفة . وعندما نتناول السلوك فإننا نلاحظ أن الأسر غير التقليدية وهي تلك التى يقوم فيها كلا الوالدين بالعمل خارج المنزل تركز على الأساليب التى تعبر عن التساوى بين الوالدين في العناية بالطفل ، ومع ذلك فعندما نقوم بملاحظة أحد الأطفال الذين ينتمون إلى مثل هذه الأسر فإننا نلاحظ أن الأم قد تحاول أن تقدم له قدرًا أكبر من الإثارة . وإلى جانب التأثير الذى تحدثه ملاحظة الفرد أو إجراء مقابلة معه فإنه نادراً ما كان يتم الالتفات إلى الوقت الذى تجرى فيه المقابلة أو الملاحظة كأن تكون في الصباح أو في عطلة نهاية الأسبوع وهو ما تم إعطاؤه وزن في الاتجاه واحد ، أما إجراء المقابلة أو الملاحظة في المساء فقد تم إعطاؤه وزن في الاتجاه العكسي . وعلى الرغم من أن نتائج الدراسات التى تناولت هذا الجانب ليست ثابتة فإننا نتوقع أنه قد يكون هناك أدلة إضافية للتحقق من ذلك نظراً لتزايد فهم وإدراك أن الأسلوب أو المنهج المتبع في البحث يؤثر على النتائج التى يتم التوصل إليها .

ثالثاً : توحيد الأب مع الدور الجنسي :

من الملاحظ أن المجتمع الأمريكي قد تغير في قيمه التى تتعلق بالأدوار الجنسية وابتعد كثيراً عن تلك الأنماط التى تم تحديدها في هذا الصدد بشكل قاطع (Hoffman, 1977). وإلى جانب ذلك فإن هناك تغيراً هاماً قد حدث أيضاً في تصور المفاهيم الخاصة بالأدوار الجنسية في إطار نظريات العلوم الاجتماعية . وأصبح المدخل النظرى التقليدى لسلوك الدور الذكري والأنثوى يتم في ضوء إطار أحادى البعد وثنائى البنية أو التكوين تتساوى فيه الذكورة - الأنوثة مع البعد الوسىلى - التعبيرى (Parsons & Bales, 1955). وإلى جانب ذلك قدم باكان (Bakan ١٩٦٦) صياغة نظرية ثنائية مشابهة ترتبط فيها الذكورة بالتوجه الوسىلى وهو ذلك الاتجاه الذى يتمثل فيه الاهتمام بالفرد في حماية الذات ، وتوكيد الذات ، وانتشار الذات ، وترتبط فيه الأنوثة بالتوجه الكوميونى المميز للحياة الاجتماعية البسيطة والقائم على العلاقة بين الأفراد في الأسرة والذى يتمثل في الإحساس بكون الفرد منسجماً مع غيره ومتحدداً معهم ، وبكونه مهتماً بالعلاقة بينه وبين الآخرين . ومن هنا فإن مثل هذه النظريات ترى أن الفرد يكون عند أحد طرفي هذا البعد، وبذلك فهو إما أن يكون عند طرف الذكورة أو عند طرف الأنوثة .

هذا ويمكن تمييز الصياغات الحديثة في هذا الموضوع والتى تم التطرق إليها في العديد من الكتابات منها باكان (Bakan ١٩٦٦) وبلوك (Block ١٩٧٣) وبيم (Bem ١٩٧٤) وهيلبرون (Heilbrun ١٩٧٦) وسبينس وهيلمريتش (١٩٧٨) Spence & Helmreich بظهور مفهوم جديد هو مفهوم الخنوثة السيكلوجية Psychological Androgyny الذى يدل على تكامل عناصر هذا التقسيم الثنائى في الفرد الواحد . ويوضح مفهوم الخنوثة السيكلوجية أنه من المحتمل بالنسبة للفرد الواحد أن يكون وسيلاً وتعبيرياً في الوقت ذاته وذلك اعتماداً على المتطلبات السلوكية لمواقف معينة . وعلاوة على ذلك فإن النضج الشخصى وفقاً لهذا النموذج يرتبط بقدر أكبر من التكامل بين هذه الإمكانيات السلوكية^(١) .

(*) لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع يوصى المترجم بمراجعة كل من :

Cook, E. (1985). Psychological Androgyny. New York: Pergamon.

- الأدوار الجنسية والاغتراب بين الشباب الجامعى (للمترجم) . بحث منشور بمجلة كلية التربية

جامعة طنطا ١٩٩١ ، ع ١٣ .

وقد أدى هذا التغير المفاهيمي إلى حدوث تغير في قياس هذا الجانب فأصبحت الذكورة المرتفعة على سبيل المثال لا تقتضي ضمناً قدرًا منخفضاً من الأنوثة . وباستخدام أدوات القياس مثل مقياس الدور الجنسي Sex Role Inventory الذي أعدته ساندرام بيم (١٩٧٤) S. Bem يمكن تصنيف الأفراد في ضوء وجود بعدين مستقلين للذكورة والأنوثة ، وبالتالي نلاحظ ما يلي :

- ١ - أن الفرد قد يكون ذكرًا من الناحية السيكلوجية إذا ما ارتفعت درجاته في الذكورة وانخفضت درجاته في الأنوثة .
- ٢ - أنه قد يكون أنثى سيكلوجيًا إذا ما ارتفعت درجاته في الأنوثة وانخفضت في المقابل درجاته في الذكورة .
- ٣ - أن الفرد قد يكون مختلاً من الناحية السيكلوجية وذلك إذا ما ارتفعت درجاته في كلا البعدين في الوقت ذاته .
- ٤ - أنه قد يكون غير محدد الدور من الناحية السيكلوجية وذلك إذا ما كانت درجاته في كلا البعدين منخفضة .

وعلى هذا يتضح أن العديد من الرجال والنساء (حوالي ثلاثين في المائة من إجمالي عدد طلاب الجامعة الذين تضمنتهم عينات الدراسة المختلفة في هذا الجانب) مختلن سيكلوجيًا إذ يسلكون بأساليب ذكورية وأنثوية في الوقت ذاته ، وأنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن يأتوا بأنماط سلوكية تميز الجنسين ، وبأنها تكون أقل تقييداً بنماذج الدور الجنسي . هذا وقد اتضح من خلال الدراسات التي تم إجراؤها في المعمل أن الرجال المختلن كانوا يشبهون النساء المختلنات أو اللانثى يتصفن بالأنوثة وذلك في رعاية أطفالهم الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم إذ أوضحوا قدرًا من الرعاية لأطفالهم أكثر مما أوضحه الرجال الذين يتصفون بالذكورة (Bem & Lenney, 1976; Bem, et al., 1976) .

ومن جانب آخر قام روسيل (١٩٧٨) Russell بدراسة احتمال ارتباط توحد الدور الجنسي بالنسبة للأب كما يقاس بمقياس بيم Bem بمقدار الوقت الذي يقضيه إما بالعناية بأطفاله الأقل سنًا أو في اللعب الاجتماعي معهم . وافترض أن الآباء الذين يتوحدون إما

مع الدور الخنثوى أو مع الدور الأنثوى في مقابل الآباء الذين يتوحدون مع الدور الذكري أو غير محددى الدور ينغمسون بفاعلية مع أطفالهم على أساس من العلاقة اليومية لهؤلاء الآباء بهم . وقد تم التحقق من فرضه هذا وذلك من خلال دراسته لعينة من الأسر الاسترالية واستخدامه لمقاييس عن العناية بالأطفال واللعب معهم تعتمد أساسًا على التقارير الوالدية فكان الآباء المختشون أكثر انغماسًا من الآباء ذوى الدور الجنسى الذكري في العناية بالأطفال واللعب معهم ، وكان الآباء المختشون وذوو الدور الأنثوى معًا كمجموعة أكثر انغماسًا في العناية بالأطفال واللعب معهم قياسًا بالآباء ذوى الدور الذكري وغير محددى الدور معًا كمجموعة . ولم ترتبط درجات النساء على مقياس الدور الجنسى بالوقت الذى يقضيه في العناية بالأطفال واللعب معهم ، وهو ما أرجعه روسل Russell إلى التحديد الثقافى الصارم لدور الأم .

وتعتبر هذه النتائج على درجة كبيرة من الأهمية حيث تدل على أن أبعاد الشخصية لا تترادف تمامًا مع الجنس البيولوجى ، وقد تبنى الآباء لأنماط بديلة من التكيف للأبوة يمكن التنبؤ بها . وتتفق هذه النتائج مع تلك التى توصل إليها فين (١٩٧٦) Fein ولام وآخرون (١٩٨٢) Lamb, et al. على الرغم من عدم تصنيفهم للآباء باستخدام مثل هذه المحكات النفسية الدقيقة . وتعمل هذه النتائج كأساس لتشجيع إجراء المزيد من الدراسات فى مرحلة المهّد ، وبذل الجهود لتوسيع نطاق النتائج التى يتم التوصل إليها باستخدام مقاييس تقوم على الملاحظة .

وتوضح المراجعات التى أجريت على الدراسات الحديثة التى تتناول الفروق الفردية فى السلوك الأبوى فروقًا أكثر مما توضحه الدراسات الوصفية الشاملة إذ قد يتم تناول العلاقة النفسية للآب مع طفله الرضيع الأصغر سنًا على أساس اختلاف أبعاد معينة كالعناية به ، واللعب الاجتماعى معه ، ومدى الاستجابة للإشارات الدالة على الضيق التى تصدر عنه . وتكشف بعض النتائج عن أن مثل هذه الأبعاد أحيانًا ما تتأثر بشكل مختلف بالظروف المصاحبة لولادة الطفل ، والتعقيدات التى تحدث أثناء الولادة وتؤثر على الأم ، والتنظيم الأسرى للأدوار فيما يتعلق بالحصول على الدخل ، وتوحد الأب مع الدور الجنسى . وعلى الرغم من التوصل إلى نتائج تتناقض مع هذه النتائج فإنها تمثل نموذجًا قد يظهر فيه التفاعل بين الموقف وسمات الشخصية . ومع أن المقاييس التى تتناول مدى

انغماس الأب مع الطفل والتي تعتمد على التقارير الوالدية تعتبر أقل إحكامًا فيما تقيسه من إشارات سلوكية فإنها تبدو مناسبة لهذا النمط الأكثر تماسكًا على الرغم من عدم الرضا التقليدي من جانب علماء النفس عن هذا المصدر من مصادر البيانات .

العلاقات المتبادلة بين الانساق الأسرية الفرعية :

يؤكد اتساع فهمنا للخبرة المبكرة من الوحدة الثنائية التي تضم الأم والرضيع إلى الأسرة التي تضم الأم والأب والرضيع على مشكلة أساسية جديدة تتمثل في فهم الكيفية التي يؤثر بها التفاعل بين شخصين على شخص ثالث ويتأثر به . ويستخدم برونفينبرنر (١٩٧٤) Bronfenbrenner مصطلح « آثار من الدرجة الثانية » Second order effects كمفهوم يرتبط بالجنس البيولوجي ويتعلق بمثل هذه التأثيرات ، ويرى أنه يجب أن يتم إجراء مزيد من الدراسات حول التنشئة الاجتماعية في أنساق اجتماعية أكبر تضم أشخاصًا أكثر من الأم والطفل فقط .

وقد قام باركي وآخرون (١٩٧٩) Parke, et al. ولويس وفيرنج (١٩٨٢) Lewis & Feiring خططًا تصنيفية بديلة لتلك الآثار من الدرجة الثانية في سبيل فهم مصفوفة التأثيرات السيكلوجية التي تحدث في الوحدات الاجتماعية الأكبر من الوحدة الثنائية . ومن الملاحظ أن عدد التصنيفات المفاهيمية في كلا النسقين يزيد عن عدد التصنيفات التي تمت دراستها إمبيريقياً ، إلا أنها مع ذلك توجه الانتباه إلى عدد من التساؤلات التي لم تلق قدرًا كافيًا من الانتباه المنظم أو التي تكون قد تلقت تأكيدًا مختلفًا في العمليات النفسية المختلفة التي ترتبط بها في الأساس .

ويدفعنا وضع تلك الآثار من الدرجة الثانية في الاعتبار إلى تناول العلاقة بين الزوج والزوجة ، تلك العلاقة التي تمثل الوحدة الأسرية التي يوليها علم نفس النمو قدرًا ضئيلاً نسبيًا من الاهتمام (Aldous. 1977) . ويعطى التراث السوسيلوجي دليلاً على أهمية هذه العلاقة بالنسبة للسلوك الوالدي ، إلا أن هذا التراث نادرًا ما يتضمن فحصًا دقيقًا للتفاعلات التي تحدث بين الوالد والطفل الرضيع . وإلى جانب ذلك فإن هناك عددًا قليلًا من الدراسات تساهم في إعطاء هذا الدليل أيضًا حاولت دراسة دور الوسائط التهديبية التي يستخدمها الوالدان في حدوث مثل هذه التفاعلات . ويتضح من خلالها

أنه يمكننا أن نستخدم في سبيل ذلك مناهج للبحث تتضمن إما التقارير الوالدية أو ملاحظة السلوك . ومع هذا فنادرًا ما نجد أن إحدى هذه الدراسات تحاول القيام بتوظيف عوامل معينة مثل الرضا الزوجي على سبيل المثال لدراسة مثل هذه التفاعلات وذلك في ظل أحداث سلوكية موضوعية على أن تتم هذه المحاولة بنفس الطريقة التي يتم بها تقييم الانغماس الوالدي في أنشطة العناية بالطفل مثلاً سواء تم ذلك عن طريق التقارير الوالدية أو عن طريق الملاحظة .

وهكذا فإن نمط الأسئلة التي تثار في الدراسات الأخرى والتي يتم فحصها في ضوء تلك الآثار من الدرجة الثانية يبدو مختلفاً وذلك اعتماداً على ما إذا كان الباحث يستخدم مقاييس للملاحظة أو يقوم باستنتاج تفسيرات معرفية للخبرة . ونتيجة لذلك فإنه قد يتم تقسيم مراجعة الدراسات التي تتناول العلاقات المتبادلة للأنساق الفرعية الأسرية إلى مجموعتين مختلفتين يمكن تناولهما على النحو التالي :

١ - الدراسات التي تتناول السلوك الوالدي في مرحلة المهد والذي يتم توجيهه إلى الطفل .
Situ behavioural investigations.

٢ - الدراسات التي تتناول التفسيرات المعرفية للخبرة .

أولاً : السلوك الوالدي الموجه نحو الطفل في مرحلة المهد :

من بين التصميمات التي يتم استخدامها لتقييم الآثار السلوكية لأحد الوالدين كالأب مثلاً على التفاعل الذي يحدث بينه وبين شخصين آخرين كالأم والطفل الرضيع على سبيل المثال ذلك التصميم الذي يقوم على مقارنة السلوك الموجه نحو الطفل من الوالدين والسلوك الذي يصدر عن الطفل في الجماعات التي تضم أحد الوالدين أو كليهما . إلا أن هذا التصميم يتجاهل القوى النوعية للعلاقة التي تضم الزوج والزوجة والعلاقة التي تضم أحدهما والطفل ، ولكنه في الوقت ذاته يثير التساؤل حول ما إذا كانت هناك أي آثار بنيوية تؤثر على التفاعل في الجماعات المختلفة التي تتم فيها تنشئة الطفل اجتماعياً . ومن الملاحظ أن الدراسات من هذا النوع تغطي الفترة التي تمتد منذ ميلاد الطفل وحتى المرحلة التي يصبح فيها هذا الطفل متحركاً أي أنها تغطي مرحلة

المهد سواء تم إجراؤها في المستشفى أو في المعمل أو في المنزل في ظل ظروف تتعلق بتركيب الجماعة تتغير تجريبيًا أو طبيعيًا . ومن بين تلك الدراسات التى تمثل هذا النوع دراسات باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke & O'Leary ولام (١٩٧٦، ١٩٧٨) Lamb وككلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke-Stewart وبلسكى (١٩٧٩) Belsky وبيدرسين وآخرين (١٩٨٠) Pedersen, et al. وقد كشفت غالبية هذه الدراسات عن نتائج ثابتة فيما يتعلق بالأطفال الرضع منذ الشهر الخامس من أعمارهم وحتى نهاية مرحلة المهد . وبوجه عام كانت معدلات التفاعل بين الوالد والطفل الرضيع مرتفعة وذلك بشكل ثابت فى الجماعات الثنائية قياسًا بالجماعات الثلاثية . واتضح أيضًا أن أثر تركيب أو تكوين الجماعات كان يبدو عامًا حيث كان يتضح فى مدى كبير من أنماط السلوك التى تصدر عن كل من الوالدين والطفل ، أما وجود الأم أو الأب فى موقف التفاعل فقد كان له نفس الأثر على تفاعل الوالد الآخر مع الطفل الرضيع . إلا أن باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke & O'Leary قد توصلا فى دراستهما التى أجريها على المواليد الجدد فى المستشفى إلى نتائج تختلف جزئيًا عن ذلك حيث يريان أن معدلات ابتسام كل من الأم والأب للطفل كانت تزداد فى وجود الآخر قياسًا بما كان يفعله كل منهما فى غياب الآخر ، إلا أن هناك بطبيعة الحال الكثير من الأنماط السلوكية الأخرى التى تصدر عنهما يتناقض معدها فى المواقف الثلاثية .

وعلى الرغم من وجود العديد من النتائج الثابتة فى الدراسات النفسية التى تم إجراؤها فى هذا الصدد فإن ذلك يحمل بطبيعة الحال العديد من النقاط ذات الأهمية والتى يتمثل أولها فى التعرف على الواقع الإيكولوجى (البيئى) الذى يحدث فيه تفاعل كل من الوالدين مع الطفل الرضيع . ويتضح من خلال السجلات التى قام الوالدان بحفظها والتى تغطى فترة زمنية مدتها أسبوع وجود فروق واضحة فى السياق الاجتماعى الذى يوفره كل من الوالدين لتفاعلات الطفل (Pedersen, et al., 1979) . وبالنسبة للأم كانت الجماعة الاجتماعية التى تضم الطفل فى ظل التقسيم التقليدى للعمل الذى يضطلع فيه الأب بمسئوليات كسب العيش هى جماعة ثنائية تضم شخصين فقط هما الأم والطفل دون أن يكون الأب موجودًا ، أما الجماعة الاجتماعية التى تضم الأب مع الطفل فهى جماعة ثلاثية بطبيعة الحال حيث تضم الأم إلى جانبها . وهذا يدل على أن البيئة الطبيعية

لتفاعل الأب مع الطفل تزداد في الضعف النسبي قياسًا بما يمكن أن نستنتجه من تلك النتائج التي كشفت عنها الدراسات المختلفة التي كان يتم فيها ملاحظة تفاعل كل والد مع الطفل ممثلًا بذلك مجموعة مستقلة للمقارنة . وربما يرجع ميل العديد من الآباء إلى الانغماس في أقساط من اللعب الاجتماعي العنيف والمثير كما يرى لام (Lamb ١٩٧٧) وكلارك - ستيوارت (١٩٧٨) Clarke - Stewart جزئيًا إلى استجابتهم لأفضلية المعدلات المنخفضة للتفاعلات التي تحدث في الجماعات الثلاثية .

وفي الوقت الذي قامت فيه الدراسات التي عرضنا لها في هذا القسم من الفصل الحالي بالتركيز على معدلات متغيرة للتفاعل بين الوالد والطفل في الجماعات الثنائية والثلاثية يصبح من المهم بالنسبة لنا أن ندرك أن الجماعة الثلاثية تتضمن احتمال قيام علاقة ثنائية إضافية تتمثل في ذلك التفاعل الذي يحدث بين الزوج والزوجة . ويتضح من خلال الملاحظات التي تمت في هذا الإطار أن كلا النوعين من الجماعات بما يتضمنه من تفاعلات ينتشر تمامًا كالآخر بين تلك الأسر التي تضمنتها عينة هذه الدراسات (Pedersen, et al., 1979) . وقد اتضح من خلال ملاحظتنا لعينة ضمت أسر الأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم والتي شملتها دراستنا التي قمنا بإجرائها في هذا المجال أن نسبة ٥١٪ من فترات الملاحظة التي كان يتواجد فيها كل من الأم والأب والطفل معًا بالمنزل كانت تتضمن تفاعلًا بين الوالدين . وتسمح لنا هذه الملاحظات أن نقوم بفحص التداخل بين التفاعلات الوالدية والسلوك الذي يشمل الطفل وذلك في سبيل فهم الأساليب التي تختلف بمقتضاها جماعة ثلاثية تتضمن الأم والأب والطفل في حجمها ودينامياتها عن جماعة ثنائية تضم أحد الوالدين والطفل فقط .

وللتعرف على ما إذا كان هناك تزامن بين تفاعل الزوج مع الزوجة والسلوك الذي يتضمن الرضيع تمت ملاحظة ثلاثتهم طبقًا لوجود أو غياب أحد الزوجين عن التفاعل ، كما تمت مقارنة معدلات السلوك الموجه نحو الطفل أثناء تفاعل الوالدين معًا وأثناء عدم تفاعلها معًا . كذلك فقد تمت تحليلات أخرى لسلوك الأم والأب الموجه نحو الطفل وسلوك الطفل الموجه نحو أي منهما ، وقد أوضحت النتائج وجود تزاوج أو توليف معقد للسلوك في الجماعة الثلاثية .

ومن ناحية أخرى توضح النتائج أن السلوك يتطلب تركيزًا كبيرًا نسبيًا للانتباه من جانب الوالد كأن يبقى على التواصل بالعين مع الطفل مثلاً والتحدث إليه والابتسام له واللعب معه وذلك بأساليب مختلفة ، ولكن حينما يحدث تواصل أو تفاعل نشط بين الوالدين يصبح من شأنه أن يعوق التواصل بين الوالد والطفل ، وحينما لا يحدث هذا التواصل بين الوالدين تكون الأنماط السلوكية التي تحدث في ذلك الوقت أكثر قوة . أما الأنماط السلوكية التي تتطلب قدرًا أقل من تركيز الانتباه كحمل الطفل وهزه أو أرجحته وإطعامه طعامًا جامدًا أى صلبًا فلا تتأثر بها إذا كان هناك تواصل بين الوالدين وبعضهما البعض أم لا . إلا أن هناك استثناء واحدًا لهذا النمط يتمثل في إرضاع الطفل من ثدى الأم أو من زجاجة الرضاعة حيث كان ذلك شائعًا بدرجة كبيرة خلال الأوقات التي كان يتفاعل فيها الزوج والزوجة معًا . ويمثل هذا السلوك نقطة تقاطع بين سلوك الوالد تجاه الطفل وسلوك الزوج تجاه الزوجة ، إذ قد يقوم كلا النمطين بتعزيز النمط الآخر بالتبادل . ومن المحتمل أن يقوم إرضاع الطفل بتهديته نشاطه الموجه نحو البيئة الخارجية وذلك بنفس الطريقة التي ينجذب بها كلا الوالدين لبعضهما البعض ويبدأن في التحدث إلى بعضهما خلال تلك الفترات .

كذلك فقد كان هناك نمطان دالان من التفاعل يتضمنان جنس الوالد والظروف التي يتم فيها التفاعل بين الوالدين . كما أن معدلات التحدث إلى الطفل واللعب معه والذي يتضمن توجيه انتباهه إلى الألعاب قد ازدادت بشكل دال بالنسبة للأمهات قياسًا بالآباء وذلك في الوقت الذي لم يحدث فيه تواصل بين الوالدين . وتوضح النتائج أيضًا أنه بالنسبة للسلوك المتزامن الذي يتعلق بالتواصل بين الطفل والوالدين فإن الأم والطفل ينجذبان لبعضهما البعض بعدد من الأساليب المختلفة وبشكل أقوى مما يحدث بين الأب والطفل .

ويوضح تقييم سلوك الطفل الموجه نحو كل من الوالدين وعلاقته بالتواصل الذي يحدث بينهما - الوالدين - نتائج مشابهة ، إذ أنه في الفترات التي لم يكن يحدث فيها تواصل بين الوالدين وعندما كان يتزايد معدل التفاعل الاجتماعي مع الطفل كانت تزداد أيضًا معدلات سلوك الطفل الموجه اجتماعيًا نحو كل من الأم والأب . كما كان هناك أيضًا أثر دال للتفاعل بين جنس الوالد وبين التواصل الذي يحدث بين الوالدين وذلك

على نظرات الطفل إلى وجه الوالد ، فقد أوضحت النتائج زيادة في نظرات الطفل إلى الأم أكثر من نظراته إلى الأب ، وهى النتيجة التى يزداد احتمال توازئها للتفاعل الإحصائى الذى يرتبط بقيام الأم بالتحدث إلى الطفل . وتتجاوز هذه النتائج بطبيعة الحال مجرد توضيح حدوث تواؤم في معدلات السلوك من جانب شريك اجتماعى واحد أو اثنين حيث تكشف عن شبكة معقدة للسلوك تتناظر مع سلوك الوالدين تجاه بعضها البعض . وقد تعمل الجماعة الثلاثية التى تتشكل نتيجة لوجود الأب في الموقف على توفير فرص فريدة للتعلم بالنسبة للطفل وتساهم في زيادة مخزونه السلوكى .

ويتمثل أحد التساؤلات الهامة التى تقوم ملاحظات التفاعل الزوجى والوالدى على تناولها في ما إذا كانت العلاقات التى تنشأ في تلك الجماعات تدعم بعضها البعض أو تتصارع مع بعضها البعض . ويمكننا أن نصل إلى بعض الاستنتاجات التى تتعلق بذلك من خلال نتائج الدراسات الوصفية التى عرضناها من قبل . ففى الأسرة التى تعمل على التنظيم التقليدى للأدوار نجد أن الأم قد ترغب في القيام بالتفاعل مع شخص راشد بعد فترات طويلة تقضيها في العناية بالطفل والقيام بالمهام المنزلية ، كما أن الأب هو الآخر قد يرغب في مناقشة أموره الخاصة معها . وقد يتمثل أحد الحلول لهذه الحاجات في التنسيق بين فترات تفاعل الزوجين وبين إرضاع الطفل ، وهو ما يعتبر دمجاً للأنشطة التى تختلط معاً بالفعل . وإذا ما رغب أحد الوالدين في الانغماس في أنشطة أكثر استقلالاً أو في القيام بالمهام الأسرية التى تتطلب قدرًا معقولاً من الانتباه فإن الوالد الآخر قد يجد أن هذه الفترات تعتبر مناسبة تمامًا كى يولى الطفل الرضيع مزيداً من الانتباه . وعلى أى حال فإن مثل هذه الفترات لا تتسق مع تفاعل الزوجين معاً ، وأن محاولة القيام بمثل هذه التغيرات من المحتمل أن تعمل على إدخال حاجات تنافسية في مجال الانتباه . وهناك بديل آخر يتمثل في إدراك أن تنظيم تفاعل الزوجين معاً وتفاعل كل منهما أو كليهما مع الطفل يمكنه توجيه الانتباه إلى الطفل أو إلى الزوجين ، وبذلك يتم تلبية حاجات كل عضو من أعضاء الأسرة للتفاعل الاجتماعى دون أن يتم وضع أى عضو في موضع تنافس مع عضو آخر .

ومن ناحية أخرى فقد استخدم بلسكى (Belsky (١٩٧٩ إستراتيجية تحليلية بديلة تركز على الفروق الفردية في أنماط التفاعل وذلك في دراسته لعينة من الأسر التى لديها أطفال رضع يبلغون الشهر الخامس عشر من أعمارهم ، واستخدم فيها خطة للملاحظة

اقتبسها من تلك الخطة التي قام بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, et al. بتطويرها حتى تسمح بالتفسير التلقائي للتفاعلات التي تحدث بين الوالد وبين الطفل الرضيع والتفاعلات التي تحدث بين الزوج والزوجة . وتم تصنيف التفاعلات التي تحدث بين الزوج والزوجة إلى تلك التفاعلات التي ترتبط بالطفل الرضيع ، وتلك التي لا ترتبط به . وتم بعد ذلك حساب معاملات الارتباط بين الدرجات التي تم الحصول عليها في كل فئة من هاتين الفئتين وبين معدلات تفاعل كل من الوالدين مع الطفل .

وقد تمثلت النتائج الرئيسية لهذه الدراسة في أن مضمون التفاعل اللفظي بين الزوج والزوجة يؤثر على السلوك الوالدي سواء كان لهذا المضمون أثر معزز أو مسبب للصراع . كما أن المحادثات التي كانت تدور بين الوالدين حول الطفل كانت ترتبط إيجابياً بعدد من المقاييس التي تتناول التفاعل بين الأب والرضيع . أما تكرار المحادثات الأخرى فقد ارتبط سلباً بسلوك الأب على الرغم من أنه كان من النادر أن تكون مثل هذه الارتباطات ذات دلالة . أما بالنسبة للأمهات فلم يوجد سوى القليل من الارتباطات هي التي كانت ذات دلالة إحصائية .

وفي تفسيره لهذه النتائج يرى بلسكى Belsky أن التفاعلات التي تحدث بين الزوج والزوجة وخصوصاً ما يتعلق منها بطفلها يكون لها أثرها الذي يعمل على تعزيز وتدعيم العلاقة بين الأب والطفل بشكل يفوق أثرها على العلاقة بين الأم والطفل . كما أن التفاعلات الأكثر تكراراً بين الأب والطفل قد تعمل على إثارة المحادثات بين الوالدين وذلك في أمور تتعلق بطفلها . وقد قام بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, et al. بإجراء تحليلات مشابهة على ملاحظاتهم للأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من أعمارهم . وكانت النتائج التي توصل إليها تتفق بوجه عام مع تلك التي توصل إليها بلسكى Belsky فيما يتعلق بكل من اتجاه العلاقة بين الزوج والزوجة والتميز في محتوى التفاعل بينهما . كما كان للتفاعلات التي ترتبط بالطفل والتي تحدث بين الزوج والزوجة العديد من الارتباطات الإيجابية الدالة مع معدلات تفاعل الأب مع الطفل ، في حين كانت الارتباطات التي تمت بين هذه التفاعلات الوالدية وبين معدلات تفاعل الأم مع الطفل سالبة ونادراً ما كانت دالة . وبوجه عام فإن نتائج هاتين الدراستين تلفت الانتباه

إلى ذلك الدور الوسيط الذى يمكن أن تلعبه العلاقة بين الزوج والزوجة على السلوك الوالدى .

ثانياً : التفسيرات المعرفية للخبرة :

غالبًا ما تتسم المتغيرات التى تصف العلاقات الزوجية بالتجريد النسبى وإمكانية الاستدلال عليها واستنتاجها وتلخيصها عبر قنوات زمنية طويلة سواء ارتكزت هذه المتغيرات على التقديرات الإكلينيكية للملاحظين أو على التقارير الذاتية التى يتم الحصول عليها من خلال الاستبيانات والمقابلات . وعلى هذا تصبح الأبعاد التى تتصف بغناها بالتضمنيات السيكلوجية هى الأكثر صعوبة فى ربطها بمحركات موضوعية إذ يجب أن نفهم ما تعنيه نظرة الملاحظ مثلما يجب أن نعى الواقع الذى تحاول أن تدركه . وفى نفس الوقت توضح الدراسات التى تركز على التفسيرات المعرفية للخبرة وجود تقارب فكرى كاف يسلم بأنها تحمل واقعًا سيكلوجيًا له دلالتة ومغزاه .

ويصور باولبى (Bowlby) (١٩٦٩) والذى يعتبر بمثابة البعبع Bete noire للعديد من المنظرين الذين حاولوا دراسة الخبرة المبكرة التى تكمن خلف تلك العلاقة التى تجمع بين الأم وطفلها الرضيع ، يصور الأب بطريقة تؤكد على التأثير من الدرجة الثانية أو غير المباشر الذى يحدثه فى هذا الصدد . ويرى أن الدور الأولى والأساسى الذى يضطلع به الأب يتمثل فى توفير الدعم المالى والمساندة الانفعالية للأم ، وبالتالى يعزز من تلك العلاقة التى تنشأ بينها وبين الطفل الرضيع .

وعلى الرغم من أن بالولبى Bowlby لم يكن مهتمًا بآثار التغير والاختلاف فى قدرة الأب أو رغبته وإرادته كى يوفر للأم هذا الدعم وتلك المساندة ، فإن هذا التساؤل يعتبر امتدادًا طبيعيًا للإطار النظرى الذى قام بصياغته . وقد قام بارى (Barry) (١٩٧٢) بتطوير هذا الخط من التفكير وذلك فى مراجعته للدراسات التى تناولت العوامل التى تؤثر على الرضا الزوجى أو السعادة . وقام بإلقاء الضوء على تلك النتائج التى تكشف عن أنه يمكن من خلال خلفية الزوج (الأب) كنضجه الانفعالى على سبيل المثال وهوية الدور الجنسى الثابتة لديه ومستواه التعليمى والمهنى التنبؤ بالرضا الزوجى للزوجة ، إلا أنه لم يجد سوى ارتباطات قليلة مشابهة فيما يتعلق بالخصائص المميزة لخلفية الزوجات أنفسهن .

وقد أدى به ذلك إلى استنتاج أن هذه الجوانب المميزة للآب تعتبر بمثابة إشارات ودلائل على قدرته لأن يقدم المساندة الانفعالية لزوجته من خلال علاقتها الزوجية . وافترض بارى Barry أن تلك المساندة الانفعالية تعتبر من أهم العوامل خلال الفترات التي تتسم بحدوث تحول في الدور ، وأن التحول من دور الزوجة إلى دور الزوجة والأم يعتبر أكثر شمولاً من ذلك التغير الموازى الذى يحدث بالنسبة للرجال .

وهناك دراسات عديدة تقدم تأييداً مباشراً لذلك الرأى الذى يعتبر أن المساندة الانفعالية التى يقدمها الزوج لزوجته والعلاقات الزوجية الأكثر إشباعاً لها أثرها الذى يعمل على تدعيم وتعزيز مدى كفاءة الأم وإحساسها بالرفاهية والسعادة . وكذلك فإن المساندة الانفعالية التى يقدمها الزوج لزوجته خلال فترة الحمل تساهم فى حدوث تكيف أكثر نجاحاً من جانبها للحمل (Shereshfsky & Yarrow, 1973) . كما أن وجود الزوج مع الزوجة أثناء الولادة يرتبط بحدوث انخفاض فى حاجتها إلى الرعاية الطبية التى تعمل على التخفيف من آلامها ومرورها بخبرة أكثر إيجابية (Henneborn & Cogan, 1975) .

وتعتبر المساندة والتشجيع من جانب الزوج لزوجته عاملاً أساسياً فى قيامها كأم بعملية إرضاع ناجحة ومشبعة للطفل وذلك من ثديها (Switzky, et al., 1979) . وتؤكد الدراسات التى تناولت مدى كفاءة الأم فى إرضاع الطفل سواء من ثديها أو من زجاجة الرضاعة وحساسيتها لحاجات طفلها الرضيع وتكيفها معها على أهمية تشجيع الزوج لها ومساندته لها انفعالياً (Price, 1977; Pedersen, 1975) . وإلى جانب ذلك فإن الأعراض الاكتئابية التى تظهر على بعض الأمهات أثناء فترة ما بعد الولادة ترتبط بالبرود الانفعالى من جانب الأزواج وبعدهم عنهن (Kaplan & Blackman, 1969) . كما ترتبط أيضاً بالزيجات التى تتسم بوجود درجة مرتفعة من التميز فى الأدوار (Oakley, 1979) .

وتؤكد جروسمان وآخرون (Grossman, et al. ١٩٨٠) فى الدراسة التى أجروها على عينة من الأسر خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل وحتى نهاية العام الأول بعد الولادة ذلك النمط الكلى للأداء الوالدى والزواجى إذ توصلوا من خلال التحليلات

العديدة التى قاموا بإجرائها إلى أن العلاقة الزوجية التى تم تقييمها خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل كانت تعتبر مؤشراً قوياً للتوافق النفسى للأم خلال الشهرين التاليين للولادة بل وخلال العام التالى للولادة . وتمثلت المقاييس التى تم استخدامها فى مقياس لوك - والاس Lock - Wallace للتوافق الزوجى ، والتقديرات التى تم الحصول عليها من المقابلات التى أجريت مع الأمهات فى سبيل تقييم مدى سعادتهن انفعالياً ، إلى جانب مقياسين آخرين للقلق والاكتئاب . وكشفت النتائج عن وجود ارتباط بين معاملة الأم لوليدها الجديد وبعض جوانب ترتبط بأداء الزوج . فكان مستوى القلق عند الزوج ، وعمره الزمنى ، ورضاه الزوجى يرتبط بمهارة الأم فى معاملة طفلها ومقدار ما توفره له من دفء كما يقاس من خلال الملاحظات والمقابلات . واتضح بوجه عام أن الارتباط السيكولوجى لهذه المتغيرات خلال تلك المتغيرات التى تمت فيها عملية التقييم هذه كان أكثر ارتفاعاً بالنسبة للزوجين الذين أصبحوا والدين للمرة الأولى قياساً بأولئك الذين كان لهم خبرة أكبر فى الوالدية أى الذين أصبحوا آباء وأمهات للمرة الثانية أو الثالثة مثلاً . وهذا يدل على أن التحول الأولى باتجاه الوالدية يتأثر بشدة بردود الفعل السيكولوجية لكل من الأم والأب فى حين يتأثر توافقهما مع الأطفال التاليين بالظروف الخارجية وذلك بدرجة أكبر .

ويتفق بارنارد (Barnard ١٩٨٠) مع ما تراه جروسمان وآخرون (١٩٨٠) Grossman, et al. فيما يتعلق بأهمية المساندة الانفعالية التى يقدمها الأب والأم وذلك فى دراسته الطولية التى أجراها على عينة من الأسر منذ فترة الحمل وحتى العام الرابع من عمر الطفل إذ كشفت النتائج أن تقرير الأم عن مدى مشاركة الأب لها خلال فترة الحمل كشعوره تجاه الحمل مثلاً ، وما إذا كانت ترى أنه يقدم لها المساندة الانفعالية والجسمية أم لا كانت ترتبط بشكل ثابت بمدى انغماس الأم فى حياة طفلها ومدى استجابته له وذلك خلال الأعوام الأربعة الأولى من حياته كما تقاس من خلال الملاحظات التى تم القيام بها .

وأخيراً توضح الدراسات التى تناولت مسألة الطلاق كدراسات هيدرنجتون وكوكس وكوكس (Hetherington, Cox, & Cox ١٩٧٨) وهيس وكامارا (١٩٧٩) Hess & Camara على سبيل المثال أنه خلال الفترة التالية لحدوث الانفصال بين

والوالدين يرتبط وجود علاقة تنسم بشدة الصراع والخلاف بين الأم والأب باضطراب الأداء والتفاعل بين الوالد والطفل . إلا أن استعادة العلاقة السليمة بين الزوجين (السابقين) تؤدي إلى مزيد من التفاعل الإيجابي بين الوالد والطفل حتى وإن كان الوالدان يعتمدان في ذلك على نظم وأساليب معينة تبقى على هذا الوضع كما هو ولا يعتمدان على العلاقة الزوجية نفسها .

وعلى الرغم من وجود هذا النمط الثابت لتلك النتائج فإننا يجب أن نسأل عن ماهية المقومات السيكلوجية للمساندة الانفعالية . وقد تبدو الإجابة عن هذا التساؤل في جزء منها مجرد تكرار للمعنى لا يزيده قوة أو وضوحاً إذ غالباً ما يقوم الباحثون بالبحث فقط عما إذا كانت الأم تعتبر الأب مصدرًا لهذه المساندة أم لا ، فالمساندة الانفعالية إذن هي ما تدركه الأم على أنه كذلك . أما التعريفات الأكثر موضوعية للمساندة الانفعالية emotional support فتتضمن التقييم الإيجابي من جانب الأب لسلوك الأم تجاه الطفل (Pedersen, 1975) ، والاتفاق بين الوالدين على الأساليب التي سوف يقومان باستخدامها في تربية الطفل والأهداف الخاصة بذلك (Dickie, et al., 1980) وسهولة التواصل والتفاعل بين الوالدين في الأمور التي تتعلق بالطفل أو بمشاعرهما الخاصة (Heath, 1976; Painter, 1980) . ومن الملاحظ أن المساندة الانفعالية بالنسبة للعديد من الأسر تعتبر مستقلة تمامًا عن مقدار مشاركة الأب في العناية بالطفل . ويتفق ديكاي وآخرون (Dickie, et al., 1980) مع بينتر (Painter, 1980) وبارنارد (Parnard, 1980) في أن العلاقة النفسية بين الوالدين تعتبر أكثر أهمية من مقدار ما يلعبه مدى مشاركة الأب في العناية بالطفل في تحديد مدى استجابة الأم للطفل ، وانغماسها في حياته، ومدى إحساسها بكفاءتها في هذا الجانب .

ولا يوجد هناك سوى عدد قليل نسبيًا من الأبحاث التي أجريت على مدى استفادة الأب من المساندة الانفعالية التي يقدمها لزوجته في إقامة علاقة فعالة ومؤثرة بينه وبين طفله الرضيع . ويرجع السبب في تجاهل هذا الموضوع من جانب الباحثين إلى انتشار أو سيادة تأثير أنماط الدور الجنسي التي تحدد الحد الأدنى لأهمية علاقة الأب المباشرة بطفله الرضيع ، وإدراك أن الأم أثناء التأكيد على أولية علاقتها بالطفل الرضيع في الأهمية تنسم نسبيًا بالاعتمادية والضعف وبحاجاتها الزائدة إلى المساندة . ونظرًا لأن انغماس الأب

بدرجة مرتفعة في حياة الطفل الرضيع يتناقض مع القيم التقليدية تصبح القضية إذن أن الأب يحتاج مع ذلك بوجه خاص إلى المساندة الانفعالية للقيام بدوره الوالدى . وقد يكون الموقف مشابهًا لموقف عمل الأم خارج المنزل وانضمامها للقوى العاملة حيث يتطلب ترك نمط سلوكى مجاز ثقافيًا نسقًا للتأييد والمساندة داخل الأسرة وخارجها (Hoffman & Nye, 1975) .

وتوضح الدراسات التى قامت بفحص أثر علاقات المساندة التى تنشأ بين الوالد وبين شخص راشد آخر يكون فى الغالب هو الزوج الآخر وذلك على علاقته بطفله الرضيع اتفاقًا كبيرًا فى النتائج التى كشفت عنها حيث كان كل من الأب والأم يستفيد بدوره من المساندة الانفعالية التى يقدمها له شريكه . وقد وجد ديكاي وآخرون (Dickie, et al. ١٩٨٠) آثارًا مشابهة ومتساوية بالنسبة للآباء والأمهات الذين يقومون بتقديم المساندة لبعضهم البعض فى الاستجابة المحتملة والمهارات والمعرفة والدفع العاطفى لكل والد تجاه الطفل الرضيع . ويؤكد فين (Fein ١٩٧٦) على أهمية النمط التكيفى للأب سواء كان هذا النمط هو النمط التقليدى الذى يقوم على كسب العيش أو النمط غير التقليدى وذلك فيما يتعلق بقيم وتوقعات الزوجة والأم . أما الآباء الذين صادفوا صعوبات فى فترة ما بعد الولادة فكانوا غالبًا غير قادرين على تطوير دور مناسب يتفق مع توقعات شريكاتهم . وتؤكد الدراسات التى تناولت الآباء الذين خبروا اليأس والكآبة كما يرى زاسلو وآخرون (Zaslow, et al ١٩٨١) على مدى أهمية الوقت المتاح أمام الأب ليكون مع زوجته إضافة إلى كيف أو نوعية العلاقة التى تنشأ بينهما وذلك بالنسبة له . وبذلك يتضح أن النمط الذى تكشف عنه مثل هذه النتائج يتشابه بدرجة كبيرة مع ذلك النمط الذى تكشف عنه الدراسات التى تتناول أثر المساندة الانفعالية من جانب الأب على الأم والأمومة .

وعلى الرغم من تركز المناقشة هنا على دور المساندة التى تقدم من خلال العلاقة الزوجية فى تحقيق الوالدية الفعالة فيجب أن ندرك أن سمات الطفل الرضيع وحاجاته المتغيرة فى مختلف المراحل النهائية قد تعتمد أيضًا على هذه العلاقة الزوجية إذ يرى ليدرمان وسيشور (Leiderman & Seashore ١٩٧٥) على سبيل المثال أن الأسر التى مرت بتعقيدات ترتبط بولادة الطفل كالولادة المبكرة مثلاً قد مرت بمقادير متفاوتة من

التوتر ترتبط بالعلاقة الزوجية . كما أنه قد حدثت حالات طلاق خلال الفترة التى أجريت فيها الدراسة التتبعية وذلك فى الأسر التى خبرت ولادة مبتسرة أكثر مما حدث فى المجموعة الضابطة التى تتألف من الأسر التى تمت ولادة الأطفال فيها بعد فترة حمل كاملة . وقد يرجع ذلك إلى أن الصعوبات التى تواجه الأسرة فى مساندة الطفل ومتطلباته قد تزيد من حدة التوتر والصراع فى العلاقة الزوجية . وهناك نتائج أخرى توضح أن إدراك الطفل الرضيع من جانب الأسرة على أنه هادئ وغير مزعج أى يأكل جيداً ويتكيف بسهولة للنظام الذى يفرض عليه من جانب الأسرة وينام جيداً أثناء الليل، وما إلى ذلك يعتبر أقل ارتباطاً بالإحساس بالأزمة من جانب الوالدين فى المراحل الأولى للوالدية (Russell, 1974) . وقد تفرض الحاجات الخاصة التى تتطلبها رعاية طفل رضيع صغير فى السن نوعاً من التوتر على العلاقة الزوجية كإحساس الوالدين على سبيل المثال بعدم تفرغ كل منهما للآخر بالقدر الكافى ، فى حين نجد أن الطفل الأكبر سناً الذى يعتبر أكثر استكشافاً للبيئة من حوله قد يعمل على إيجاد نوع آخر من التوتر بسبب الخلافات الوالدية الحادة على وضع الحدود له على سبيل المثال . وهكذا فإن العلاقة الزوجية التى تتلقى المساندة المحتملة قد تتأثر بشكل انتقائى بالمشكلات التى تثيرها الخصائص التى تتعلق ببيئة الطفل أو مزاجه ، بالإضافة إلى تلك المطالب الوالدية المتغيرة فى مختلف المراحل النمائية .

وتفترض كوك (Cook ١٩٧٩) احتمال وجود تفاعل إحصائى بين سمات الرضيع وبين الرضا الزوجى يؤثر على العلاقات المتبادلة بين الوالد والرضيع . ولذا قامت فى دراستها بتصنيف الأطفال الرضع إلى مرتفعى ومنخفضى التنظيم السلوكى وذلك اعتماداً على مقاييس تقييم سلوك المواليد الجدد التى أعدها برازيلتون Assessment Scales Brazelton Neonatal وقياس الرضا الزوجى باستخدام مقياس لوك - والاس Locke - Wallace . أما تبادلية العلاقة بين الوالد والرضيع فتم تحديدها من خلال تسجيل الفيديو لموقف يتضمن التفاعل وجهاً لوجه بين الوالد والرضيع عندما كان ذلك الرضيع يبلغ من العمر شهراً واحداً .

وقد تمثلت أكثر أنماط التفاعل إيجابية بين الوالد والرضيع بغض النظر عن جنس الوالد الذى كان يشترك مع الرضيع فى ذلك التفاعل تمثلت فى تلك التفاعلات التى

اشترك فيها أولئك الآباء والأمهات الذين قرروا أنهم يتمتعون بمستويات مرتفعة من الرضا الزوجي وأن طفلهم الرضيع يعتبر ذا نظام عضوى متكامل . وقد أظهر الأزواج والزوجات مرتفعو الرضا الزوجي تبايناً ضئيلاً في درجاتهم الدالة على تفاعلهم مع أطفالهم الرضع وهو ما يؤكد أن الرضا الزوجي يمكنه أن يخفى أثر الفروق في النظام العضوى التكامل للرضيع . أما الزوجات والأزواج ذوو التوافق الزوجي المنخفض فقد بدوا أكثر تأثراً بنوعية الطفل الرضيع التى كان عليهم أن يقوموا بالتوافق معها . وعلاوة على ذلك فقد كان هناك ميل من جانب الآباء كى يصبحوا أكثر تأثراً من الأمهات بالمستوى التنظيمى الذى كان عليه أطفالهم الرضع . وبالتالى فإن مثل هذه الدراسات تثير فروعاً شيقة تعتبر جديرة بالاهتمام وخاصة فيما يتعلق بالرؤية الشاملة للأداء الوالدى والزواجى .

ومن الجدير بالذكر أن مراجعة نماذج للتفاعل بين العديد من الأنساق الفرعية الأسرية تفتح الباب أمام عدد من التساؤلات مالت إستراتيجية الدراسات الوصفية الشاملة إلى تجاهلها ، وبالتالى يمكن الإجابة عنها من خلال إجراء دراسات جديدة . وإذا ما نظرنا إلى آثار الأب على نمو الطفل من منظور النسق الأسرى فسوف نجد أن مثل هذه الآثار تبدو أكثر تعقيداً .

كذلك لا يجب ان ننظر إلى العلاقة بين الأم والطفل الرضيع والعلاقة بين الأب والطفل الرضيع على أنها تنشأ فى فراغ سيكلوجى مسترشدين فى ذلك بما تم من أبحاث فى الماضى إذ سيكون ذلك ضرباً من الخيال بل يجب أن نستبدل تلك النظرة بمزيد من المحاولات الطموحة فى سبيل وضع إطار نظرى مفاهيمى حول مدى متسع من الخبرات التى ترتبط بالسببية النفسية داخل الأسرة ومزيد من الأفكار الأكثر تعقيداً حولها .

* * *

مراجع الفصل التاسع

- Aldous, J. (1977). Family Interaction patterns. Annual Review of Sociology, 3, 105-135.
- Bakan, D. (1966). The duality of human existence. Chicago :Rand McNally.
- Barry. W. A. (1970). Marriage research and conflict : An integrative review. Psychological Bulletin, 73, 41 – 54.
- Belsky, J. (1979). Mother-father-infant interaction :A naturalistic observational study. Developmental Psychology, 15, 601-607.
- Belsky, J. (1979). The interrelation of parental and spousal behavior during infancy in traditional nuclear families :An exploratory analysis. Journal of Marriage and the Family, 41, 749-755.
- Bem. S. L. (1974). The measurement of psychological androgyny. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 42, 155-162.
- Bem, S. L., & Lenny, E. (1976). Sex typing and the avoidance of cross-sex behaviour. Journal of Personality and Social Psychology, 33, 48-54.
- Bem, S. L., Martyna, W., & Watson, C. (1976). Sex typing and androgyny: Further explorations of the expressive domain.. Journal of Personality and Social Psychology. 34., 1016-1023
- Barnard, K. E. (1980). Maternal involvement and responsiveness: Definition and developmental course Paper presented at the Second international Conference on Infant Studies. New Haven. Conn.
- Block J. H., (1973). Conceptions of sex role: Some cross-cultural and longitudinal perspectives, American Psychologist, 28, 512-526.
- Bottoms. S. F., Rsoen, M. G., & Sokol, R. J. (1980). The increase in the cesarean birth rate. New England Journal of Medicine, 302, 559-563.
- Bowlby, J., (1969). Attachment and loss. Vol. I. Attachment. New York: Basic Books.
- Bradley, C. (1977). The effects of hospital experience on postpartum feelings and attitudes of women. Unpublished doctoral dissertation., University of British Columbia.

- Bronfenbrenner, U. (1974). Developmental research, public policy and the ecology of childhood. *Child Development*, 45,1-5.
- Clarke-Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three: The father's impact on mother and young child. *Child Development*, 49, 466-478.
- Cook, A. H. (1978). *The working mother: A survey of problems and programs in nine countries*. Ithaca, N. Y. : Cornell University Press.
- Cook, N. I. (1979). Analysis of marital and infant factors in evolving family relationships. Paper presented at the meeting of the Society for Research in Child Development, San Francisco, April.
- Dickie, J. R., Schuurmans, S. M., & Schang, B. J. (1980). Mothers, fathers, infants - What makes the triad work ? Paper presented at the meeting of the American Psychological Association, Montreal, September.
- Doering, S. G., & Entwisle, D. R. (1975). Preparation during pregnancy and ability to cope with labor and delivery. *American Journal of Orthopsychiatry*, 45,825-837.
- Fein, R. A. (1976). Men's entrance to parenthood. *Family Coordinator*, 25,341-348.
- Greenberg, M., & Morris, N. (1974). Engrossment: The newborn's impact upon the father. *American Journal of Orthopsychiatry*, 44, 520-531.
- Grossman, F. K., Eichler, L. S., & Winickoff, S. A. (1980). *Pregnancy, birth and parenthood*. San Francisco: Jossey Bass.
- Heath, D. H. (1976). Competent fathers: Their personalities and marriages. *Human Development*, 19, 26-39.
- Heilbrun, A. B. (1976). Measurement of masculine and feminine Sexrole identities as independent dimensions. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 44, 183-190.
- Henneborn, W. J., & Cogan, R. (1975). The effect of husband participation on reported pain and probability of medication during labor and birth. *Journal of Psychosomatic Research*, 19, 215-222.
- Hess, R. D., & Camara, K. A. (1979). Post-divorce relationships as mediating factors in the consequences of divorce for children. *Journal of Social Issues*, 35, 79-96.
- Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978). The aftermath of divorce. In J. H. Stevens, Jr., & M. Mathews (Eds.), *Mother-child, father-child, relationships*, Washington, D.C: National Association for the Education of Young Children.

- Hoffman, L. W. (1977). Changes in family roles, socialization, and sex differences. *American Psychologist*, 32, 644-657.
- Hoffman, L. W., & Nye, F. I. (1975). *Working mothers*. San Francisco: Jossey-Bass.
- Kaplan, E. H., & Blackman, L. H. (1969). The husband's role in psychiatric illness associated with childbearing. *Psychiatric Quarterly*, 43, 396-409.
- Klaus, M. H., & Kennell, J. H. (1976). *Parent-infant bonding*. St. Louis : Mosby.
- Lamb, M. E. (1976). Effects of stress and cohort on mother- and father - infant interaction. *Developmental Psychology*, 12,435-443.
- Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachment in the second year of life. *Developmental Psychology*, 13, 637-648.
- Lamb, M. E. (1978). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), *Social interaction analysis : Methodological issues*. Madison: University of Wisconsin Press.
- Lamb, M. E., Frodi, A. M., Hwang, C. P., & Frodi, M. (1982). Varying degree of paternal involvement in infant care. In M. E. Lamb (Ed.), *Nontraditional families*. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Leiderman, P. H., & Seashore, M. J. (1975). Mother-infant separation : Some delayed consequences. *Ciba Foundation Symposia*, 33 (New Series).
- Doering, S. G., & Entwisle, D. R. (1975). Preparation during pregnancy and ability to cope with labor and delivery. *American Journal of Orthopsychiatry*, 45, 825-837.
- Fein, R. A. (1976). Men's entrance to parenthood. *Family Coordinator*, 25, 341-348.
- Greenberg, M., & Morris, N. (1974). Engrossment :The newborn's impact upon the father. *American Journal of Orthopshychiatry*, 44, 520-531.
- Grossinan, F. K., Eichler, L. S., & Winickoff, S A., (1980). *Pregnancy, brith and parenthood*. San Francisco: Jossey - Bass.

- Heath, D. H. (1976). Competent fathers Their personalities and marriages. *Human Development*, 19, 26-39.
- Heilbrun, A. B. (1976). Measurement of masculine and feminine Sexrole identities as independent dimensions. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 44, 183-190.
- Hennebon, W. I., & Cogan, R. (1975). The effect of husband participation on reported pain and probability of medication during labor and birth. *Journal of Psychosomatic Research*, 19, 215-222.
- Hess, R.D., & Camara, K. A. (1979). Post-divorce relationships as mediating factors in the consequences of divorce for children. *Journal of Social Issues*, 35, 79-96.
- Hetherington, E. M., Cox, M., & Cox, R. (1978). The aftermath of divorce. In J. H. Stevens, Jr., & M. Mathews (Eds.), *Mother-child, father-child relationships* Washington, D.C: National Association for the Education of Young Children.
- Hoffman. L. W (1977). Changes in family roles, socialization, and sex differences. *American Psychologist*. 32. 644-657.
- Hoffman. L. W., & Nye, F. I. (1975). *Working mothers*. San Francisco : Jossey-Bass.
- Kaplan, E. H., & Blackman, L. H. (1969). The husband's role in psychiatric illness associated with childbearing *Psychiatric Quarterly*, 43, 396-409.
- Klaus, M. H., & Kennell, J. H. (1976). *Parent-infant bonding*. St. Louis : Mosby.
- Lamb, M. E. (1976). Effects of stress and cohort on mother - and father - infant interaction. *Developmental Psychology*, 12,435-443.
- Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachment in the second year of life *Developmental Psychology*. 13. 637-648.
- Lamb, M. E. (1978). The effects of the social context on dyadic social interaction . In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), *Social interaction analysis : Methodological issues*. Madison: University of Wisconsin Press.
- Lamb, M.E., Frodi, A. M., Hwang, C. P, & Frodi. M. (1982). Varying degree of paternal involvement in infant care. In M. E. Lamb (Ed.), *Nontraditional families*. Hillsdale, N, J. : Lawrence Erlbaum Associates.

- Leiderman, P. H., & Seashore, M. J. (1975). Mother-infant separation : Some delayed consequences. Ciba Foundation Symposia, 33 (New Series).
- Lewis, M., & Feiring, C. (1982). Direct and indirect interactions in social relations. In L. Lipsitt (Ed.), Advances in infancy research, Vol. 1. Norwood, N. J. : Ablex.
- Oakley, A. (1979). Becoming a mother. Oxford : Martin Robertson.
- painter, S. L. (1980). Maternal adaptation to parenthood. Unpublished doctoral dissertation, University of British Columbia.
- Parke, R. D., & O'Leary, S. (1976). Father - mother - infant interaction in the newborn period: Some findings, some observations, and some unresolved issues. In K. A. Riegel & J. Meacham (Eds.), The developing individual in a changing world, Vol.2. Social and environment issues . The Hague : Mouton.
- Parks, R.D., Power, T. G., & Gottman, J. (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), Social interactional analysis : Methodolical issues. Madison: University of Wisconsin Press.
- Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1968). The family in early infancy: Social interactional and attitudinal analysis. In F. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in the family setting. New York: Praeger.
- Parsons, T., & Bales, R. F. (1955). Family, socialization , and interaction process. Glencoe. Ill.: Free Press.
- Pedersen, F. (1975). Mother, father and infant as an interactive system. Paper presented at the annual convention of the American Psychological Association, Chicago.
- Pedersen, F. A., Anderson, B.J., & Cain, R. L. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age five months. In F. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship : Observational studies in the family setting. New York : Praeger.
- Pedersen, F. A., Cain, R. L., Zaslow, M. J., & Anderson, B. J. (1982). Variation in infant experience associated with alternative family roles. In L. Laosa & I. Sigel (Eds.) Families as learning environments for children. New York: Plenum.

- Pedersen, F. A., Yarrow, L. J., Anderson, B. J., & Cain, R. L. (1979). Conceptualization of father influences in the infancy period. In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.), *The child and its family*. New York: Plenum.
- Pedersen, F. A., Zaslow, M. J., Cain, R. L., & Anderson, B. J. (1982). Cesarean childbirth: psychological implications for mothers and fathers. *Infant Mental Health Journal*.
- Peterson, G. H., Mehl, L.E., & Leiderman, P. H. (1979). The role of some birth-related variables in father attachment. *American Journal of Orthopsychiatry*, 49, 330-338.
- Price, G. (1977). Factors influencing reciprocity in early mother-infant interaction. Paper presented at the meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Russell, C. (1974). Transition to parenthood : Problems and gratification. *Journal of Marriage and the Family*, 36,294-301.
- Russell, G. (1978). The father role and its relation to masculinity, femininity, and androgyny. *Child Development*, 49,1174-1181.
- Shereshesky, P. M., & Yarrow, L. 1. (1973). *Psychological aspects of a first pregnancy and early postnatal adaptation*. New York :Raven Press.
- Spence, J. T., & Helmreich, R. L. (1978). *Masculinity and femininity*. Austin : University of Texas Press.
- Svejda, M. J., Campos, J. J., & Emde, R. N. (1980). Mother-infant "bonding" Failure to generalize. *Child Development*, 51,775-779.
- Switzky, L.T., Vietze, P., & Switzky, H. (1979). Attitudinal and demographic predictors of breast-feeding and bottle-feeding behavior in mothers of six-week-old infants. *Psychological Reports*, 45, 3-14.
- Tanzer, C., & Block, 1. (1972). *Why natural childbirth?* New York :Doubleday.
- U.S. Department of Labor. (1979). *Working mothers and their children*. Washington, D. C.: U.S. Government Printing Office.
- Vietze, P. M., MacTurk R. H., McCarthy, M. E., Klein, R. P., & Yarrow, L. J. (1980). Impact of mode of delivery on father-and mother-infant interaction at 6 and 12 months. Paper presented at the International Conference on Infant Studies, New Haven, Conn., March.

- Vietz, P. M., & O'Connor, S. (1980). Mother-to-infant bonding: A review . In N. Kretchmer & J. Brasel (Eds.), Biomedical and social bases of pediatrics. New York : Masson.
- Wente, A. S., & Crockenberg, S. B. (1976). Transition to fatherhood: Lamaze preparation, adjustment difficulty and the husband - Wife relationship. The Family Coordinator, 25, 351-357.
- Young, S. F. (1975). Paternal involvement as related to maternal employment and attachment behavior directed to the father by the one-year-old infant. Unpublished doctoral dissertation, Ohio State University.
- Zaslow, M. J., Pedersen, F. A., Kramer, E. & Cain, R. L. (1981). "Postpartum depression" in new fathers. Paper presented at the meeting of the Society for Research in Child Development, Boston, April.

* * *

الفصل العاشر

الأب كعضو في شبكة العلاقات الاجتماعية للطفل

M. Lewis ميخائيل لويس

C. Feiring كانديس فيرنج

M. Weinraub مارشا وينروب

عندما بدأ لويس ووينروب (١٩٧٦) Lewis & Weinraub في تناول دور الأب في نمو الطفل قررا أنه من الضروري أن نقوم في سبيل ذلك بفهم الشبكة الاجتماعية الأكبر بالنسبة للطفل ، وهو ما افترضه وينروب وآخرون (١٩٧٧) Weinraub, et al. عند مراجعتهم الناقدة لنظرية التعلق ، والذي تم التوسع فيه بعد ذلك في عدد من الأبحاث إذ تناوله وينروب (١٩٧٨) Weinraub ولويس وفيرنج (١٩٧٨، ١٩٧٩) Lewis & Feiring ولويس (١٩٧٩) Lewis . ويعتبر الفصل الحالي بطبيعة الحال امتدادًا وتطورًا طبيعيًا لهذه الفكرة .

ومن الجدير بالذكر أنه كان من المقبول نسبيًا حتى وقت قريب أن تقول كما يدعى العديد من علماء النفس أن الأم تعتبر هي الموضوع الاجتماعي الوحيد الذي يمثل أهمية بالنسبة للرضيع . إلا أنه في الوقت الذي تغيرت فيه هذه الفكرة لا يزال التراث السيكولوجي حول هذا الموضوع يتناول دور الأم في نمو الطفل ، فتقوم العديد من الدراسات التي تتناول النمو الاجتماعي للأطفال بتفحص تلك العلاقة التي تنشأ بين الأم والطفل أو تفاعلها معًا . وعلى الرغم من عدم وجود اتجاه دقيق يقوم بدراسة العلاقة بين الأم والطفل في مقابل العلاقة بين الأب والطفل فإن عدد الدراسات التي تتناول الأم لا يزال متفوقًا على عدد الدراسات التي تتناول الأب أو الأسرة .

وإلى جانب ذلك فإن اللغة التي يستخدمها العلم مع تطوره لا تزال تعكس إنحيازًا إلى جانب الأم على أنها هي القائم الوحيد على تنشئة الطفل اجتماعيًا فيشير سنو (١٩٧٢) Snow على سبيل المثال إلى تلك اللغة التي يتم توجيهها إلى هذه الكائنات الصغيرة أي الأطفال ، وهي تلك اللغة التي تتسم جزئيًا بنغماتها العالية ، وبالحديث المبالغ فيه ، وبالتركيب المبسط للجمل التي تتضمنها ، يشير إليها بأنها نمط الحديث الموجه من شخص راشد إلى الطفل ويرى أنها ترتبط باللغة الأم وتتفرع عنها .

ويعكس انتشار عدد الدراسات التي تتناول العلاقة بين الأم والطفل حقائق معينة نقوم بتلخيصها في النقاط التالية:

أولاً: على الرغم من أن العديد من الباحثين يرون أن دراسة النمو الاجتماعى (والمعرفى) تتطلب تناولها من منظور أكثر اتساعاً من مجرد التركيز على تلك الجماعة الشائيه التى تتكون من الأم والطفل . (e.g, Lewis & Rosenblum, 1979) فإنه لا يوجد سوى عدد قليل نسبياً من الدراسات هى التى تناولته من هذا المنظور.

ثانياً: على الرغم من زيادة معدل توظيف الأمهات وزيادة عدد الأطفال الأصغر سناً الذين يذهبون إلى الحضانات ومراكز الرعاية النهارية (Bronfenbrenner, 1974) فإن غالبية الأطفال صغار السن لا تزال أمهاتهم هى التى تقوم على العناية بهم . وبسبب العوامل الاجتماعية والاقتصادية فإنه حتى أولئك الأطفال الذين يتلقون عناية بديلة كتلك التى توجد فى مراكز الرعاية النهارية يتلقون عادة عناية من أم أخرى غير أمهاتهم.

ثالثاً: على الرغم مما يراه باركى وأوليرى (Parke & O'Leary ١٩٧٥) من أن الآباء لديهم قدرة تتساوى مع الأمهات فيما يتعلق بالعناية بالمواليد الجدد ورعايتهم ، فإنه تبقى حقيقة لا يمكن الهروب منها هى أن الكفاءة فى العناية بالأطفال ورعايتهم وطريقة أداء هذا الدور لا يرتبط بالضرورة بتلك القدرة ، كما أنها لا ترتبط دوماً بها فى حالة قيام الآباء بذلك الدور . وعلى الرغم من الحركة النسائية التى بدأت فى الستينيات فإن أنماط السلوك المنمطة جنسياً من جانب الأطفال والراشدين داخل الأسرة قد بقيت نسبياً دون أن تتغير (Zill, 1979) . وإذا ما نظرنا إلى ذلك الدور الذى يحدده المجتمع الأمريكى للأنثى فسوف نجد أنه يتضمن العناية بالأطفال ، بينما لا يتضمن الدور الذكري القيام بذلك . ومن هنا فلن يكون من المدهش أن نجد أن الأم قد بقيت هى الموضوع الأساسى الذى نال كثيراً من التركيز والاهتمام عند تناول نمو الطفل وذلك للعديد من الأسباب النظرية والتجريبية والعملية التى تتعلق بهذا الجانب .

ولكى نصل إلى مزيد من الفهم لذلك الوضع النظرى الذى جعل من الأم العامل الوحيد والأساسى على التنشئة الاجتماعية للطفل يصبح من الضرورى بالنسبة لنا أن نقوم فى هذا الصدد بمراجعة مختصرة للسياق التاريخى الذى يتناول هذا الوضع ، وهو ما سنعرض له فى النقطة التالية .

نظرة تاريخية لتطور الأدوار الوالدية :

يمكننا أن نلخص الاهتمام العام للبحث السيكولوجي فيما يتعلق بهذا الموضوع في التساؤل البسيط التالي :

ما هي العوامل التي تكمن خلف سلوك الكائنات المختلفة وتدفعها إلى ذلك السلوك ؟ ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من المفاهيم توضع في الاعتبار عند محاولة الإجابة عن هذا السؤال ، وتمثل هذه المفاهيم جزءاً من الإجابة . ومن هذه المفاهيم الحاجات والدوافع والبواعث . وتحدد الاتجاهات النظرية المختلفة عددًا مختلفًا من المصطلحات التي ترتبط بتلك المفاهيم ، وسوف نقوم نحن بدورنا بالتركيز على الدوافع لأن علم النفس الأمريكي كان ولا يزال يهتم بمثل هذه المفاهيم .

ويميز المنظرون الذين تناولوا الدوافع وغيرهم من المنظرين بين نمطين أساسيين للدوافع ، يتمثل أولهما في الدوافع الأولية أى البيولوجية الفطرية ، في حين يتمثل ثانيهما في الدوافع الثانوية أو المكتسبة . وتقوم الدوافع الأولية بإثارة وتوجيه تلك الوظائف التي ترتبط بوجه خاصة بالأداء البيولوجي للكائن الحي كالأكل والشرب على سبيل المثال ، أما الدوافع الثانوية أو المكتسبة فتتمثل في تلك الوظائف التي تظهر وتكون خلال إشباع الدوافع الأولية ، ومن أمثلتها الاستقلال والحب .

ومن المعروف أن كلاً من هارلو وباولبي Harlow & Bowlby قد قاما بتوجيه كتاباتهما في الأساس نحو مثل هذه الصياغة النظرية لبيولوجيا الإنسان ونظريات الدافعية . فيري باولبي (١٩٥١) Bowlby أن العناية المناسبة ، والاهتمام ، والحب من جانب الشخص القائم على العناية بالطفل تعتبر أموراً ضرورية لبقاء الكائن الإنساني الصغير على قيد الحياة . وبدون مثل هذه العناية فسوف لن يقدر الرضيع على النمو والازدهار فحسب ، بل قد يموت أيضًا . ونتيجة لذلك يرى باولبي Bowlby عن طريق إثارة محكات البقاء أو عدم القدرة على التفتح والازدهار أى النمو أن الحب والعناية من جانب شخص راشد لصغار الكائنات لا يعتبر دافعاً ثانوياً بل يعتبر دافعاً أولياً . فإذا كانت الحاجة إلى الطعام دافعاً أولياً لأن الطفل لا يستطيع أن يحيا بدونه ، فإن الحاجة إلى الحب والعناية تعتبر كذلك هي الأخرى . وكما فعل هارلو وهارلو Harlow & Harlo (١٩٦٥)

وسبيتز (١٩٤٥) Spitz فإن باولبي Bowlby قد دفع بالعناية والحب من وضعهما كدوافع مكتسبة وبالتالي غير بيولوجية إلى الجانب البيولوجي لتصبح دوافع أولية من وجهة نظره. وفي ذلك الوقت كان علماء النفس الأمريكيين أمثال سيرز (Sears, Sears et al., 1957) يحاولون القيام بإعادة صياغة مفاهيم التحليل النفسى فى نظرية للتعلم ، وبذلك جعلوا من الاستقلالية دافعاً ثانوياً يشتق من حاجة الطفل إلى الطعام .

ويذهب باولبي (١٩٦٩) Bowlby فى نظريته عن التعلق خطوة إلى الأمام أبعد من مجرد الإثبات والبرهان للأهمية الأولية للحب على نمو الرضيع الإنسانى . وفى إطار رغبته فى جعل الحب ضرورة بيولوجية وحاجة ملحة للنمو والنضج ينادى باولبي Bowlby بالوحدة البيولوجية بين الأم والرضيع . ويرى أن الشئ الذى يضم الأم والرضيع يعتبر بمثابة وجود أو كينونة بيولوجية مزودة بملامح وسمات فريدة . وتتميز مثل هذه العلاقة بين الأم والطفل عن كل العلاقات الأخرى ، كما أنها تشتق من الضرورات البيولوجية والتطورية .

وباتباع خطوات باولبي Bowlby أصبح العديد من الباحثين أمثال إينسويرز (١٩٦٤) Ainsworth وشافر وإميرسون (١٩٦٤) Schaffer & Emerson مهتمين بالبحث فى الملامح الخاصة للعلاقة بين الأم والطفل . وقد قامت الأبحاث التى نتجت عن هذا الاهتمام والتى أصبحت تعرف بالتراث السيكلوجى للتعلق بوظيفة هامة فى تركيز اهتمامنا على العلاقة المبكرة التى يقيمها الطفل مع الشخص القائم على العناية به . وتقوم مثل هذه العلاقة بدور أساسى أو أولى فى التأثير على مستوى النمو العقلى والنمو الاجتماعى التالى للطفل وتحديده . ومع ذلك فقد أصبح واضحاً بدرجة كبيرة أن النمو الاجتماعى والانفعالى والعقلى للطفل الصغير لا يتحدد فقط بالعلاقة بين الأم والطفل .

وتفترض نظريات التعلق عند كل من باولبي (١٩٦٩) Bowlby وإينسويرز (١٩٦٩) Ainsworth نموذجاً متعاقباً للنمو (Lewis, 1979) . وتمثل المقدمة الأساسية لهذا النموذج المتعاقب فى الافتراض بأن هناك علاقة مباشرة تربط بين كل مجموعة من الخبرات الاجتماعية ومجموعة الخبرات التالية لها . وطبقاً لهذا النموذج توجد علاقة خطية بين العلاقة الأولية للرضيع مع أمه وبين العلاقة التالية التى يقيمها مع الآخرين الذين

يأتون بعد ذلك ومنهم الأب بطبيعة الحال . ويعتبر هذا النموذج أن العلاقات الاجتماعية التالية وخاصة تلك التي يقيمها الطفل مع الأقران والتي يقيمها مع الأب تعتمد على علاقة التعلق الأولية التي تنشأ بينه وبين أمه . وقد قامت العديد من الدراسات التي يتضمنها التراث السيكلوجي حول هذا الموضوع بتناول النمو التالى للعلاقة مع الأقران والتي تتطور من علاقة الطفل بأمه . ومن هذه الدراسات نجد على سبيل المثال دراسات هارتوب (1981) Hartup ولويس وشافر (1980) Lewis & Schaffer وواترز وآخرين (1979) Waters, et al. وماتاس وآخرين (1978) Matas, et al. .

ومن جانبنا قمنا نحن أيضًا بافتراض نموذج بديل يسمى بنموذج الشبكة الاجتماعية يصور النمو الاجتماعى للطفل الرضيع فى إطار سياق أكبر من مجرد تناول العلاقة بينه وبين أمه (Lewis & Feiring, 1978, 1979; Lewis, 1979; Edwards & Lewis, 1979) . وطبقًا لهذا النموذج تبقى العلاقة الاجتماعية الوظيفية بين مختلف السياقات أو الأنساق مستقلة نسبيًا . وفى الوقت الذى يسود فيه بين هذه الأنساق شعور أو عاطفة متبادلة نجدها مع ذلك لا تتطور خطيًا مع بعضها البعض ، وبدلاً من ذلك تتكون العلاقة الاجتماعية فيها بشكل تلقائى وليس بشكل تتابعى ، وتقوم بالوفاء بالحاجات الاجتماعية المختلفة والمتعددة . وبذلك تمثل المهمة الأساسية عند دراسة النمو الاجتماعى للرضيع فى التعرف على ذلك الترابط المتسق لمصفوفة الحاجات والموضوعات الاجتماعية (Edwards & Lewis, 1979; Lewis & Feiring, 1979) .

ومرة أخرى نلاحظ فيما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية أن النسقين اللذين تتم دراستهما ومناقشتهما باستمرار من جانب المؤيدين لهذا النموذج هما نسق العلاقات بين الأم والطفل ونسق العلاقات بين الطفل والأقران (e.g. Hartup, 1981; Lewis & Schaffer, 1980; Lewis, 1979) . ومع ذلك يمكننا أن نقوم بتصوير وتناول نمو تلك العلاقة التى تنشأ بين الأب والرضيع فى إطار هذا النموذج أيضًا .

وفى ضوء نموذج الشبكة الاجتماعية تتم رؤية العلاقات الاجتماعية للطفل على أنها تتركز حول حاجاته وحول تلك الطريقة المحددة ثقافيًا لإشباع مثل هذه الحاجات فتقوم بعض الثقافات على سبيل المثال بتدعيم وتعزيز استخدام تعدد مصادر العناية

بالطفل وذلك من جانب كل من الأم أو الأخوات الأكبر سنًا أو من جانب إحدى الصديقات (Whiting & Whiting, 1975). كما تقوم ثقافات أخرى بتأييد فكرة مراكز الرعاية النهائية حيث يوجد العديد من الراشدين ، بينما يؤيد آخرون ذلك التقليد الذي يقتضى أن تقوم الأم برعاية طفلها والعناية به . وتعمل القيم والأهداف الخاصة في ثقافة معينة بتحديد طبيعة الشبكة الاجتماعية أى عدد وطبيعة الأفراد الذين تضمهم تلك الشبكة والمهام المناطة بكل منهم . ففى الثقافات التى تقوم فيها الأم فقط بالتفاعل مع الرضيع خلال أول عامين أو ثلاثة من عمره تقوم الأم في الغالب بأداء كل الوظائف التى تتعلق بأمر العناية به . وبالتالي تختلف الشبكة الاجتماعية للطفل في مثل هذه الثقافة عن الشبكة الاجتماعية لطفل آخر في ثقافة أخرى تقوم فيها الأم أيضًا بشئون العناية به إلا أن ذلك يتم في الوقت الذى يمكن فيه للأب والأقران أن يأخذوا دورًا في هذا الشأن ، كما أنها لا تزال تختلف أيضًا عن تلك الشبكة الاجتماعية التى توجد في ثقافة أخرى تقوم فيها الأخوات الأكبر سنًا من الطفل بأمر العناية به .

وتدل العلاقة المتسقة السائدة في المجتمع الأمريكى بين الأفراد الذين يشكلون الشبكة الاجتماعية للطفل في سن ما قبل المدرسة والوظائف أو الأدوار التى يؤديها هؤلاء الأفراد على وجود انفصال بين هؤلاء الأفراد وبين ما يؤدونه من وظائف حيث يقوم الراشدون بدور العناية بالطفل ، بينما يقوم الأقران الأكبر سنًا بأمر تعليمه ، ويقوم الأقران في مثل سنّه باللعب معه (Edwards & Lewis, 1979) .

ويؤكد نموذج الشبكة الاجتماعية على أن الأطفال لديهم حاجات متعددة يتم إشباعها بواسطة مجموعة من الأفراد الآخرين وليس عن طريق الأم فقط . وعلاوة على ذلك فإنه في الوقت الذى يمكن فيه لنسق ما أن يؤثر على نسق آخر فإن نمو العلاقة الاجتماعية لا يعتبر تتابعيًا مع ذلك . وعلى هذا نلاحظ أنه بينما يمكن للطفل الذى ينشأ بين الأم والرضيع أن يؤثر على علاقات الطفل بأقرانه فإن مثل هذه العلاقة مع الأقران قد لا تتحدد عن طريق علاقة التعلق هذه . ويقترح لويس وشافر (Lewis & Schaffer ١٩٨٠) طريقتين يمكن بهما لعلاقة التعلق التى تنشأ بين الأم والرضيع أن تتسبب في قيام علاقة سيئة مع الأقران على الرغم من أن هاتين الطريقتين لا تحددان مثل هذه العلاقات بالمعنى التعاقبي . وتتمثل أولى هاتين الطريقتين في نقص الخبرة من جانب

الطفل ، بينما تتمثل الثانية في الخوف المعمم . فالأمهات اللاتي لا تتصفن بالكفاءة فيما يتعلق بالأمومة واللاتي تعتبرن غير قادرات على تسهيل قيام علاقة تعلق مع الطفل قد يجرمنه في الوقت ذاته من المرور بالخبرات المختلفة مع الأقران . وإذا ما سلمنا بأن الأم في الثقافة الأمريكية هي التي يجب عليها أن تسهل من حدوث عملية التواصل المبكر للطفل مع الأقران فإن فشلها في القيام بذلك سوف يؤدي إلى تطور مهارات غير مناسبة للتفاعل مع الأقران . وفي هذه الحالة يرتبط التعلق السيئ بالأم بإقامة علاقة سيئة من جانب الطفل مع الأقران . إلا أن الفشل في إقامة علاقة تعلق مع الأم في تلك الحالة لا يعتبر هو السبب في تلك العلاقة السيئة مع الأقران حيث يرجع السبب في ذلك إلى نقص الخبرة التي تجمع بين الطفل وبين الأقران .

وتؤدي الأمومة غير المناسبة أو غير الجيدة إلى إقامة علاقة تعلق سيئة أو غير مناسبة وهو ما يؤدي إلى خوف عام من جانب الطفل ، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى منع الطفل من الاتصال بالأقران . ويعمل نقص الاتصال بالأقران بسبب الخوف على التأثير على العلاقات التي يقيمها الطفل مع هؤلاء الأقران . وقد يعطينا ذلك تفسيراً للسبب الذي يعتبر من أجله الأقران الأصغر سناً الذين يقومون بدور المعالج بالنسبة للطفل أو الذين يقدمون له المساعدة في مثل هذه الحالة أفضل من الأقران في نفس سنه أو الأقران الأكبر منه سناً فيما يتعلق بقدرتهم على مساعدة الأطفال المكتئبين أو المنبوذين إذ قد يكون الأقران الأصغر سناً أقل خوفاً على ذلك الطفل نظراً لأن مهارتهم في الاتصال لا تزال أقل تطوراً (Hartup, 1980) . وفي كلتا الحالتين لا تعتبر العلاقات بين الشخصية السيئة مع الأم في حد ذاتها هي المسئولة عن العلاقة التالية السيئة إذ تلعب الأم دوراً غير مباشر في إقامة اتصال بين الطفل وبين أقرانه وبينه وبين الآخرين كالأب على سبيل المثال .

ومن الأفضل بالنسبة لنا أن نفكر في تلك العلاقات التي تنشأ بين الأب وبين الطفل في إطار هذا السياق إذ قد يتطور نسق التعلق بين الأب والطفل من أصول شبيهة بتلك الموجودة في نسق التعلق بين الأم والطفل ، وقد يرتبط كلا النسقين ببعضهما البعض بعدد من الطرق والأساليب . ومع ذلك فنحن نعتقد أن نسق العلاقة بين الأب والطفل قد لا يكون نتيجة ثانوية لنسق العلاقة بين الأم والطفل . وعلى الرغم من أن البيانات التي تؤيد وجود نسقين منفصلين ومع ذلك يسود بينهما تأثير متبادل ، ويتمثل أحدهما في ذلك

النسق الذى يضم الأم والطفل ، أما الآخر فيتمثل فى ذلك النسق الذى يضم الطفل والأقران فإن البيانات عن التأثيرات التى يمكن أن تحدث بين نسقى العلاقة بين الأم والطفل وبين الأب والطفل غالباً ما تكون غير متوفرة .

وسوف نقوم فى الجزء التالى بتناول افتراضات نموذج الشبكة الاجتماعية وذلك بشكل عام ، ثم نقوم بعد ذلك بتناول جوانب من هذا النموذج وثيقة الصلة به وذلك فى سبيل فهم دور الأب فى النمو المبكر للطفل .

نموذج الشبكة الاجتماعية :

يولد الطفل وسط مجموعة من العلاقات المتداخلة . وتضم هذه العلاقات تلك العلاقات التى تتضمن الراشدين من مختلف الأعمار الذين تربطهم علاقات مختلفة ببعضهم البعض . وقبل أن نستكشف الطبيعة الخاصة لنسق العلاقة بين الأب والطفل يجب أن ننظر إلى بعض السمات العامة للأنساق وكيف تتفاعل مع بعضها البعض^(*) .

١- مدخل الأنساق العامة :

يرى مونا (Monane ١٩٦٧) وفون برتالانفى (Von Bertalanffy ١٩٦٧) وتايلور (Taylor ١٩٧٥) أن النسق عبارة عن مجموعة من العناصر المتداخلة التى يؤثر كل منها فى الآخر ويتأثر به . وإذا ما تناولنا ذلك بشكل مختلف يتضح لنا أن العناصر

(*) يود المترجم أن يلفت الأنظار إلى أن علاقة الأب بالطفل تمثل أحد أنماط العلاقات الأسرية المتضمنة فى الشبكة الاجتماعية للطفل حيث يرى كوبمانز (Koopmans ١٩٩٣) فى دراسته عن التوافق الاجتماعى الانفعالى فى مرحلة المراهقة وإدراك العلاقات الأسرية التى ألقاها فى المؤتمر السنوى للجمعية الأمريكية للبحث التربوى والذى عقد فى أتلانتا بالولايات المتحدة الأمريكية فى الفترة من ١٢ - ١٦ / ٤ / ١٩٩٣ أن غالبية الباحثين فى مجال العلاقات الأسرية يتفقون على أن هناك ثلاثة أنماط من العلاقات تسود فى غالبية الأسر يمكن تناولها على النحو التالى :

١ - علاقات الألفة : affinity وتتمثل فى تلك العلاقات التى تنشأ بين الزوج والزوجة .
٢ - علاقة قرابة العصب : Consanguinity وتتمثل فى العلاقات التى تنشأ بين الأخوة والأخوات .

٣ - علاقات السلالة (من أعلى إلى أسفل) : descent وتتمثل فى تلك العلاقات التى تنشأ بين الوالد من الجنسين والأطفال .

المحددة في النسق تعتبر هي المؤثر والمتأثر في هذا الصدد . وعادة ما يتألف النسق من شبكة من الأنساق الفرعية المستقلة ، فنلاحظ على سبيل المثال في الشبكة الاجتماعية للطفل أن علاقة الطفل مع أعضاء الأسرة يمكن تصويرها في تلك الأنساق الفرعية التى تضم الطفل والوالد ، والطفل والأخوة ، والوالد والوالد . ويوضح التراث السيكلوجى أن تلك الأنساق الفرعية المتضمنة في الشبكة الاجتماعية للطفل والتى يتألف كل منها من الطفل وأحد أعضاء الأسرة تتسم بطبيعتها المستقلة . وفي تناوله لتلك الطرق والأساليب التى تقوم بمقتضاها الأنساق الفرعية التى تتألف من الطفل وأحد أعضاء الأسرة بتحقيق الاستقلال ، أى تلك الطرق التى تقوم بموجيها الأنساق الفرعية التى تتألف من الطفل والوالد ومن الوالد والوالد الآخر بالتأثير المتبادل في بعضها البعض ، وجد بيدرسين (١٩٧٥) Pedersen علاقات تبادلية مرتفعة في أسر البنين بين لعب الأب مع الأطفال الرضع وبين تقدير الأب للأم كأم ، إضافة إلى كم التوتر والصراع الذى يسود علاقتها الزوجية .

ومن ناحية أخرى تتصف الأنساق الاجتماعية أيضًا باللامجمية nonadditivity أى عدم إضافة أنساقها الفرعية إلى بعضها البعض لتعطى نسقًا ذا خصائص معينة . فمعرفة كل شيء من الأنساق الفرعية التى تؤلف في مجملها نسقًا معينًا لن نخبرنا عن كل شيء حول ذلك النسق ككل إذ أن كل نسق فرعى يتحرك بشكل مختلف تمامًا داخل النسق العام إذا ما قورن بالطريقة التى يتحرك بها عندما يكون في معزل عنه . فنجد على سبيل المثال أن طبيعة التفاعل داخل النسق الفرعى الذى يتألف من الوالد والطفل حينما يكون ذلك النسق الفرعى في معزل عن غيره تختلف عن ذلك التفاعل عندما يتم تضمين ذلك النسق الفرعى في نسق أكبر . ويرى لام (١٩٧٦ - أ ، ١٩٧٧ - ب) Lamp أن تفاعل الأطفال الرضع مع أى من الوالدين يتزايد في الثنائيات المستقلة التى تتكون من جراء ذلك عن تفاعلهم مع أحدهما حينما يتم تضمين تلك الثنائيات في النسق الأسرى الكلى الذى يضم الوالدين والطفل . وعلاوة على ذلك فإن تفاعل أى من الوالدين مع الطفل يقل في وجود الوالد الآخر إذ وجدت كلارك - ستوارت (١٩٧٨ ، ١٩٨٠) Clarke - Stewart أن كم وكيف التفاعل بين الأم والطفل يتغير حينما يتم تضمين ذلك النسق الفرعى الذى يتألف منهما في الثلاثية الأسرية التى تضم الأم والأب والطفل . ففهما

يتعلق بالكم لاحظت أن حديث الأم للطفل ولعبها معه يقل عندما يوجد الأب معها ، وبالنسبة للكيف لاحظت أيضًا أن مشاركة الأم للطفل في مختلف الأنشطة تقل ، كما يقل تعزيزها لسلوكه ، وتصبح أقل استجابة في تفاعلها معه في وجود الأب قياسًا بما تكون عليه الحال عندما توجد الأم بمفردها مع الطفل .

ويرى بيدرسين وآخرون (١٩٧٩ ، ١٩٨٠) Pedersen, et al. أنه بينما يقوم الأب (الزوج) بتقسيم سلوكه بين الطفل والزوجة في الموقف الثلاثي تقضى الأم (الزوجة) وقتًا أطول في التفاعل مع الطفل في الموقف الثنائي الذي يجمعها هي فقط معه . ويرى باركي وأوليري (١٩٧٥) Parke & O'Leary أن الشبكة الاجتماعية للطفل تتسم بالاعتمادية المتبادلة ، كما تتسم أيضًا باللاجعية . فعندما تكون الأم مع زوجها يصبح من الأكثر احتمالًا بالنسبة لهما أن يقوموا باستكشاف جسم الطفل والابتسام له وذلك بشكل يفوق ما يفعلانه حال وجودهما مع وليدهما الجديد . وإضافة إلى ذلك تميل الأمهات والآباء عند وجودهم معًا إلى لمس أطفالهم الذكور أكثر من الإناث ، إلا أن مثل هذه الفروق في لمس الوالدين للطفل والتي ترتبط بالجنس البيولوجي للطفل تصبح غير ذي أهمية عندما تتواجد الأم بمفردها مع الطفل . ويرى باحثون آخرون أن الطفل يؤثر على النسق الفرعي الذي يضم أحد الوالدين معه حيث وجد روزنبلات (١٩٧٤) Rosenblatt أن وجود طفل واحد أو أكثر مع الوالدين يقلل من لمسهما وحديثهما وابتسامهما لبعضهما البعض وذلك في أماكن عامة مختارة كحديقة الحيوان والمتنزهات والمراكز التجارية .

وهناك جانب آخر في الأنساق الاجتماعية على درجة من الأهمية يتمثل في كونها تتسم بأنها عبارة عن حالات ثابتة ، والحالات الثابتة ما هي إلا عملية توازن يحتفظ النسق بمقتضاها بعلاقة حيوية بين العناصر المؤلفة له وبين البيئة التي يوجد فيها . ولا يعتبر التوازن Balance الذي نشير إليه هنا بمصطلح « حالة ثابتة » حالة إستاتيكية كتلك التي تدل عليها مصطلحات الاتزان البدني البيولوجي Homeostasis أو الاتزان equilibrium الذي يشير إلى تلك العملية التي يحتفظ التوافق بمقتضاها بنسق ما عند مستوى معين . أما الحالة الثابتة التي نتحدث عنها هنا فتقوم بدلاً من ذلك بوصف تلك العملية التي يقوم النسق بموجبه بالحفاظ على نفسه في الوقت الذي يتعرض فيه دومًا

للتغير وذلك إلى حد ما . وبذلك تتسم الحالات الثابتة بدرجة عالية من التعقيد والتنظيم وتدل على حدوث تفاعل بين الثبات والمرونة في النسق الاجتماعي أو الشبكة الاجتماعية . ويقوم الطفل في نسق الشبكة الاجتماعية بأداء دوره على امتداد حياته كعضو في شبكة اجتماعية تتسم بالتغير الدائم في أعضائها وبيئتها . فنلاحظ على سبيل المثال أنه عندما يصبح للطفل ذى الترتيب الميلادى الأول الذى يبلغ الثانية من عمره أخ جديد فإن تركيب شبكته الاجتماعية يتغير بناء على ذلك ، ويصبح من الواجب عليه أن يغير من طريقة أدائه مع وصول ذلك الطفل الثانى . وعلى الرغم من أن أهداف الطفل التى تتعلق بتعلم التكيف مع البيئة تظل كما هى فإن أنشطته الفعلية قد تتغير إذ يرى دون وكندريك (Dunn & Kendrick ١٩٧٩) أن أداء الأطفال في شبكاتهم الاجتماعية في مثل هذه الحالة يتسم بوجود أنشطة جديدة تعمل على تحقيق الأهداف التى تم تحديدها سلفاً . وعلى الرغم من قيام الأم بتشجيع السلوك الاستقلالى لطفلها قبل ميلاد الطفل الثانى ، وأن هذا السلوك الاستقلالى كان هدفًا نهائيًا للطفل فإن مقدار هذا السلوك والفرص المتاحة أمام الطفل للقيام به تتغير (تزداد) مع تغير الشبكة الاجتماعية للطفل إثر تضمينها للأخ الجديد .

ومن ناحية أخرى تمثل البيئة التى يوجد فيها النسق الاجتماعى جانبًا آخر على درجة كبيرة من الأهمية لأى نسق اجتماعى ، وعلى ذلك فإن قيام الشبكة الاجتماعية للطفل يتطلب فحص أنواع البيئة الاجتماعية ، والسياسية ، والمادية التى تميز تلك الشبكة .

٢- الافتراضات التى تقوم عليها الشبكة الاجتماعية :

يمكننا باستخدام مدخل الأنساق أن نطرح مجموعة من الافتراضات يصبح نموذج النمو الاجتماعى وفقًا لها ممكن الحدوث . ويقدم لويس ووينروب (Lewis & Weinrub ١٩٧٦) فى سبيل ذلك مجموعة من الافتراضات تضم فى مجملها عشرة افتراضات على النحو التالى :

(١) الافتراض الأول :

يعتبر البشر اجتماعيين بطبيعتهم أو بالفطرة ، ويدخلون منذ ميلادهم فى شبكة اجتماعية يؤلفونها فيها بينهم .

(٢) الافتراض الثانى :

تتألف الشبكة الاجتماعية من مجموعة من الموضوعات الاجتماعية تضم الأم ، والأب ، والأخوة ، والأقارب الآخرين ، والأصدقاء ، والذات .

(٣) الافتراض الثالث :

تتألف الشبكة الاجتماعية من موضوعات ، ووظائف أو أدوار ، ومواقف اجتماعية .

(٤) الافتراض الرابع :

ترتبط الموضوعات ، والوظائف أو الأدوار ، والمواقف الاجتماعية التى تتألف منها الشبكة الاجتماعية ببعضها البعض ارتباطاً جزئياً فقط .

(٥) الافتراض الخامس :

تبنى الشبكة الاجتماعية من مجموعة من الشبكات تتراوح بين أسرة الطفل إلى الثقافة التى ينتمى إليها بمعناها الواسع .

(٦) الافتراض السادس :

يشارك الطفل منذ ميلاده فى الشبكة الاجتماعية ويشارك فيها بفاعلية .

(٧) الافتراض السابع :

يتغير السلوك الاجتماعى للطفل ويتغير تركيب الشبكة الاجتماعية كدالة للوضع النهائى الذى يميزه .

(٨) الافتراض الثامن :

يملك الطفل مخزوناً من الأنماط السلوكية تتوزع داخل الشبكة الاجتماعية بما يناسب موضوع التفاعل ووظيفته أى دوره وموقفه ويتلائم معه .

(٨ - أ) الافتراض الثامن (أ) :

تميل موضوعات (أفراد) معينة داخل الشبكة الاجتماعية للطفل إلى أداء وظائف أو أدوار معينة فى مواقف معينة .

(٨ - ب) الافتراض الثامن (ب) :

عندما يقوم أكثر من موضوع واحد في النسق بأداء نفس الوظيفة أو الدور يظهر التوتر داخل النسق .

(٩) الافتراض التاسع :

يكتسب الطفل المعرفة عن طريق تفاعله المباشر وغير المباشر مع الشبكة الاجتماعية .

(١٠) الافتراض العاشر :

تتضمن الجوانب البنائية للشبكة الاجتماعية تلك التفاعلات والعلاقات التي تنتظم في ترتيب أو سلم هرمي . وقد لا تتطابق تلك التفاعلات والعلاقات المتضمنة في تلك الشبكة الاجتماعية مع بعضها البعض .

الافتراضات التي تتعلق بالأب كعضو في الشبكة الاجتماعية :

بالنظر إلى الافتراضات التي تقوم عليها الشبكة الاجتماعية نلاحظ أن ثلاثاً منها فقط هي التي ترتبط بالأب كعضو في الشبكة الاجتماعية ، وبالتالي سوف نقوم بتناولها بالتفصيل ، وهذه الافتراضات هي :

١ - أن التفاعلات والعلاقات المتضمنة في الشبكة الاجتماعية ليست مترادفة أو لا تتطابق مع بعضها البعض .

٢ - أن عالم الطفل يعج بالموضوعات الاجتماعية والحاجات المختلفة .

٣ - أن الطفل يكتسب المعرفة من خلال التفاعل المباشر وغير المباشر مع الشبكة الاجتماعية .

ويمكن تناول هذه الافتراضات على النحو التالي :

أولاً : التفاعلات والعلاقات المتضمنة في الشبكة الاجتماعية ليست مترادفة أو متطابقة :

نظراً لاختلاف التفاعلات التي تجمع بين الأم والطفل عن تلك التي تجمع بين الأب والطفل يصبح من المفترض أن تكون العلاقات بينهم مختلفة . وقد يبدو في الواقع أن تلك هي القضية ، إلا أنه من الضروري بالنسبة لنا أن نضع في اعتبارنا ذلك الدور الذي يلعبه

التفاعل في حدوث مثل هذه العلاقات . وفي محاولته لتحديد معنى «العلاقة» قام هايند (١٩٧٦) Hinde بتناول التفاعل على أنه مجرد عامل واحد فقط من تلك العوامل العديدة التي تشكل في مجملها هذا التعريف . وهو ما ينبهنا بطبيعة الحال إلى احتمال عدم وجود تطابق كبير بين تلك العلاقات والتفاعلات المتضمنة في الشبكة الاجتماعية .

وتعتبر «التفاعلات» بمثابة أنماط سلوكية خاصة أو مجموعة من الأنماط السلوكية التي يمكن ملاحظتها وقياسها ، أما «العلاقات» على الجانب الآخر فيمكن استنتاجها أو الاستدلال عليها من التفاعلات ، إلا أنه من الصعب تعيينها وقياسها . كما أن معرفتنا «بالعلاقة» لا تمثل بالنسبة لنا تطابقاً تاماً مع «تفاعل» معين أو مجموعة من «التفاعلات» . وعلى النقيض من ذلك فإن ملاحظة التفاعل الذي يحدث بين شخصين لا تقوم بالضرورة بتعيين علاقتهما معاً ، فبعد مشادة أم على سبيل المثال وهي تقوم بإطعام طفل ما قد نستنتج أن هذه الأم هي أم ذلك الطفل ، إلا أن مثل هذه العلاقة لا تمثل بالضرورة القضية الأساسية هنا حيث قد تكون هذه الأم هي التي تقوم بحضانة هذا الطفل مثلاً وليست أمه .

وبينما لا يتميز الأب عن غيره من الرجال الراشدين بالنسبة للطفل ، فإن الأم تتميز بيولوجياً بالنسبة له عن غيره ، وفي الواقع نلاحظ الأنثى الناضجة في العديد من الثدييات لا تكون أحادية الزواج وبالتالي لا يمكن معرفة الأب على وجه التحديد . وبذلك لا يستطيع صغار هذه الثدييات أو حتى الناضجون منها أن يقرروا بالتحديد من هو الأب . وحتى بالنسبة للعلاقات التي ترتبط بالزواج الأحادي فإن معرفة العلاقة التي توجد بين العلاقات الجنسية وميلاد الصغير تتطلب القدرة على تحديد الأب . وعلى العكس من ذلك نلاحظ أن تفاعلات الأم مع الرضيع تميزها بوضوح وجلاء عن غيرها من الإناث ، كما أن تفاعلها البيولوجي مع ذلك الصغير منذ الحمل مروراً بالولادة وحتى الحضانة يجعل من المعروف بالنسبة لها ولجميع الأفراد الآخرين بما فيهم ذلك الصغير نفسه أنها هي الأم .

ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن فقط تحديد الأم عن طريق علاقتها البيولوجية الفريدة بالطفل ، ولكن يمكن أيضاً تحديد الكثير من تفاعلاتها مع الطفل . فالأم التي

تنتمى إلى الشدييات يجب أن تقوم بإطعام طفلها على وجد التحديد ، ويتبع ذلك التفاعلات الأخرى بشكل طبيعى . فتقوم الأم على سبيل المثال بإشباع حاجة الطفل إلى الدفء واللمس والإحساس بالحركة . وتنشأ أنماط التفاعلات المبكرة هذه بعد ذلك تدريجيًا فى تفاعلات معينة يمكن التنبؤ بها فى غالبية البيئات . وبذلك لا يكون من المدهش أبدًا أن يذهب الأطفال عامة الذين يبلغون عامًا واحدًا من العمر إلى أمهاتهم فى تلك الأوقات التى يشعرون فيها بالجوع والتعب والخوف . وهكذا نجد أن العلاقة البيولوجية بالنسبة للأم يمكنها أن تلعب دورًا كبيرًا وهامًا فى التنبؤ بتلك التفاعلات السلوكية والثقافية التى تحدث بينها وبين الطفل .

ومن ناحية أخرى يمثل الأب حالة تختلف عن ذلك حيث لا تدلنا معرفتنا بأن رجلاً ما هو الأب لطفل معين إلا عن القليل جدًا الذى يرتبط بتفاعلات هذا الرجل مع ذلك الطفل إذ يقوم الآباء على مر العصور بدور الحماية من الغزاة المفترسين ، كما يساعدون على توفير الطعام والدفء والمأوى والإثارة لأفراد الأسرة ، إلا أن مثل هذه الوظائف أو الأدوار مع ذلك لا تتضح بهذا الشكل فى المجتمع الأمريكى المعاصر كوضوح تلك الوظائف أو الأدوار التى تقوم بها الأم . وعلاوة على ذلك نجد أنه على الرغم من أن تلك النوعية للدور الوالدى قد تكون ساعدت فى تخليد الجنس البشرى وعملت على أن تديم وجوده فإنه من الممكن بالنسبة للأطفال أن يبقوا على قيد الحياة حتى وإن لم يقيم الآباء بدورهم ، إلا أن الحال يختلف عن ذلك نتيجة لعدم قيام الأمهات بدورهن . وبذلك نلاحظ أنه بينما ترتبط العلاقة بين الأم والطفل بالاستعدادات البيولوجية فإن العلاقة بين الأب والطفل تعتبر أقل ارتباطًا بالجانب البيولوجى وأكثر حرية فى التغير . ولا يعمل هذا النقص فى أنماط التفاعل البيولوجية المعدة سلفًا والتى يمكن التنبؤ بها بالنسبة للأب على تمييز علاقته بالرضيع عن علاقة الأم بهذا الرضيع فحسب ، بل يجعل أيضًا من تمييز طبيعة العلاقة بين الأب والرضيع أمرًا أكثر صعوبة .

ثانيًا : تتألف الشبكة الاجتماعية من موضوعات ووظائف ومواقف اجتماعية عديدة :

أصبحت فكرة العالم الاجتماعى المتعدد الذى يجب على الطفل أن يتكيف معه أكثر قبولاً وذلك إلى الدرجة التى اتسع عندها نطاق البحوث التى يتضمنها التراث

السيكولوجى ليشمل أفرادًا آخرين فى حياة الطفل يمثلون موضوعات اجتماعية مختلفة (e.g. Dunn & Kendrick, 1979; Lewis & Rosenblum, 1979) وأصبحت بذلك المهمة التى يجب علينا أن نقوم بها تتمثل فى تعيين مختلف الأساليب التى يسلك بها هؤلاء الأفراد فى عالم الطفل ، وما الذى يسبب مثل هذه الفروق ، وكيف تقوم مثل تلك الفروق بالتأثير على محصلات نهائية معينة .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف افترض لويس وفيرنج (Lewis & Feiring ١٩٧٩) نموذجًا تتكون فيه مصفوفة تتألف من مجموعة من الموضوعات الاجتماعية (الأفراد) ، ومجموعة من الأنشطة المرتبطة بحاجات الطفل التى يجب إشباعها والتى نطلق عليها «الوظائف» . وتسمح هذه المصفوفة بدراسة طبيعة وعدد الأفراد الذين يتواجدون فى حياة الطفل فى وقت معين ، والوظائف أو الأدوار التى يؤدونها ، وتعيين من يقوم بأى من هذه الوظائف أو الأدوار . ومن منظور مثل هذا النموذج يصبح من الممكن إنشاء وتكوين الشبكة الاجتماعية للطفل ، أى العمليات الاجتماعية والبناء الاجتماعى لشبكة معينة ونتائج ذلك على أى عدد من المحصلات النهائية . فتصبح على سبيل المثال القيود التطورية النهائية المفروضة على الموضوعات والوظائف ، وعلى التفاعل بين الموضوعات والوظائف واضحة، ويصبح من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأم أن تلعب مع طفلها الرضيع وأن تقوم بإطعامه فى الشهر الثالث من عمره وذلك بشكل يفوق ما تفعله الأخوات الأكبر سنًا قياسًا بما يحدث عندما يكون ذلك الرضيع فى الشهر التاسع من عمره . ومن ناحية أخرى من المحتمل أن تقوم أيضًا المتغيرات الأسرية مثل حجم الأسرة ، وعمر الأخوة ، وغياب أحد الوالدين أو وجوده بالتأثير على تلك المصفوفة حيث يرى دون وودنج (١٩٧٧) Dunn & Wooding على سبيل المثال أن الأطفال ذوى الترتيب الميلادى الأول يتلقون المزيد من انتباه واهتمام الراشدين إلى أن يولد طفل آخر . وأخيرًا فإن العوامل الثقافية تؤثر هى الأخرى على تلك المصفوفة إذ يرى وايتنج ووايتنج (Whiting & Whiting ١٩٧٥) أن الأخت الأكبر سنًا فى العديد من الثقافات تكون هى المسئولة عن إشباع الكثير من حاجات الطفل الصغير وذلك بشكل يفوق ما يقوم به الأب والأم .

وكخطوة أولى باتجاه تحديد الأفراد والوظائف التى تؤثر على الطفل يصبح من الضرورى أن نقوم بوصف بعض الفروق التى كشفت عنها الدراسات التى يتضمنها

التراث السيكولوجى فيما يتعلق بكم وكيف الأنماط السلوكية للأم وللأب . ومن المعلوم أن أنماط التفاعلات التى تجمع بين الأم والطفل والتى تجمع بين الأب والطفل على الجانب الآخر توضح العديد من مظاهر الاتفاق والاختلاف . وإذا ما عرفنا أن العديد من الأمهات هن اللاتى يقمن بدور القائم الأساسى على العناية بالطفل فلن يكون مدهشاً أن نجد هناك فروقاً فى كم السلوك الوالدى الموجه نحو الطفل ، أو فى مدى تواجد كلا الوالدين أمام الطفل مما يساعده على أن يقوم بالاستفادة منها .

(أ) كم السلوك الوالدى :

من المتفق عليه بوجه عام أن الأب يقضى وقتاً فى التفاعل مع طفله الرضيع يقل بكثير فى الواقع عن الوقت الذى تقضيه الأم فى تفاعل مع ذلك الرضيع . وتتراوح تقديرات كم الوقت الذى يقضيه الأب فى تفاعل مباشر مع طفله الرضيع فى العام الأول من عمره بين أقل من دقيقة واحدة فى اليوم كما يرى ريبلسكى وهانكس (١٩٧١) Rebelsky & Hanks إلى أكثر من ساعة واحدة بقليل يومياً كما يرى بيدرسين وروبسون (١٩٦٩) Pedersen & Robson وعلى الرغم من أن كم الوقت الذى يقضيه الأب مع أطفاله يتزايد مع نمو هؤلاء الأطفال كما يرى لويس ووينروب (١٩٧٦) Lewis & Weinraub فإن المقدار الكلى للوقت الذى يقضيه الأب معهم يتحدد بحقيقة أن معظم الآباء يقومون بالعمل فى وظائف تستغرق يومهم بأكمله . ونظراً لأن نسبة أكبر من النساء قياساً بالرجال يعملن فى وظائف تستغرق جزءاً من وقتهن فقط كما يتضح من إحصاءات وزارة التجارة بالولايات المتحدة لعام ١٩٧٦ م فإنه لا يزال من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات العاملات أن يكون الوقت الذى يعملن فيه خلال الأسبوع أقصر ، وأن تكون ساعات عملهن أكثر مرونة بحيث تسمح لهن بالخروج من العمل أثناء وقت العمل وذلك قياساً بالآباء وما يقومون به من وظائف (Weinraub, 1978) .

وعلى الرغم من ذلك فإن الفروق فى كم الوقت الذى يقضيه كل من الآباء والأمهات مع أطفالهم لا تدل بالضرورة على أن لكل منهما تأثيراً مختلفاً على الأطفال . ومن ناحية أخرى فقد ازداد إدراك أن كم الوقت - أكثر من الحد الأدنى - الذى يتفاعل فيه الوالدان مع أطفالهم أو يتواجدان فيه أمامهم له تأثير ضئيل على كم علاقتهما معهم (Lamb, 1976 c) . ويبدو

على وجه الخصوص أن كم الوقت الذى يقضيه غالبية الآباء في تفاعل مع أطفالهم لا يساعد في التنبؤ بسلوك هؤلاء الأطفال تجاه آبائهم كما يرى كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck وبان ولويس (١٩٧٤) Ban & Lewis على سبيل المثال .

وفي ضوء كم الوقت المحدد الذى يقضيه الآباء مع أطفالهم لا يتم إدراك آثار الأب على نمو الطفل على أنها نتيجة لكم التفاعل بينهما ولكنها تعتبر نتيجة لكيف معين من إسهامه في الشبكة الاجتماعية للطفل . وقد يتم إدراك مثل هذه الآثار على أنها آثار مباشرة تنتج عن أنماط سلوكية وأنشطة معينة يشارك فيها الأب عندما يكون مع طفله . كما يتم إدراكها أيضًا على أنها آثار غير مباشرة تنتج عن عضوية الأب في الشبكة الاجتماعية للطفل وارتباطه مع الأعضاء الآخرين في تلك الشبكة الاجتماعية .

(ب) كيف السلوك الوالدى :

عندما نضع في اعتبارنا ذلك الكم المحدد من الوقت الذى يشترك فيه الأب في تفاعل مع أطفاله الأصغر سنًا فإنه قد تتم دراسة دور الأب في التنشئة الاجتماعية بشكل أكثر إثارة في إطار نوع التفاعل مع الطفل وليس كم ذلك التفاعل .

وفي مناقشتهم الكلاسيكية للفروق النوعية في دور كل من الأم والأب في نمو الطفل يؤكد بارسونز وبيلز (١٩٥٥) Parsons & Bales أن أدوار الآباء والأمهات أو الوظائف الاجتماعية لكل منهما تنقسم إلى وظائف وسيلية وأخرى تعبيرية . فتم رؤية وظيفة الأم على أنها وظيفة تعبيرية تتسم بالاهتمام بالعلاقات المتبادلة أو بين الشخصية وبالمساندة الانفعالية ورعاية الأطفال والعناية بهم . أما وظيفة الأب فتوصف بأنها وسيلية وتتسم بالاهتمام بالإجادة والكفاءة . وتدل الملاحظات والمقابلات التى أجريت مع الأطفال على أنهم قد أدركوا الأمهات على أنهم أكثر عاطفة وأكثر رعاية لهم ، كما رأوا الآباء على الجانب الآخر بأنهم أكثر عقابًا وأكثر تقييدًا لهم (e.g. Armentrout & Burger, 1972, Fitzgerald, 1966) .

ويرى توماس (١٩٦٨) Thomas أن تلاميذ المرحلة الابتدائية قد صوروا آباءهم على أنهم يقومون بحمايتهم ، وتهذيبهم ، وأنهم يقومون بدور المعلم بالنسبة لهم في البيئة المنزلية . أما أمهاتهم فقد كن في الغالب أكثر مساندة وأكثر تشجيعًا لهم .

(ج) اختلاف وظائف وأدوار الوالدين في الأسرة :

وقد تكون طبيعة الأنشطة التي تميز تفاعل الأب مع طفله أكثر اختلافًا في الوظائف الاجتماعية الخاصة بتعليم الدور الجنسي ، والأنشطة التي ترتبط بالشئون المنزلية ، والعناية بالطفل ، واللعب معه إذ توضح البيانات التي تم جمعها منذ عام ١٩٥٥ أن الآباء يعتبرون أكثر اهتمامًا باكتساب أطفالهم للدور الجنسي الملائم وذلك بدرجة تفوق الأمهات (e.g. Block, 1973) ، فالآباء مثلاً يعارضون السلوك الأنثوي إذا ما صدر عن أبنائهم البنين . ووجدت جود إنف (Goodenough (١٩٥٧ أن الآباء كانوا أكثر اهتمامًا بسلوك الدور الجنسي المناسب من جانب أبنائهم البنين . كما توضح الدراسات الأكثر حداثة أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء قياساً بالأمهات أن يستجيبوا لأطفالهم بشكل مختلف على أساس جنسهم البيولوجي (e.g. Aldous, 1975; Margolin & Patterson, 1975).

وتوضح المعلومات التي تم جمعها عن السلوك الوالدي تجاه الأطفال الأصغر سنًا وسلوك الأطفال تجاه والديهم أنه يبدو أن الوالدين يقومان داخل البيئة المنزلية بأنشطة مختلفة . وحتى في الوقت الراهن لا يزال تقسيم الوظائف بين الوالدين تقليدياً على الرغم من وجود العديد من الأمهات العاملات ممن هن أطفال صغار السن ، بمعنى أن النساء قد بقين هن القائمات الأساسيات على العناية بالأطفال الصغار حتى عندما يزيد الرجال من معدل قيامهم بالواجبات التي تتعلق بالشئون المنزلية . وقد نشرت تريبتون تايمز Trenton Times في عددها الصادر بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٨٠ أنه على الرغم من أن الرجال قد أصبحوا يقومون الآن بالعديد من الأنشطة التي تتعلق بالشئون المنزلية وذلك بشكل يفوق ما كانوا يقومون به من قبل ، فنجدهم مثلاً يقومون بإخراج أكياس القمامة من المنزل ، ويطهون الطعام ، ويذهبون إلى السوق ليشتروا احتياجاتهم المنزلية ، ويغسلون الأطباق فإنه لا تزال هناك بعض الأنشطة لا يؤديها الرجال بأي درجة كتنظيف الحمام مثلاً أو تصنيف الغسيل بعد أن يجف أو تنظيف الثلاجة أو الفرن . وهكذا لا يزال الآباء أقل من الأمهات تفاعلاً مع أطفالهم صغار السن ، ولا تزال الأمهات هن القائمات أساساً على العناية بالأطفال على الرغم من أن الآباء قد أصبحوا يلعبون دوراً فعالاً في ذلك الشأن بشكل متزايد . وقد يخفى هذا التقسيم غير المتعادل لكم الوقت المستغرق في

التفاعل مع الأطفال تلك الفروق في أنماط السلوك الوالدية تجاه الأطفال ، وقد يكون من الضروري أن نأخذ معدل الوقت المستغرق في التفاعل مع الأطفال في الاعتبار عن طريق ملاحظة معدل الوقت المستغرق في الأنشطة المختلفة كدالة للوقت الكلى المستغرق في التفاعل معهم . وعلى الرغم من أن الأمهات قد تشاركن بشكل كلى في الوظائف والأدوار أكثر من الآباء فإن توزيع أو نسبة مثل هذه الأنشطة قد تكون هى المتغير الهام في هذا الصدد .

وتوضح البيانات المتاحة في مجال التفاعلات بين الأب والطفل والتي تتعلق بأنشطة الرعاية أن الأب يتفاعل قليلاً وبشكل غير مستمر مع طفله الرضيع ، كما يضطلع بقدر قليل جداً من مسؤولية العناية به حيث وجد كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck أنه من بين مائة وأربعة وأربعين أباً قام بإجراء المقابلات معهم إضافة إلى ملاحظته لأطفالهم الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين تسعة أشهر إلى اثني عشر شهراً قرر ٢٥٪ منهم فقط أنهم يقومون بأنشطة العناية بالأطفال بشكل منتظم . ويرى لويس وبان (١٩٧٧) Lewis & Ban أن آباء الأطفال الذين يبلغون عاماً واحداً من أعمارهم يقضون خمس عشرة دقيقة فقط يومياً في اللعب معهم ، وأن المدة التى يقضيها هؤلاء الآباء في اللعب مع أطفالهم تتراوح بين صفر إلى ساعتين . وفي مقابلاتهم التى أجريها مع أمهات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنة واحدة وأربع سنوات من العمر وجد نيوسون ونيوسون (١٩٦٨) Newson & Newson أنه بالرغم من أن أكثر من ٥٢٪ من الآباء كانوا يأخذون دوراً فعالاً في الحياة اليومية لأطفالهم فإن الأنشطة التى كانوا يقومون بأدائها لم تكن تتضمن بالضرورة العناية هؤلاء الأطفال . وعندما يقرر آباء الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عام واحد وأربعة أعوام أنهم يشاركون في الواقع بنصيب متوسط في أنشطة الطفل فإن هذا يعنى أنهم لا يقومون بذلك إذا لم يطلب منهم القيام به أو إذا كانوا يمرون بظروف خاصة . إلا أن نصف هؤلاء الآباء تقريباً كانوا يساهمون بقدر قليل جداً في العناية اليومية بأطفالهم قياساً بما كانت تقوم به الأمهات .

ويرى وينروب (١٩٨٠) Weinraub في دراسته لآباء وأمهات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عامين وثلاثة أعوام ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ويقطنون في مناطق حضرية أن الآباء قد قرروا أنهم يقضون ١٥٪ فقط من وقتهم الكلى في العناية

بالأطفال ، بينما قررت الأمهات أنهن تقضين ٢٥٪ من وقتهن الكلى فى العناية بهم . وبمقارنة متوسط الوقت الذى قرر كل من الآباء والأمهات أنهم يقضونه فى العناية بالأطفال نلاحظ أن الآباء يقضون ما متوسطه ٠,٨ ساعة يوميًا فى العناية بالأطفال بينما تقضى الأمهات ٢,١ ساعة يوميًا فى العناية بهم . وهكذا فإن الآباء يقضون فقط حوالى ثلث الوقت الذى تقضيه الأمهات فى العناية بالأطفال . وتكشف تلك الدراسة أيضًا عن وجود تفاعل دال بين جنس الطفل و جنس الوالد إذ كان الآباء يقضون وقتًا أطول من الأمهات فى أنشطة لا تتعلق برعاية الأطفال كمشاهدة التلفزيون أو القراءة مثلاً إذا كان الطفل أنثى ، بينما كانت تقضى الأمهات وقتًا أطول من الآباء فى مشاهدة التلفزيون أو القراءة إذا كان الطفل ذكرًا .

وفى مجال العناية بالأطفال نلاحظ أن الفروق بين الآباء والأمهات يبدو أنها تتعلق فى الأساس بالأداء أكثر مما تتعلق بالكفاءة إذ يرى باركى وأوليرى (١٩٧٥) Parke & O'Lrary من خلال ملاحظتهما للوالدين فى غرفة بالمستشفى أن الآباء يتساوون مع الأمهات فيما يتعلق بكفاءتهم فى التفاعل الاجتماعى مع المواليد الجدد . وعلى الرغم من أن الأمهات تقضين وقتًا أطول فى أنشطة العناية بالطفل فى المنزل فإن الآباء كالأمهات يمكنهم الاستجابة للمواليد الجدد فى المستشفى بحساسية وبشكل ملائم .

وتبدو الفروق بين الأب والأم أكثر وضوحًا فى قيامهم بإحداث التوازن بين اللعب مع الطفل وقيامهم بأنشطة العناية به (Parke & Sawin, 1975, 1980) . ويرى لام (١٩٨٠) Lamb أن أمهات الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر شهرًا وأربعة وعشرين شهرًا تقمن بحمل أطفالهن أثناء قيامهن بالعناية بهم ، كما يعتبرون أيضًا أكثر تقييدًا لهم قياسًا بالآباء ، بينما يعتبر الأب أكثر حملًا لهم بغرض اللعب معهم . وتتمثل أكثر النتائج ثباتًا فيما يتعلق بجنس الوالد والوظيفة الاجتماعية للعب فى أن الآباء يقضون قدرًا أكبر من وقتهم فى اللعب مع أطفالهم الرضع قياسًا بالأمهات (Field, 1978; Lamb, 1977a; Trevarthen, 1974; Yogman, et al., 1977) .

وبالإضافة إلى ذلك يميل الآباء إلى المشاركة فى قدر أكبر من اللعب الجسدي مع أطفالهم أكثر مما تفعل الأمهات . ففى دراسته التى أجراها على الآباء والأمهات فى منازلهم وجد لام (١٩٧٧ - أ) Lamb أن الآباء يلعبون مع أطفالهم قدرًا أكبر من

الألعاب الجسدية ويشاركون في قدر أكبر من الأنشطة التي تتضمن اللعب التقليدي ، والقراءة والألعاب التي يركز فيها المثير على اللعبة وذلك قياساً بالأهميات . كما لم تجد كلارك - ستوارت (١٩٧٨ ، ١٩٨٠) Clarke-Stewart أى فروق بين الآباء والأمهات في كم ونوع اللعب الاجتماعي مع أطفالهم الأصغر سناً في المنزل . ومع ذلك فقد اتضح من خلال جلسات اللعب التي كانت تتم في المعمل والتي كان يطلب فيها من الوالدين اختيار نشاط يقومون به مع طفلهم الذي بلغ خمسة عشر شهراً من العمر أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يختاروا أنشطة اللعب الجسدي والاجتماعي مع طفلهم ، بينما كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات أن يخترن أنشطة اللعب العقلية وغير الاجتماعية . وترى كلارك - ستوارت Clarke-Stewart أيضاً أن لعب الآباء يميل إلى أن يكون إثارياً وجسدياً في طبيعته عند مقارنته بلعب الأمهات الذي يبدو أنه يزداد نسبياً في الجانب العقلي والتعليمي . وقد توصل باور وباركي (١٩٨٢) Power & Parke إلى نتائج مشابهة إذ وجدوا أنه عند تنظيم التفاعل القائم بين الوالد والطفل أن الأمهات يستخدمن اتجاهاً أو مدخلاً يقوم على الاهتمام والانتباه الموجه بعيداً عن محور جسد الطفل في حين يستخدم الآباء نمطاً يقوم على توجيه الاهتمام والانتباه إلى أقرب نقطة من محور الجسد بالنسبة للطفل . كما كان الآباء يقضون وقتاً أطول من الأمهات في اللعب بالدمى مع الأطفال وفي حمل الأطفال ، بينما كانت تميل الأمهات إلى مشاهدة نشاط الطفل بدلاً من المشاركة الجسدية معه في اللعب . ويرى بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, et al. أنه عندما يكون أعضاء الأسرة الثلاثة الأم والأب والطفل معاً تزداد معدلات الإثارة الحركية اللمسية القوية من جانب الآباء قياساً بالأهميات وذلك على الرغم من أن هذه النتيجة لم تتحقق حينها كان الأب والطفل يشكّلان معاً بمعزل عن الأم ثنائية مستقلة . وتوضح البيانات المتضمنة في الجدول التالي المشتق من دراسة لويس وفيرنج (١٩٨٢) Lewis & Feiring متوسطات تكرار التفاعل لمدة تزيد على خمس عشرة دقيقة بين أعضاء الثلاثية الأسرية وذلك في مجالات ثلاثة هي العناية بالطفل ، ورعايته ، والبحث عن المعلومات . وتم تعريف العناية بالطفل Caregiving بأنها الاهتمام بالحاجات الجسدية المادية للطفل من جانب شخص آخر كإرضاعه أو إطعامه طعاماً صلباً أو القيام بتنظيف جسده أو مساعدته على قضاء حاجته بدورة المياه . أما رعاية الطفل Nurturance

فقد تم تعريفها على أنها أى تعبير عن الدفء العاطفى سواء كان لفظيًا كالثناء والمديح مثلاً، أو غير لفظى كالابتسام له وتقبيله وعناقه . فى حين تم تعريف البحث عن المعلومات information seeking على أنها أى نمط للسؤال يتضمن طلبًا للمعلومات غير المتاحة ، أو الأسئلة المتضمنة فى اختبار ما ، أو الأسئلة الموجهة التى يتم من خلالها طلب القيام بسلوك معين .

جدول (١) التفاعلات الأسرية بحسب الوظيفة
التي تؤدي في الثنائيات الموجهة المتضمنة في الأسرة (ن = ١٥)

الثنائيات	البحث عن المعلومات	الرعاية	العناية بالطفل
الأم والطفل	٩,٦	٤,١	٤,٣
الأب والطفل	٩,٥	٣,٣	٣,٣
الطفل والأم	٣,٥	٢,٠	٠,٤٠
الطفل والأب	١,٩	٢,٠	٠,٣٣
الأم والأب	٣,٢	٣,٩	١,٦
الأب والأم	٤,٧	٢,٧	٠,٥٣

ومن ناحية أخرى فإننا لا نعرف سوى القليل جدًا عن اختلاف أداء الوالدين فيما يتعلق بالوظائف العديدة غير اللعب والتي يؤديانها مع الطفل . ففي الدراسة الاستطلاعية التي أجراها لويس وفيرنج (١٩٨٢) Lewis & Feiring على خمسة عشر طفلًا فى العام الثالث من أعمارهم بالإضافة إلى والديهم وذلك أثناء تناول طعام الغداء قاما بدراسة الفروق فى الوظائف والأدوار التي يؤديها كل من الأب والأم والطفل .

ويوضح الجدول السابق متوسط تكرارات التفاعل من جانب أعضاء الثلاثية الأسرية التي تضم الأم والأب والطفل وذلك بحسب الوظيفة المؤداة . وعند فحص سلوك والدى الطفل الذى يبلغ الثالثة من عمره لاحظنا أن كلا من الأب والأم يقومان بقدر مشابه من البحث عن المعلومات ورعاية الطفل والعناية به . وبذلك يتضح من خلال دراستنا لهذه العينة الصغيرة لمدة تزيد على خمس عشرة دقيقة أن كلا الوالدين عندما يتعاملان مع الطفل يؤديان الوظيفة التعبيرية (رعاية الأطفال والعناية بهم)

والوسيلية (البحث عن المعلومات) . ففيمما يتعلق بالوظيفة التعبيرية نلاحظ أن الأمهات تؤدين هذا الدور بدرجة تزيد قليلاً عن الآباء ، إلا أن مثل هذا الفرق في السلوك الوالدى يعتبر ضئيلاً جداً وغير دال . ومن المدهش أيضاً أن نلاحظ ففمما يتعلق بالأنماط السلوكية المسجلة في موقف وقت تناول الغداء أن النشاط الوالدى الأكثر تكراراً لم يكن هو رعاية الأطفال أو العناية بهم بل كان هو البحث عن المعلومات . أما ففمما يتعلق بالوظائف التي تم تسجيلها هنا فقد لاحظنا أن الأمهات يقمن بتوجيه قدر من السلوك تجاه الطفل أكبر بعض الشيء مما يقوم به الآباء في هذا الصدد .

ويوضح فحص سلوك الآباء تجاه والديهم أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم أن يبحثوا عن معلومات من الأم أكثر مما يفعلون مع الأب حتى وإن لم تكن هناك فروق دالة بين الآباء والأمهات في سلوك البحث عن المعلومات التي تتعلق بالطفل . وتؤكد النتائج بذلك أن الفروق في سلوك الأطفال تجاه والديهم قد لا يعكس بالضرورة فروقاً بين والديهم في نفس المجال .

وففمما يتعلق بسلوك والديهم تجاه بعضهما البعض لاحظنا أن الآباء يبحثون عن قدر أكبر من المعلومات عند الأمهات ، بينما تقوم الأمهات برعاية الأطفال والعناية بهم أكثر من الآباء . وفي حالة سلوك والديهم تجاه بعضهما البعض يبدو أن تقسيم بارسونز وبيلز (١٩٥٥) Parsons & Bales للأدوار ينطبق على والديهم في هذه الحالة إلى حد ما على الأقل ، فتقوم الأمهات بقدر أكبر من أنماط السلوك التعبيرية تجاه الآباء ، بينما يقوم الآباء بقدر أكبر من أنماط السلوك الوسيلية تجاه الأمهات . وبذلك يبدو أنه على الرغم من عدم ظهور تمييز بين والديهم في الأدوار عند أداء وظائفهما تجاه الطفل فإن هذا التمييز بينهما في الدور يظهر بجلاء إذا ما كان سلوك كل منهما موجهاً نحو الآخر . وتؤكد هذه النتائج أن الطفل قد يتعلم أيضاً بعض الأشياء عن التوقعات التي ترتبط بالدور التقليدى بالنسبة لسلوك الرجال والنساء وذلك من خلال ملاحظته - وليس المشاركة في التفاعل القائم - شكلاً من أشكال التأثير غير المباشر للتفاعل القائم بين والديه . ويعتبر تعلم السلوك الاجتماعي من خلال الملاحظة في الواقع أمراً جوهرياً وبديلاً جاهزاً في عملية التنشئة الاجتماعية .

وتؤكد هذه النتائج بوجه عام أنه حتى بالنسبة لمثل هذه العينة الصغيرة توجد فروق في توزيع الوظائف والأدوار الاجتماعية التي تؤديها موضوعات اجتماعية مختلفة (أفراد) كما تدل أيضًا على أن الأطفال يخبرون بشكل ما تلك الفروق التي توجد بين كل من الأم والأب بطريقتين كالتالي :

١ - كما يعبر عنها الوالدان تجاه الأطفال حيث يكون الأطفال هنا هم موضوع هذه الفروق .

٢ - كما يشاهدها الأطفال عند تعبير الوالدين عنها لبعضهما البعض حيث لا يشترك الطفل في التفاعل في هذه الحالة .

وقد يكون لمثل تلك الأنماط المختلفة من الخبرة دلالتها الهامة بالنسبة للطرق التي يتعلم بها الطفل الأساليب المناسبة للسلوك في العالم الاجتماعي .

(د) اختلاف وظائف وأدوار الأم والأب وعلاقتهم بجنس الطفل والطبقة الاجتماعية :

يلعب جنس الطفل دورًا هامًا في اختلاف سلوك كل من الأم والأب تجاه ذلك الطفل إذ يسلك الآباء بشكل مختلف اعتمادًا على ما إذا كانوا يتفاعلون مع ولد أو بنت (e.g. Weinraub, 1980, Weinraub & Frankel, 1977). فوجد باركي وأوليري (١٩٧٥) Parke & O'Leary أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بلمس ابنهم الذكر ذي الترتيب الميلادي الأول والتحدث إليه أكثر مما يفعلونه مع ابنتهم ذات الترتيب الميلادي نفسه . ولاحظ جيويرتز وجيويرتز (١٩٦٨) Gewirtz & Gewirtz أن الآباء يميلون إلى البقاء مع أطفالهم البنين الرضع بالمنزل لمدة أطول من البنات . ووجد ريبلسكي وهانكس (١٩٧١) Rebelsky & Hanks أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقللوا من حديثهم إلى بناتهم الرضيعات ، وأن يزيدوا من حديثهم إلى أطفالهم البنين الرضع وذلك في الشهور القليلة الأولى من حياتهم . كما لاحظ سبيلك وآخرون (١٩٧٣) Spelke, et al. أن الأطفال الذين يبلغون عامًا واحدًا من أعمارهم يميلون إلى التحدث للوالد من نفس الجنس أكثر من الوالد من الجنس الآخر . ووجد وينروب وفراكل (١٩٧٧) Weinraub & Frnakel أن الآباء يقضون مع أطفالهم البنين وقتًا أطول في

اللعب ، والتحدث إليهم قياسًا بالأهيات ، فى حين تقضى الأهيات وقتًا أطول من الآباء فى أداء نفس الأنشطة مع الأطفال البنات .

وتمثل الطبقة الاجتماعية عاملاً هاماً آخر يؤثر على السلوك الوالدى تجاه الأطفال إذ يرى لين (1٩٧٤) Lynn أن الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة يميلون إلى أن يكونوا أكثر انغماسًا فى تربية الطفل وتنشئته قياسًا بالآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا . ويرى فريبرج وباين (1٩٦٧) Freeberg & Payne أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا أن يفرضوا الامتثال والطاعة أكثر مما يفعل الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة . وإضافة إلى ذلك فإنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لأولئك الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أن يقوموا بالقراءة لأطفالهم ، وأن يضعوا لهم معاييرًا تعليمية معينة ، وأن يضعوا لهم أيضًا خططًا للدراسة بالجامعة ، وأن يأخذونهم فى رحلات مختلفة ، وأن يأخذونهم أيضًا إلى المكتبة وذلك قياسًا بأقرانهم الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا . كذلك فمن الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أن يقوموا بدور تعليمى لأطفالهم فيقوموا بالتدريس لهم (Hess & Torney, 1967) وأن يقوموا بتشجيعهم على حب الاستطلاع ، وأن يكونوا أكثر اهتمامًا بالتعليم الرسمى المستقبلى لأطفالهم (Kohn & Carroll, 1960) .

ومن الجدير بالملاحظة أيضًا أن الفروق التى تظهر فى سلوك الأب تجاه أطفاله والتى ترجع فى أساسها إلى الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الأب تدل على أن الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة يعكسون الدور الوسىلى كما حدده بارسونز وبيبلز (1٩٥٥) Parsons & Bales بشكل أكثر وضوحًا مما يعكسه أولئك الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا إذ يبدو فى الواقع أن الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا لهم تأثير ضئيل جدًا على حياة أسرهم (Bebson, 1968) وأن العديد من الأطفال الذين ينحدرون من الطبقة المتوسطة قياسًا بأقرانهم الذين ينحدرون من الطبقة الدنيا يرون آباءهم على أنهم أرباب الأسر الحقيقين والقائمين أساسًا على أمر تهذيبهم وتربيتهم (Fitzgerald, 1966) .

ويكشف بيدرسين وآخرون (1٩٨٠) Pedersen, et al. عن الكيفية التى يمكن بها للموقف الاجتماعى ، والأنشطة المختلفة والدور الاجتماعى المناط بالأب أن ترتبط معًا فى

سبيل تعيين علاقة الأب بالطفل إذ وجدوا أن القدر الأكبر من تفاعل الأب مع الطفل في الأسر التي يتمثل فيها الدور الأساسي للأب في كسب العيش يحدث في مواقف ثلاثية تضم الأم والأب والطفل . وعلى النقيض من ذلك كان تفاعل الأم مع الطفل يحدث بشكل أكثر تكرارًا عندما لا يكون الأب موجودًا في المنزل . ونظرًا لأن تعيين أو تخصيص وقت معين لتفاعل الوالد مع الطفل يختلف باختلاف حجم الجماعة فإن تلك الفروق التي تظهر في الجماعات الاجتماعية التي يتزايد فيها تفاعل الأم والأب مع الطفل تعتبر خصائص مميزة للسلوك والدور الوالدي . وعلى العكس من المواقف الثنائية التي تضم الوالد والطفل فإن السلوك الموجه من الوالد إلى الطفل في المواقف الثلاثية يتناقص مع حدوث تفاعل بين أحد الوالدين والوالد الآخر . ومع أن الطفل لا يزال يخبر نفس مقدار الانتباه والاهتمام الوالدي فإن هذا الانتباه والاهتمام يصبح في ذلك الوقت موزعًا بين الوالدين وليس صادرًا عن والد واحد فقط كما كان في الموقف الثنائي . وبالإضافة إلى ذلك فإن التفاعل الذي يحدث في الجماعة الثنائية التي تضم الزوج والزوجة يعوق كيف التفاعل المحتمل بين الوالد والطفل وبقيدته إذ وجد بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, et al. أن الاستجابات التي تصدر عن الشخص الراشد والتي تتطلب تركيزًا أكبر للاهتمام والانتباه على الطفل كالابتسام له والتحدث إليه ، واللعب معه يقل احتمال حدوثها أثناء تفاعل الزوجين معًا ، بينما لا تعاق استجابات أخرى مثل حمل الرضيع وهزه أو أرجحته بالأيدى من جراء هذا التفاعل . وبذلك يتضح أن مقدار الوقت المتاح أمام الأب للسلوك المتمركز حول الطفل في المواقف الثنائية وليس الثلاثية قد يمثل عاملًا هامًا في تعيين دور الأب في هذا الصدد .

ويمكننا تلخيص ذلك فنقول أن الآباء على النقيض من الأمهات يقضون وقتًا أقل في التفاعل الثنائي مع أطفالهم ، وأنهم أكثر اهتمامًا بنمو الدور الجنسي لأطفالهم ، كما يقضون وقتًا أقل مما تقضيه الأمهات في أنشطة العناية الفعلية بأطفالهم على الرغم من قضائهم لوقت أطول نسبيًا في اللعب مع الأطفال قياسًا بالأمهات . وبينما يدرك الأطفال آباءهم على أنهم وسيليون ويتسمون بالتحفظ والسيطرة فإنهم يرون أمهاتهم على أنهم تعبيريات وتتسمن بالدفء والرعاية .

ومن المثير حقاً أن تكشف الدراسات التي تقوم على الملاحظة عن وجود قدر قليل من الفروق الحاسمة في أنماط سلوكية معينة يقوم بها الآباء والأمهات تجاه أطفالهم ، بينما تبدو أوجه التشابه بينهما أكثر إثارة من أوجه الاختلاف . كذلك فإن الفروق التي تظهر طبقاً لجنس الوالد أثناء تفاعل الوالدين مع أطفالهما قد تعتمد على جنس الطفل وطبيعة سلوكه وذلك خلال سنوات ما قبل المدرسة وما بعدها . ومع ذلك فليس هناك دليل يكشف عن أن الأب يعتبر والدًا من الدرجة الثانية أى يقل عن الأم في أهميته ودوره بالنسبة للطفل . وعلى الرغم من أن الآباء قد يعبرون عن انغماسهم مع بعض الأطفال في بعض المواقف بأساليب تختلف قليلاً فإنهم يتساوون مع الأمهات في حساسيتهم للأطفال واهتمامهم بعملية تربيتهم وتنشئتهم .

(هـ) أوجه الشبه والاختلاف في سلوك الطفل تجاه الأب والأم :

تركز اهتمامنا حتى هذه النقطة على الفروق في سلوك الأم والأب تجاه الأطفال ، ولم نتطرق بعد إلى كيفية سلوك الأطفال بشكل مختلف تجاه والديهم . إلا أن هناك موضوعاً يحتاج إلى الدراسة يتمثل في ما إذا كانت الفروق في السلوك الوالدى تؤدي إلى فروق في سلوك الطفل وسماته أم لا حيث كشفت الدراسات التي تناولت السلوك التمييزي من جانب الطفل تجاه الوالد إلى نتائج مختلطة ، فوجد لويس ووينروب (١٩٧٦) Lewis & Weinraub أن كلاً من الأولاد والبنات قد قاموا بلمس أمهاتهم ، والبقاء بالقرب منهن ، والتحدث إليهن أكثر مما فعلوه مع آبائهم وذلك في موقف معمل للعب الحر . كما كان البنون يميلون إلى النظر إلى آبائهم أكثر من أمهاتهم . ويرى لام (١٩٧٦ - أ) Lamb أن الأطفال الرضع قد فضلوا أمهاتهم على آبائهم في موقف معمل يتخلله التوتر . ومع ذلك فقد أظهر نفس الأطفال الرضع في المواقف العادية الخالية من التوتر أو التي تتضمن قدرًا ضئيلاً من التوتر أنماطاً سلوكية أكثر تدل على التواد وأخرى تدل على التعلق بآبائهم أكثر من أمهاتهم . وعلى النقيض من ذلك لاحظ فاندل (١٩٧٦) Vandell عند دراسته للفروق في التفاعل بين الأم والطفل وفي التفاعل بين الأب والطفل وذلك في الشهور السادس عشر والتاسع عشر والثاني والعشرين من عمر الطفل أن كلا النوعين من التفاعل يتشابهان بدرجة كبيرة ، فلم تختلف الأمهات عن الآباء في عدد التفاعلات التي

قام بها كل منهما مع الأطفال على سبيل المثال ، كما لم يختلفا أيضًا في عدد الأنماط السلوكية اللفظية الصادرة عن كل منهما ، تجاه الطفل ، ولا في النسبة المثوية للتفاعلات سواء تلك التفاعلات التي أخذها المبادرة فيها أو تلك التفاعلات التي انتهت عندهما إثر قيام الطفل بالمبادرة في التفاعل .

كذلك فلم يجد وينروب وفرانكل (Weinraub & Frankel ١٩٧٧) أى فروق دالة في السلوك الصادر عن أطفال يبلغون الشهر الثامن عشر من أعمارهم تجاه أمهاتهم وآبائهم في موقف للعب الحر كانت فيه لكلا الوالدين الحرية في الاستجابة بشكل طبيعي لأطفالهم . كما لم يجد لويس ووينروب (Lewus & Weinraub ١٩٧٦) أيضًا أى فروق بين الجنسين في الأنماط السلوكية الدالة على التعلق والصادرة عن أطفال في الثانية من أعمارهم تجاه أمهاتهم وآبائهم وذلك في ظل ظروف تتضمن قدرًا ضئيلاً من التوتر .

وترى كلارك - ستوارت (Clarke - Stewart ١٩٧٨ ، ١٩٨٠) أنه عندما توجد هناك فرق في كم السلوك الدال على التواد من جانب الأطفال والموجه نحو الوالدين قد تكون تلك الفروق دالة للسلوك الوالدى أى ترجع إليه وليس للتفضيلات الحقيقية للطفل إذ وجدت خلال تقييمهما للتعلق أن الأطفال الذين يبلغون الشهر العشرين من أعمارهم كانوا أكثر استجابة للعب الذى يبادر به الآباء قياسًا بالأمهات على الرغم من عدم وجود أى تفضيل عند تثبيت كم اللعب الوالدى مع الطفل . كما اتضح أيضًا أثناء ملاحظة جلسات اللعب التى كانت تتم فى المنزل والتي كان يتواجد فيها كل من الأب والأم أنه قد تم تقييم الأطفال على أنهم أكثر تعاونًا واهتمامًا وانغماسًا فى اللعب مع الأب . ويرى يوجمان وآخرون (Yogman, et al. ١٩٧٧) أنه من الممكن بالنسبة للأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر السادس من العمر والتي تمت ملاحظتهم يميلون إلى إظهار نمط تبادل للتفاعل مع أمهاتهم يقوم على المص ، بينما أظهروا فى تفاعلهم مع آبائهم نمطًا تفاعليًا يتسم بأنه أكثر قوة أو حدة ونشاطًا ويقوم على اللعب .

(و) مظاهر الاختلاف فى السلوك الوالدى وأثرها على نمو الطفل :

يتأثر توزيع الوظائف والأدوار المتضمنة فى مصفوفة الشبكة الاجتماعية للطفل طبقًا للموضوعات (الأفراد) فيها بالعديد من المتغيرات ، منها :

١ - المواقف الاجتماعية ، وتمثل في الفروق الثقافية كما تعكسها الطبقة الاجتماعية والفروق بين الجنسين .

٢ - الفروق الديموجرافية التى تتعلق بالأسرة كالترتيب الميلادى للطفل وحجم الأسرة.

٣ - سمات الطفل كالعوامل التى ترتبط بوجوده ونموه .

وعلى الرغم من أن معلوماتنا عن الفروق التى ترتبط بالعلاقة والتفاعل بين الموضوع الاجتماعى (الفرد) وبين الوظيفة أو الدور تعتبر فى تزايد مستمر فليس لدينا أى معلومات عن النتائج النهائية المحتملة لمثل هذه الفروق . وقد وجدت كلارك - ستوارت (١٩٧٨) Clarke - Stewart فى دراستها للعلاقة بين أنواع الوظائف أو الأدوار التى يؤديها الوالدان وبين نمو الطفل أن الكفاءة العقلية للطفل ترتبط بتعبير الأم عن الدفء والعاطفة الإيجابية (دور الرعاية) ، بالإضافة إلى الإثارة العقلية التى تقدمها للطفل (دور تعليمي) . كما ترتبط نسبة ذكاء الأطفال بدرجة كبيرة بانغماس الأب مع الطفل فى اللعب ، بالإضافة إلى مدى توقعه للاستقلالية من جانب الطفل .

ومن ناحية أخرى لم يجد بلسكى (١٩٨٠) Belsky أى فروق دالة فى الأنماط السلوكية للأب والأم ومدى كفاءة الطفل فى القيام بالاستكشاف ، فالأمهات اللاتى يقمن بإثارة أطفالهن وينغمسن فى حياتهم بشكل مستمر ، ويقمن بمشاركة اللعب الاجتماعى كان أداء أطفالهم الرضع يتسم بالكفاءة . ومع ذلك كان الآباء الذين يستجيبون لأطفالهم الرضع لفظياً ، ويعتنون بهم جسدياً ويعبرون لهم عن عاطفتهم تجاههم ، ويشاركونهم باستمرار فى اللعب النشط القائم على الحركة يتسم أطفالهم الرضع بالكفاءة فى الأداء . كما كان السلوك المميز للأم كاللعب غير المباشر يرتبط بكفاءة الرضيع بالنسبة للأمهات فقط وليس الآباء ، بينما كان السلوك المميز للأب كاللعب الحركى النشط أو العنيف يرتبط بكفاءة الرضيع بالنسبة للآباء فقط وليس الأمهات . كذلك فقد كانت هناك أوجه تشابه متداخلة فى الجانب النهائى أيضاً إذ كان الأطفال الذين يظهر والداهم مستويات مرتفعة من الأنماط السلوكية كالاستجابة اللفظية والآثار الجسدية المادية والعناية بهم يتسمون بالكفاءة فى الأداء .

وتؤكد هذه النتائج أن الأساليب التي يختلف الوالدان بمقتضاها في سلوكهم تجاه طفلها قد ترتبط جزئيًا بنمو الطفل . فبينما تعتبر الأمهات أكثر اهتمامًا برعاية الأطفال وتقديم الإثارة العقلية اللفظية لهم ، يعتبر الآباء أكثر اهتمامًا باللعب مع الطفل ، وتحقيقه للاستقلال . كما تؤكد أيضًا على أن مثل هذه الاهتمامات الخاصة بكل الوالدين لها إسهاماتها الفريدة والدالة على نمو الطفل .

ثالثًا : يكتسب الطفل المعرفة عن طريق التفاعل المباشر وغير المباشر مع الشبكة الاجتماعية :

يدل هذا الافتراض على أنه من وجهة النظر التي تتعلق بالأنساق تعتبر المعلومات التي يكتسبها الطفل عن الأنساق الفرعية التي يعتبر الطفل عضوًا فيها بالإضافة إلى الأنساق الفرعية التي لا يعتبر عضوًا فيها لها أهميتها في فهم نمو الطفل إذ عندما تمت دراسة التفاعل الأسري في وقت تناول الغداء من جانب لويس وفيرنج Lewis & Feiring وهو ما أشرنا إليه سابقًا ، وتم خلاله دراسة ثلاثة أنساق فرعية إضافة إلى آثارها المحتملة على الطفل ، وكانت تلك الأنساق الفرعية هي :

(أ) الأم والطفل .

(ب) الأب والطفل .

(ج) الأم والأب .

اتضح أن الأطفال لا يكتسبون المعلومات عن الكيفية التي يسلك بها الأب تجاههم أي عندما يكون سلوكه موجهًا إليهم فحسب (أثر مباشر) ، بل إنهم يستطيعون أيضًا أن يكتسبوا المعلومات عن تلك الكيفية التي يسلك بها الأب من خلال مشاهدة سلوكه تجاه الأم (أثر غير مباشر) .

ونظرًا لأنه قد تمت دراسة السلوك والتفاعل الاجتماعي في إطار وجهة النظر السلوكية فإن العديد من النتائج الإمبريقية وتلك التي ترتبط بنظرية معينة تركز حول الأثر المباشر لموضوع (فرد) معين على موضوع (فرد) آخر . وبذلك فإن القدر الذي يتحدث به الأب أو الأم للطفل أو كم حصولهما على المعلومات يرتبط بكم المعلومات التي يبحث الطفل عنها . وفيما يتعلق بدراسة اكتساب اللغة نلاحظ في الواقع أنه من غير الشائع أن نجد الباحثين يقومون بدراسة مقدار تحدث الأم للطفل كما يرتبط بمقدار

تحدث الطفل في وقت ما في المستقبل (e.g. Freedle & Lewis, 1977). ومع ذلك فقد يتمثل موضوعنا الأساسي هنا أيضًا في أن السلوك الذي لا يتضمن الطفل بشكل مباشر له نتائج النائية الهامة. وتظهر مثل هذه الآثار غير المباشرة في التراث السيكلوجي تحت عدد من المصطلحات تتضمن النمذجة أو المحاكاة أو التعلم بالملاحظة. وإذا ما أخذنا مائدة الغداء المقدمة هنا كمثال يصبح من الممكن من وجهة النظر التي تتعلق بالأنساق أن نتساءل عما إذا كانت ملاحظة الطفل للوالدين في بحثهما عن المعلومات من بعضهما البعض لها أثر معين على ذلك الطفل أم لا.

١ - الآثار المباشرة للوالدين على الطفل :

تعرف الآثار المباشرة بأنها تلك التفاعلات التي تتضمن دومًا الشخص المستهدف - وهذا الشخص بالنسبة لنا يتمثل في الطفل في هذه الحالة - كأحد المشاركين فيها. وبذلك فإن هذه الآثار المباشرة تمثل أثر شخص معين على سلوك شخص آخر عندما يشترك كلاهما في تفاعل متبادل. ونظرًا لأنه عادة ما تتم ملاحظة الآثار المباشرة في تفاعلات ثنائية فإن دراسة مثل هذه الآثار المباشرة تتقيد بنسق يضم شخصين فقط. ومع ذلك فمن الممكن أن نضع في اعتبارنا جماعة ثلاثية يتفاعل الأب والأم من خلالها مع الطفل في الوقت ذاته. وفي مثل هذه الحالة يمكن ملاحظة الأثر المباشر للطفل على كلا الوالدين. ولسوء الحظ فإن الأنساق القياسية measurement systems لم تتطور جيدًا بالنسبة لتلك الجماعات الاجتماعية التي تزيد عن شخصين. ونظرًا لأنه قد تمت مسبقًا مناقشة الآثار المباشرة لسلوك الوالدين الموجهة نحو الأطفال وسلوك الأطفال الموجهة نحو الوالدين تحت الافتراض الذي يتناول الموضوعات الاجتماعية والوظائف أو الأدوار الاجتماعية فسوف نقوم هنا بالتركيز فقط على تلك الآثار غير المباشرة للوالدين على الطفل.

٢ - الآثار غير المباشرة للوالدين على الطفل :

تشير الآثار غير المباشرة إلى فئتين عامتين من الأحداث، تتمثل أولاهما في مجموعة التأثيرات على الشخص المستهدف والتي تحدث في غياب أحد أعضاء النسق. ومن الأمثلة على ذلك ما نلاحظه من أثر العلاقة بين الأب والأم على سلوك الأم تجاه الطفل عندما تتواجد الأم فقط والطفل بمفردهما.

وتحدث الفئة الأخرى من الآثار غير المباشرة أثرها عندما يتم التفاعل بين أعضاء الشبكة الاجتماعية في وجود الشخص المستهدف حتى وإن لم يكن التفاعل موجهاً إليه . وقد تناولنا بالفعل مثلاً حول ذلك في الموقف الذى يلاحظ الطفل فيه كلا الوالدين وهما يبحثان عن المعلومات من بعضهما البعض .

وقد تأخذ الآثار غير المباشرة بين أعضاء الشبكة الاجتماعية العديد من الأشكال المختلفة . وسوف نتناول في هذا الجزء من الفصل الحالى أربعاً من الأساليب المختلفة التى تظهر من خلالها تلك الآثار غير المباشرة ، هى : المساندة ، والأنماط أو الصيغ التمثيلية ، والانتقال الفكرى والاجتماعى أو ما يعرف بالسند referencing أو الإشارة ، وأخيراً النمذجة .

(أ) المساندة :

يتمثل الموضوع الأساسى عادة في حالة الأسرة الذرية للطفل في وجود علاقة لذلك الطفل بكل والد من والديه ، ووجود علاقة للوالدين ببعضهما البعض على أنها منفصلين عن الطفل ولكنهما ليسا مستقلين عنه . وتعتبر الطبيعة التى تقوم على الاعتمادية المتبادلة لتلك الأنساق الفرعية التى تضم الطفل والوالد ، والوالد والوالد الآخر سمة تميز الشبكة الاجتماعية للطفل تعمل على حدوث الآثار غير المباشرة . ويمكن النظر في طبيعة النسق الفرعى الذى يضم الوالد والوالد الآخر في الشبكة الاجتماعية للطفل على أن لها أثراً غير مباشر على النسق الفرعى الذى يضم الوالد والطفل . وتعتبر المساندة التى يقدمها الأب للأم والتى تؤثر بدورها على سلوك الأم تجاه الطفل مثلاً هاماً لهذه الظاهرة .

ومن الجدير بالذكر أن الشبكة الاجتماعية للطفل تضم عدداً من الأنساق الفرعية تؤلف في مجملها أسرة ذلك الطفل ، وتضم هذه الأنساق الفرعية الطفل والوالد ، والوالد الآخر ، بالإضافة إلى الوالد والأخوة ، والطفل والأخوة . هذا ويمكن تصور النسق الفرعى الذى يضم شخصاً راشداً وشخصاً راشداً آخر داخل الأسرة الذرية للطفل الصغير في ضوء علاقيتين مختلفتين للدور هما العلاقة بين الأب والأم ، والعلاقة بين الزوج والزوجة وفيما يرتبط بالعلاقة بين هذين الشخصين الراشدين كزوج وزوجة نلاحظ أن هويتي الدور والأنماط السلوكية قد تؤثر على أدائهما لدوريهما كأم وأب والتى

يتم تعيينها بشكل مباشر فيما يتعلق بالطفل . ويرى بارى (١٩٧٠) Barry أن الزيجات الناجحة هي تلك التي يقوم فيها الزوج بتقديم المساندة للزوجة في جهودها لأداء دورها كأم . ووجد هيث (١٩٧٦) Heath علاقة إيجابية بين إدراك الأم للرضا الزوجي وبين مدى كفاءة الأب كزوج ، كما وجد أيضًا علاقة إيجابية بين إدراك الأم لكفاءة قرينها كزوج وبين كفاءته كآب . ومن الملاحظ أن السيدات اللائي شملتهن الدراسة قد قررن أن القرين الجيد هو ذلك الشخص الذي لديه القدرة على :

١ - إقامة علاقات مساندة وتعاون بين أعضاء الأسرة (دور الأب) .

٢ - إقامة علاقات راشدة مشبعة في ميادين كالقدرة الجنسية ومهارات التواصل التي تساعد في التعبير عن مشاعره الداخلية (دور الزوج) .

٣ - جعل الزوجة تشعر بكفاءتها كأم (دور الأب / الزوج) .

كذلك فإن المساندة الانفعالية والاقتصادية التي يقدمها الأب للأم لها أثر غير مباشر على سلوكها تجاه الطفل . فعن طريق تهدئة قلق الأم ، وشكوكها ، وإحباطاتها ، وجعلها تشعر بالكفاءة ، والاطمئنان ، والثقة بالنفس يمكن للأب / الزوج أن يسهل من صدور السلوك الاستجابي للأم تجاه الطفل والإبقاء على هذا السلوك . هذا وقد أوضحت دراسات عديدة أن مساندة الزوج للزوجة حتى خلال الفترة السابقة لميلاد الطفل تؤثر على علاقتها المستقبلية كأم بطفلها ، وأن التكيف الناجح من جانب الزوجة للحمل يرتبط أيضًا بالمساندة التي يقدمها لها زوجها خلال تلك الفترة (Shereshefsky & Yarrow, 1973) . كما أن هذه المساندة التي يقدمها الأب تعمل على خفض حدة التوتر الذي قد تتعرض له الأم أثناء الحمل أو الولادة (Anderpsn & Standley, 1976) .

ومن ناحية أخرى فإن الأمهات اللائي يتعرضن للكآبة بعد الولادة يصفن أزواجهن بأنهن بعيدين عنهن ويتصفون بالبرود العاطفي ، أى أن الأمهات اللائي تعانين من الكآبة وتتسمن بأنهن أقل استجابية لأطفالهن الرضع يخبرون نقصًا في المساندة من جانب أزواجهن (Kaplan & Blackman, 1969) . وعند دراسته للعلاقة بين مدى انغماس الأم في حياة طفلها ومدى استجابتها له ومدى إدراكها لكم المساندة التي تتلقاها من الأب وجد فيرنج (١٩٧٥) Feiring ارتباطًا إيجابيًا قويًا بين تقديرات الأم للمساندة

التي تتلقاها من الأب وبين تقديرها لدى انغماسها في حياة الطفل ومدى استجابتها له . وتدل نتائج المقابلات التي أجريت في هذه الدراسة على أن الزوجات اللاتي كن تنغمسن في حياة أطفالهن كن تملن إلى التعبير عن شعورهن بالمساندة من جانب قرنائهن على الرغم من أنهن كن لا تبدين التركيز على كم المساندة التي كن تقدمنها لأزواجهن . ويرى بيدرسين (١٩٧٦) Pedersen أن النسق الفرعى الذى يضم الزوج والزوجة يؤثر على النسق الفرعى الذى يضم الوالد والطفل . كما أن كم التوتر والصراع الذى يوجد فى النسق الفرعى الذى يضم الزوج والزوجة يرتبط سلباً بلعب الأب مع الطفل الرضيع بالإضافة إلى قيام الأم بأنشطة العناية الخاصة بطفلها الرضيع . ووجد بيدرسين (١٩٧٦) Pedersen فيما يتعلق بموضوع المساندة والآثار غير المباشرة للوالدين على الطفل أن عاطفة الأب تجاه الأم ومقدار ما يوفره لها من الدفء العاطفى قد يعمل على مساندة الأم وتسهيل أدائها الفعال لأنشطة العناية بالطفل .

ويمكن تفسير العديد من الآثار التي يخلفها غياب الأب على الطفل من خلال تلك الفروق التي توجد في سلوك الأم تجاه أطفالها نتيجة لنقص المساندة وليس بالضرورة لغياب الأب في حد ذاته إذ تقوم الأم التي يغيب عنها زوجها في العديد من الحالات بتوفير الدعم الاقتصادى للأسرة سواء أرادت أن تعمل أم لا حيث يجب عليها أن تعمل في سبيل توفير ذلك الدعم . كما أن عليها أيضاً أن تقوم بكل المهام الأسرية بنفسها مع قليل من المساندة يقدمها لها أفراد من خارج نطاق الأسرة .

ويتناول لين (١٩٧٤) Lynn العديد من الدراسات التي تقوم فيها الأمهات اللاتي يغيب عنهن أزواجهن غياباً دائماً أو مؤقتاً بوصف تلك المشكلات والصعوبات التي تجربنها، ومن هذه الدراسات نجد مثلاً دراسات كريزبرج (١٩٦٧) Kriesberg وباركر وكليسر (١٩٦٦) Parker & Kleiner وتيلر (١٩٥٨) Tiller . وقد قررت هؤلاء الأمهات أنهن يشعرن بأنهن أسوأ من الناحية النفسية من قريناتهن اللاتي لا يغيب عنهن أزواجهن . كما أنهن كن يشعرن أيضاً بأنهن لا تتكيفن وفق الأهداف أو الأغراض المختلفة مثل قريناتهن اللاتي لا يغيب عنهن أزواجهن . ومن ناحية أخرى كانت هؤلاء الأمهات أكثر اهتماماً بالتحصيل الأكاديمي لأطفالهن قياساً بقريناتهن اللاتي لا يغيب

عنهن أزواجهن حيث قمن بقدر أكبر من الجهود غير الملائمة لمساعدة أطفالهن . وكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهن أن تكن غير راضيات عن مستوى أداء أطفالهن ، كما كان من الأقل احتمالاً بالنسبة لهن أيضاً أن يشغلن أنفسهن بدراسة أطفالهن أو أن تطمحن في تعليم أطفالهن في كلية معينة فيما بعد . وأخيراً فقد كانت الحياة الاجتماعية للأمهات اللاتي يغيب عنهن أزواجهن بصفة دائمة أقل فاعلية ، وكان يقل معدل عملهن خارج المنزل ، وكن يوفرن الحماية الزائدة لأطفالهن ، وكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهن أن يكن أكثر اهتماماً بأخلاقيات أطفالهن وقيامهم بالطاعة بدلاً من اهتمامهن بالسعادة وتحقيق الذات . ويرى هوفمان (١٩٧١) Hoffman أن عدم وجود الزوج مع زوجته يجعلها تشعر بأنها أكثر انشغالاً ، وأكثر إرهاقاً وإنهاكاً ، ومن ثم تشعر بعدم الصبر على الطفل ، كما تشعر بالتوجه نحو الإذعان أو المسايرة المباشرة بدلاً من توجيهها نحو الأهداف بعيدة المدى التي تتعلق بشخصية الطفل .

وربما يكون علينا أن نستبدل متغير غياب الأب بمتغيرات تصف افتقار الأم إلى المساندة وذلك بغرض تفسير أثر ذلك الغياب على نمو الطفل . وعلى الرغم من أن تحليل الأنساق الفرعية يوضح أن المساندة التي تقدمها الأم للأب تسهل من حدوث علاقة بينه وبين الطفل فإن هذا الموضوع لم يشهد سوى إجراء قدر ضئيل من الدراسات فقط . وإذا ما سلمنا بأن الأب / الزوج الذي يغمر زوجته بالحب يسهل من حدوث علاقة بينهما وبين الطفل فإن موضوعنا الأساسي هنا لا بد أن يتمثل من أن الزوجة / الأم التي تغمر زوجها بالحب تعمل أيضاً على تسهيل حدوث علاقة بينه وبين الطفل . وقد ينتج عن أى لا تماثل أو تناسق في توزيع جهود المساندة نتائج هامة بالنسبة لتلك النظريات التي تتناول التفاعل الأسرى .

ويبدو أن إدراك الآباء لتلك الأنماط السلوكية التي تشكل المساندة يختلف عن إدراك الأمهات لذلك . فأنماط السلوك التعبيرية تجعل الأمهات يشعرن بالمساندة ، بينما تجعل أنماط السلوك الوسيالية الآباء هم الذين يشعرون بالمساندة (Wills, et al., 1974) . وتوضح هذه البيانات أنه قد يكون هناك تجانس بين نوع الدور الذي يؤديه الوالد ونوع المساندة التي يتطلبها هذا الوالد من قرينه حتى يتمكن من أداء ذلك الدور .

(ب) الأنماط أو الصيغ التمثيلية :

يمكن أن يحدث تمثيل الموضوعات الاجتماعية الغائبة كالتالى :

- ١ - عندما يتحدث أحد أعضاء الشبكة الاجتماعية إلى عضو آخر عن عضو ثالث .
- ٢ - عندما يفكر أحد أعضاء الشبكة الاجتماعية حال غياب عضو آخر فيما يتعلق بهذا العضو الآخر .

وتتكون معرفة الطفل فى الحالة الأولى عن الأب ، وعن علاقته (الطفل) بالأب من خلال موضوع اجتماعى ثالث . ويكون هذا الموضوع الاجتماعى الثالث فى الغالب هو الأم ، إلا أنه قد يتمثل فى الأجداد ، أو الأقارب الآخرين كالعم أو الخال أو العمة أو الحالة ، أو الأخوة ، أو أصدقاء الوالدين . فقد تقول الأم على سبيل المثال « إن هذه هى حقيبة والدى » ، أو « إن والدى قد خرج فى رحلة ولكنه إفتقدك » . وقد يقول الجد أو أحد أصدقاء الوالدين للطفل « إنك تشبه والدك تمامًا » . ويرى لويس وفيرنج (١٩٧٨) Lewis & Feiring أن اختلاف قدرة الطفل على التذكر أو التفكير فيما يتعلق بوالديهم حتى عند غيابها قد يتسبب فى عدم الحصول على نتائج ثابتة فى الدراسات التى تتناول غياب الأب .

وفىما يتعلق بغياب الأب وحدث التمثيل فى ذلك الوقت فإن هناك حالتين لمثل هذا التمثيل تحدث على النحو التالى :

- ١ - تقوم الأم بتمثيل الأب كأن تقول للطفل مثلاً « إننى أعمل من أجل الحصول على المال اللازم لتعليمك » .

- ٢ - تقول الأم للطفل إن الأب قد خرج مع أصدقاء له لأداء شىء ما .

أما فى حالة الغياب الذى يستمر لفترة طويلة من الزمن كما هو الحال بالنسبة للموت أو الطلاق فقد تختلف مثل هذه التمثيلات تمامًا (Hetherington, 1979) . وتوضح العديد من الدراسات أن الأطفال يقومون فى الواقع بالتفكير فى آبائهم عندما يغيب عنهم هؤلاء الآباء (e.g. Baker, et al., 1976) .

ومن ناحية أخرى فإن النشاط التمثيلي الثانى يتضمن تمثيلاً لموضوع غائب . وتؤيد معظم أفكارنا السلوكية وجهة النظر التى تعتبر أن العلاقات وما يرتبط بها من تمثيلات تتكون وتستمر من خلال التواصل ، أى من خلال الآثار المباشرة . وقد يكون من الأفضل تكوين مثل هذه التمثيلات بواسطة الطفل وهو يخبر فترات من كل من الآثار المباشرة وغياب مثل هذه الآثار بمعدل ما غير محدد .

ويطلق سيجل (١٩٧٠) Sigel على انفصال الموضوع عن الطفل والذى يسمح بنمو مثل هذه التمثيلات اسم «التباعد» distancing ويتطلب هذا التباعد من الطفل أن يرسم شكلاً معيناً للموضوع الغائب ويمحصه ويطلق عليه اسماً معيناً ، وبذلك يدعم التعبير المجرد عنه . ونظراً لأن الأب فى الأسرة التقليدية هو الذى يقوم بالعمل خارج المنزل فإن التباعد فى مثل هذه الأسرة يلعب دوراً فى قيام العلاقة بين الأب والطفل أكبر منه بالنسبة للعلاقة بين الأم والطفل . إلا أن مثل هذا الفرق لم يعد موجوداً فى الأسرة الأمريكية نظراً لطبيعتها المتغيرة . وإذا كان الغياب عن المنزل هو المسئول فى الواقع عن مثل هذه الفروق فى التمثيل الوالدى فإننا نتوقع حدوث مزيد من التغيير يكون بإمكاننا أن نلاحظ طبيعته فى تلك الدراسات التى تتناول الأدوار الوالدية التقليدية .

ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد هناك سوى قدر قليل من الدراسات هى التى تناولت الأنماط أو الصيغ التمثيلية خاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة . وعند دراستها للأسماء الأولى التى يستخدمها الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين تسعة أشهر وست وثلاثين شهراً وجد بروكس - جون ولويس (١٩٧٩) Brooks - Gunn & Lewis أنه من سن خمسة عشر شهراً وهو السن الذى يستخدم فيه الطفل أول أسماء يطلقها على الأشياء قام ٢٥٪ منهم بإطلاق أسماء صحيحة على صور آبائهم ، ولم يقم أى طفل منهم بإطلاق أى أسماء على صور الأمهات . وفى سن ثمانية عشر شهراً قام جميع الأطفال الرضع الذين شملتهم عينة هذه الدراسة بإطلاق أسماء صحيحة على صور آبائهم ، إلا أن بعض الأطفال قد استخدم الاسم «دادى» الذى يطلق على الأب استخداماً غير صحيح حيث قاموا بتعميمه تعميماً زائداً . وعلى العكس من ذلك قام البعض فقط من هؤلاء الأطفال الذين يبلغون الشهر الثامن عشر من أعمارهم بإطلاق الاسم «مامى» على أمهاتهم مع وجود قدر قليل من التعميم الزائد . وقد أكدت أمهات

الأطفال الذين يبلغون الشهر الخامس عشر من أعمارهم وجود فروق في تسمية الوالدين من جانب الأطفال حيث قررن أن استخدام أطفالهن لكلمة «دادى» قد سبق استخدامهم لكلمة «مامى» وهو الأمر الذى أكدته باحثون آخرون من بينهم جاكوبسون (١٩٦٢) Jakobson على سبيل المثال .

ومن الملاحظ أن تفسير مثل هذه النتيجة التى تتسم بالحدس يرتبط بموضوع مناقشتنا . فإذا ما تساءلنا عن السبب الذى يجعل الطفل يستخدم كلمة «بابى» قبل كلمة «مامى» فسوف نجد أن هناك تفسيرين محتملين لذلك في إطار الأنماط أو الصيغ التمثيلية هما النمطان اللذان تم تناولهما من قبل . فقد يسمع الأطفال الأم وهى تنادى الأب بذلك أكثر مما يسمعون الأب وهو ينادى الأم بهذا الاسم ، وقد تكون مثل هذه الخبرة - معرفة ما يتعلق بموضوع اجتماعى ثان من موضوع اجتماعى ثالث - هى المسئولة عن حدوث مثل هذه الظاهرة .

ولاختبار مدى صحة هذا الاحتمال قام دون Dunn بمراجعة قائمة بالألفاظ التى استخدمها ثمانية وثلاثون زوجاً من الأمهات الإنجليزيات وأطفالهن الرضع في الشهر الرابع عشر من أعمارهم وذلك عند ملاحظتهم في المنزل لمدة لا تقل عن ساعتين وتسجيل تلك الألفاظ . ووجد أنه قد تم استخدام كلمة «مامى» مائة وثلاث مرات في مقابل ثلاث وأربعين مرة لكلمة «بابى» وذلك من بين ما يزيد على خمسة آلاف لفظاً استخدمها هؤلاء الأطفال . وبذلك فإن تكرار استخدام الأطفال للفظتين «مامى» و «بابى» لم يؤكد تفسيرنا لوجود فروق في استخدامه لهذين اللفظين .

وفىما يتعلق بالاحتمال الثانى فقد تم استنباطه من فرض التباعد ، وهو الفرض الذى يعتبر أنه يتم اكتساب التمثيل بشكل أفضل عندما توجد هناك مسافة فاصلة بين الموضوعات الاجتماعية . ويدل عدم القدرة على تفسير ظاهرة وجود فروق بين الأطفال الرضع في إطلاق الأسماء على الوالدين من خلال الأعداد المجردة للإشارات أو العلاقات أن مثل هذا الفرض قد يكون له مغزاه ودلالته . إلا أن هناك مع ذلك مصدرين آخرين يؤيدان هذا الفرض هما :

١ - أن استخدام كلمة «مامى» قد حدثت من جانب الأطفال الذين شملتهم دراسة دون Dunn هذه خلال النشاط المستمر الذى كانت تؤديه الأمهات . فقد تعلق الأم على سبيل المثال على ما يقوله الطفل قائلة «إن مامى تربط لك حذاءك» ولا يكون الأمر كذلك بالنسبة للأسماء التى تدل على كلمة «دادى» والتى غالبًا ما تحدث فى المناقشات التى تدور حول الأنشطة التى لا تحدث فى وقت الكلام ، كأن تقول الأم مثلاً لطفلها «إن دادى سوف يعود للمنزل غدًا مبكرًا» وبذلك يتعلم الطفل كلمة «دادى» فى غياب الموضوع الاجتماعى الذى تدل عليه وهو الأب ، بينما يتعلم كلمة «مامى» فى وجود الموضوع الاجتماعى الذى تدل عليه وهو الأم .

٢ - يتمثل المصدر الثانى الذى يؤيد فرض التباعد فى تلك الملاحظة التى قام بها روزنبلوم Rosenblum لقردة المكاك التى يتم تربيتها مع أمهاتهم فقط ولا ترى أى فرد آخر فى ذلك الوقت حيث وجد أن هذه القردة تجد صعوبة فى التعرف على أمها حينما تكون تلك الأم مع غيرها من القردة الإناث .

ومرة أخرى نلاحظ أننا إذا ما نظرنا إلى التمثيل على أنه يبنى على أساس من الخبرة المكررة مع الموضوع الاجتماعى فإن النتيجة ستكون هى الحدس المضاد إذ كلما مر الفرد بمزيد من الخبرة حدث مزيد من التمثيل . ويتكون التمثيل بدرجة أفضل عندما يخبر الطفل وجود موضوع اجتماعى معين من خلال التفاعل معه وغياب الموضوع الاجتماعى الآخر بمعدلات غير معروفة إلى حد ما .

وعلى الرغم من أن هذا الجانب من المعرفة الذى يتعلق بالأب والذي يتمثل فى ذلك الاسم الذى يطلق عليه يعتبر أحد الملامح المميزة لها فقط ، فإن هذا المثال يدل على أن الخبرة غير المباشرة يمكن أن تؤثر على معرفة الطفل بما يتعلق بالموضوعات الاجتماعية . وهذا بطبيعة الحال لا يتقيد بالأب فقط إذ كشفت دراسة بروكس - جون ولويس Brooks - Gunn & Lewis (١٩٧٩) عن الفروق بين الأطفال فى إطلاق التسميات المختلفة على الوالدين والتى تضمنت أربعًا من النساء العاملات اللاتى كن يتركن منازلهن لمدة أطول من الآباء أن أطفال هؤلاء الأمهات قد استخدموا كلمة «مامى» فى وقت مبكر جدًا قياسًا بأقربائهم . وهذا بدوره يدعم وجهة النظر التى ترى أن تغير تركيب القوى العاملة قد يؤثر على التمثيلات المختلفة التى تصدر عن الأطفال .

وفي دراسة أخرى أجراها بروكس - جون ولويس (١٩٨٢) Brooks - Gunn & Lewis قاما بملاحظة تعلق الطفل بأحد الوالدين وابتسامه وذلك لدى مجموعة أخرى من الأطفال تتراوح أعمارهم بين تسعة أشهر وستة وثلاثين شهرًا بعد أن رأوا صورًا لأمهاتهم وآبائهم ولرجل غريب عنهم ولسيدة غريبة عنهم ، واتضح وجود فروق دالة بين هؤلاء الأطفال في سن تسعة شهور واثني عشر شهرًا وذلك في تكرار نظرهم إلى الأب وابتسامهم له في مقابل الرجل الغريب قياسًا بتكرار نظرهم إلى الأم وابتسامهم لها في مقابل السيدة الغريبة . ويمكن النظر إلى مثل هذه النتيجة على أنها ذات مغزى هام حيث قد تدل مع ذلك على أن الأطفال الأصغر سنًا يمكنهم أن يقوموا بشكل جيد بالتمييز بين آبائهم والأشخاص الغرباء في مقابل أمهاتهم والسيدات الغربيات ، وإن كان الأطفال لم يظهروا ذلك التمييز بشكل واضح فإنهم يظهرون تفضيلًا لآبائهم على الرجال الغرباء في مقابل تفضيلهم لأمهاتهم على السيدات الغربيات . ويمكن تفسير ذلك بأنه إذا كانت الأمهات بوجه عام يرتبطن بالرعاية فلإنهن قد يكن أقل من الرجال تحويًا للأطفال . وإذا كانت هذه تمثل حقيقة يصبح من الأكثر أهمية بالنسبة للأطفال صغار السن أن يقوموا بالتمييز بين الذكور (الأب في مقابل شخص آخر) أكثر مما يقومون به بين الإناث (الأم في مقابل سيدة أخرى) .

وهناك مجال آخر يدعم ذلك الفرض الذي يعتبر أن التمثيلات الوالدية قد تختلف كدالة للانفصال أو التباعد يظهر في دراسة سيكولوجيا الأنا وتصور فرويد (١٩٥٣) Freud لعمليات التفكير الأولية والثانوية حيث يتكون الأنا جزئيًا نتيجة لعدم قدرة الشخص القائم على العناية بالطفل على أن يقول بإرضاء ذلك الطفل باستمرار وإشباع حاجاته . وتعتبر تمثيلات الأشخاص الغائبين وتمثيلات الذاكرة إحدى العمليات الأولى First والتي تنتج عن غياب الموضوع . كما يحدث التوحد هو الآخر جزئيًا بسبب غياب الموضوع أيضًا . ويتمثل أحد الأساليب الذي يمكن بمقتضاه استعادة شخص غائب في التصرف بأسلوب شبيه بأسلوب ذلك الشخص . وتدل الملاحظات الإكلينيكية على أنه عند موت أحد الزوجين يقوم الزوج الآخر في الغالب بتبنى أخلاقيات الزوج المتوفى ومغزونه السلوكي . كما لوحظ أيضًا أن الأطفال يقومون هم الآخرون بتقليد سلوك الأخوة الذين توفوا (Bowlby. 1980; Weinraub & Frankel, 1977) . وقد تفسر

هذه الظاهرة التمثيلية في الواقع نتيجة محيرة تتعلق بسلوك الأطفال في سن عام واحد وفي سن عامين حينما كان يطلب الباحثون من أمهاتهم مغادرة الغرفة المخصصة للعب في المعمل . فقد وجدنا نحن على سبيل المثال أن أكثر من ٢٣٪ من الأطفال الذين قمنا بملاحظتهم كانوا يتحركون إلى الكرسي الذي كانت تجلس عليه الأم ويجلسون عليه بالرغم من أن ذلك الكرسي لم يكن قريباً من باب الغرفة .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النمط للآثار غير المباشرة له أهمية كبيرة بالنسبة للأعضاء الذين يشكلون الشبكة الاجتماعية حيث نجد :

- ١ - أن العديد من الموضوعات الاجتماعية تكون تقريباً بعيدة عن الطفل أو غائبة عنه .
- ٢ - أن العديد من الوظائف أو الأدوار الاجتماعية تتطلب وجود درجات مختلفة من التباعد .
- ٣ - أن تباعد الموضوعات الاجتماعية يثير القدرات المعرفية للطفل كالذاكرة والتمثيل ، كما يشكل سطحاً بينياً أى له حدود مشتركة وذلك بين النمو الاجتماعي والنمو المعرفي للطفل .

(ج) الانتقال الفكري الاجتماعي :

يوضح تحليل الآثار غير المباشرة أن الأحداث التي تتعلق بأعضاء بعينهم في الشبكة الاجتماعية أو بأنساق فرعية معينة يكون لها تأثيرها على أعضاء آخرين أو أنساق فرعية أخرى . وهنا يأخذ مبدأ الانتقال الفكري الشكل التالي :

- الشخص (أ) له علاقة بالشخص (ب) .
- الشخص (ب) له علاقة بالشخص (ج) .
- ∴ الشخص (أ) له علاقة بالشخص (ج) .

إلا أن العلاقة بين العناصر في حالة الانتقال الفكري الاجتماعي لا تتحدد بالتقييدات المنطقية التي تحكم مسائل الانتقال الفكري الشكلي الأخرى . ومع ذلك فهناك بعض الأدلة التي تؤكد أنها تسير بنفس الطريقة (Lewis & Feiring, 1982a) . فقد تكون العلاقة بين العناصر أ ، ب ، ج علاقة إيجابية أو سلبية ، كما قد تختلف في

شدتها أيضًا . وعلى أى حال فإن علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ب) تستند جزئيًا على علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ب) ، بالإضافة إلى علاقة العنصر (ب) بالعنصر (ج) . وهكذا نجد أنه حتى في حالة عدم وجود علاقة مباشرة بين أ ، ج يكون من المحتمل بالنسبة لهما أن يكونا علاقة معًا من خلال علاقتهما المتبادلة مع (ب) . وعلاوة على ذلك فإنه في حالة وجود علاقة مباشرة بين أ ، ج تقوم العلاقة غير المباشرة التى تتكون بين أ ، ب وبين ب ، ج بالتأثير على العلاقة بين أ ، ج وتغيرها .

وتتحدد علاقات الانتقال الفكرى بمدى قوة العلاقات المباشرة وشكلها ، فتكون العلاقة الإيجابية المباشرة أكثر قوة من العلاقة السلبية غير المباشرة . كما أن العلاقة المباشرة بين أ ، ج تعتبر أكبر وأقوى من العلاقة غير المباشرة بينهما والتى تستند في تكوينها على العلاقة بين أ ، ب والعلاقة بين ب ، ج . وكما يدل تحليل الأنساق فإن علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ج) يجب أن تتأثر بالعلاقة المباشرة للعنصر (أ) بالعنصر (ج) ، إضافة إلى علاقة العنصر (أ) بالعنصر (ب) وعلاقة العنصر (ب) بالعنصر (ج) .

ومن هذا المنطلق فإن علاقة الطفل بالأم وعلاقة الأم بالأب تؤثر على علاقة الطفل بالأب ، بالإضافة إلى تأثيرها على كم التفاعل المباشر بين الطفل والأب . وكذلك فإن الانتقال الفكرى يظهر أثره في كل الشبكات الاجتماعية المتسعة extended وطبقًا لهذا المبدأ فإن العلاقات المختلفة يمكن أن تنشأ وأن يتم تعزيزها عن طريق العلاقات غير المباشرة إضافة إلى العلاقات المباشرة أيضًا إذ نجد على سبيل المثال أنه إذا كان الطفل يحب أمه وأمّه تحبه ، وكانت أمّه تحب أبيه وأبوه يحبها ، فإن ذلك يدل على أن هذا الطفل يحب أبيه وأبوه يحبه حتى عندما لا يوجد تفاعل بينه وبين أبيه كما هو الحال عندما يكون الأب غائبًا عن المنزل .

ويعتبر الانتقال الفكرى الاجتماعى عملية عقلية معقدة تتطلب معرفة الفرد لذاته ولقدرته على إدراك العلاقات المعقدة غير المباشرة ، كما أنها تسهل من حدوث مثل هذه المعرفة . هذا ويمكن تطبيق ذلك المبدأ على العلاقات التى تنشأ بين الطفل وأحد أجداده والتى تتوسطها علاقة هذا الطفل بوالديه وعلاقة الوالدين بوالديهما . وبذلك يعتبر الانتقال الفكرى الاجتماعى أمرًا على درجة كبيرة من الأهمية في التأثير على علاقات

الطفل بأجداده وخاصة في الحالات التي لا ينشأ فيها سوى قدر ضئيل من التفاعل المباشر بين الأطفال وأجدادهم بسبب التباعد . وقد لاحظنا أن العديد من الأطفال يعبرون عن مشاعرهم العميقة نحو أجدادهم الذين لا يرونهم إلا نادرًا وذلك بشكل يفوق تعبيرهم عن مشاعرهم نحو صديق للأسرة يرونه باستمرار . ومن الملاحظ أن تفسير الانتقال الفكري يأخذ الشكل التالي :

(أ) يحب (ب) (أنا أحب أبي) .

(ب) يحب (ج) (أبي يحب أبيه) .

∴ (أ) يحب (ج) (أنا أحب جدي) .

وقد قام باركي وآخرون (Parke, et al. ١٩٧٩) بتمحيص فكرة الانتقال الفكري الاجتماعي كما قدمناها نحن (Lewis & Weinraub. 1976) وذلك فيما يتعلق بتأثير الأب على الطفل . وبالإضافة إلى مناقشتهم للميكانيزم العام للانتقال الفكري الاجتماعي عندما يتوسط شخص معين أثر شخص آخر على شخص ثالث كالأب والأم والطفل مثلاً قام باركي وآخرون بتعيين وضع الدور السلبي بالنسبة لكل فرد تتضمنه علاقة الانتقال الفكري الاجتماعي الثلاثية . وبهذا الشكل يتضح أن السمة الأساسية للتأثيرات الانتقالية الفكرية تتمثل في ذلك الدور المحوري لأحد الأشخاص على أنه متلق أولى للتأثير ومصدر ثانوي له وذلك في مواجهة الطفل أو بالمقارنة معه . فنجد على سبيل المثال أن تأثير الانتقال الفكري الاجتماعي يظهر عندما يكون الأب مصدرًا أوليًا للمساندة ومؤثرًا بالنسبة للأم التي تعتبر بمثابة المتلقى الأولى للتأثير هنا ، وتكون الأم هي المصدر الثانوي للتأثير بالنسبة للطفل الذي يعتبر في هذه الحالة هو المتلقى الثانوي للمساندة التي يقدمها الأب للأم .

وهناك بعض النتائج التي يتضمنها التراث السيكولوجي حول هذا الموضوع والتي تتعلق بالأطفال الأكبر سنًا إذ يصف روم Romm (نقلًا عن لين Lynn ١٩٧٤) ذلك الدور الذي تلعبه الأم في حالة العلاقة بين الأب وابنته بأنه دور على درجة كبيرة جدًا من الأهمية ، فإذا كانت البنت تعتقد أن أمها تولى أبيها في الواقع مزيدًا من الاهتمام وتحبه وتحترمه فإنها تشعر أيضًا أن لديها هي الأخرى الحرية في أن تقوم بتطوير علاقة حميمة مع

أبيها دون أن تشعر بالذنب في حق أمها أو الاستياء من جراء هذه العلاقة . وبمجرد أن تحبر البنت علاقة حميمة ودافئة مع أبيها يصبح بإمكانها أن تنقل نفس هذه المشاعر عندما تكبر مستقبلاً إلى رجل في مثل سنها . ومن ناحية أخرى قام باحثون آخرون بالتأكيد على أهمية الأب في اكتساب البنت للأنوثة ، فطبقاً لما تراه هيذر نجتون (١٩٧٩) Hetherington ترتبط الأنوثة لدى البنات بمدى موافقة الأب على الأم كنموذج أنثوى ، إضافة إلى ذكورة الأب ذاته ، وتعزيزه لمشاركة البنت في الأنشطة الأنثوية . وعلى الرغم من ذلك فإن أنوثة الأم لا ترتبط بأنوثة البنت كما يتوقع البعض ، بل كما يتوقع الكثيرون .

وبالرغم من عدم تناول الانتقال الفكري الاجتماعي بين الأم والأب والطفل بالدراسة فإن فيرنج وآخرين Feiring, et al. قد تناولوا مدى تطور أثر الانتقال الفكري الاجتماعي ، وما إذا كانت الخبرات غير المباشرة للطفل تؤثر على سلوكه تجاه الغرباء ، وما إذا كانت العلاقة بين الطفل والوالد ضرورية لحدوث ظاهرة الانتقال الفكري الاجتماعي أم لا . وقاموا في سبيل ذلك بتعريض خمسة وأربعين طفلاً في الشهر الخامس عشر من أعمارهم لواحد من مواقف ثلاثة كالتالي :

١ - في الموقف الأول يشاهد الطفل الأم وهي تتفاعل مع شخص غريب بطريقة إيجابية تتضمن لعب دور الصديق الجيد أو الفاضل .

٢ - في الموقف الثاني يشاهد الطفل الشخص الغريب وهو يتفاعل مع شخص غريب آخر بطريقة إيجابية تشمل أو تتضمن لعب دور الصديق الجيد أو الفاضل .

٣ - في الموقف الثالث يدخل الشخص الغريب الحجرة ولا يتفاعل مع الأم أو مع الشخص الغريب الآخر ولكنه بدلاً من ذلك يجلس ويشعر في قراءة مجلة .

وعقب تعريض الطفل لأحد هذه المواقف الثلاثة يتوجه الشخص الغريب إلى الطفل للعب معه . وكان من المتوقع أنه إذا كانت علاقة الطفل بالأم تعتبر عاملاً جوهرياً لحدوث الانتقال الفكري الاجتماعي فسوف نلاحظ مزيداً من السلوك الإيجابي من جانب الطفل تجاه ذلك الشخص الغريب بعد ملاحظة الطفل لأمه وهي تتفاعل معه بطريقة إيجابية (الموقف الأول) وذلك مقارنة بالتفاعل الإيجابي الذي يحدث بين ذلك الشخص الغريب والشخص الغريب الآخر (الموقف الثاني) ، أو بعدم مشاركة ذلك الشخص الغريب في أى تفاعل (الموقف الثالث) . وقد كشفت النتائج عن أن الأطفال

الذين لاحظوا الموقف الأول قد أظهروا مزيداً من اللعب بالدمى مع الشخص الغريب إضافة إلى حدوث زيادة في مقدار لعبهم بالدمى أثناء فترة اللعب قياساً بالأطفال الذين تعرضوا لأحد الموقفين الثانى أو الثالث . وبذلك تدل نتائج هذه الدراسة على أن الانتقال الفكرى الاجتماعى يعتبر من الميكانيزمات التى يمكن حدوثها لدى الأطفال صغار السن حتى فى الشهر الخامس عشر من أعمارهم .

(د) النمذجة :

تمثل النمذجة وما ينتج عنها من سلوك شكلاً هاماً من أشكال التأثير غير المباشر على الطفل . ويتسم سلوك النمذجة البسيطة بقيام الطفل بما يقوم به شخص آخر حتى وإن لم يكن هذا الشخص الآخر يتفاعل مع الطفل بشكل مباشر . ومن الملاحظ أنه لا ينسب المزيد من السلوك المتعلم إلى النمذجة نظراً لوجود صعوبة فى إثبات هذه الظاهرة تجريبياً .

كما أن العديد من الاختبارات التى تتناول النمذجة تحدد وقتاً معيناً للطفل وحدود معينة للسلوك ، ويصبح على الطفل إذا أراد أن يتخذ شخصاً آخر نموذجاً له أن يسلك بطريقة مشابهة لذلك الشخص خلال وقت محدد . وقد تكون هذه الفترة الزمنية المحددة قصيرة جداً كى تترك أثراً بعيداً المدى على الطفل ، كما قد يصعب أيضاً تحديد أوجه الشبه فى السلوك .

خاتمة :

لقد أوضحنا فى نهاية تحليلنا الذى أجريناه عام ١٩٧٦ أننا نحتاج إلى إجراء المزيد من الدراسات التى تعيننا على فهم دور الأب فى نمو الطفل . وقد أكدنا على وجه الخصوص أننا نحتاج إلى القيام بتصوير للأب كعضو فى الشبكة الاجتماعية للطفل . إلا أنه لم تجر مع ذلك فى هذا الجانب سوى دراسات قليلة نسبياً ، وبذلك يصبح من غير المناسب أن نكرر هنا ما سبق وأكدناه من قبل .

ومن الملاحظ أن الفشل أو عدم القدرة على تصور الشبكة الاجتماعية للطفل بشكل دقيق يؤدى إلى الإضرار بالبنية المعقدة للعلاقات الاجتماعية التى يصبح الطفل بمقتضاها قادراً على التعلم . كما أن نقص النماذج التى تتضمنها الشبكة الاجتماعية يعوق الجهود البحثية ليس فى مجال علاقة الطفل بالأب فحسب ، بل أيضاً فيما يتصل بعلاقته بالأقران والأجداد والأعمام أو الأخوال والعمت أو الخالات والأصدقاء ، وما إلى ذلك .

وقد قمنا بتقديم بعض الافتراضات التى تسهل من دراسة الشبكة الاجتماعية ، وقمنا بالتركيز على تلك الأساليب المختلفة التى يتجهها الطفل فى اكتسابه للمعرفة من الآخرين . وعلى الرغم من أن غالبية الدراسات قد أكدت على الآثار المباشرة للموضوعات الاجتماعية فقد وضعنا فى اعتبارنا وجود أنماط أو صيغ إضافية للتأثير ، فقد يؤثر أعضاء الشبكة الاجتماعية على الطفل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . ومن الجدير بالذكر أن أنماط أو صيغ التأثير هذه تؤثر فى النمو المعرفى للطفل وفى نموه الاجتماعى الانفعالى وتتأثر بهما . وقد كان لذلك الدور الذى يلعبه الأب فى نمو الطفل الفضل فى تحويل اهتمامنا إلى أهمية الآثار غير المباشرة وتلك الآثار التى تتعدى نطاق التفاعل الثنائى . وتدل ملاحظة الأم والأب والطفل فى المواقف الثنائية التى تضم أحد الوالدين والطفل ، والثلاثية التى تضم الأم والأب والطفل أن الأب يؤثر على كم وكيف السلوك الذى يصدر عن الأم (Clarke - Stewart, 1978, 1980) . وكما يرى بيدرسين وآخرون (Pedersen. et al. ١٩٨٠) فإن الأب يقضى نتيجة لعمله خارج المنزل وقتاً للتفاعل مع طفله فى المواقف الثلاثية أطول من الوقت الذى يقضيه معه فى المواقف الثنائية . وتعتبر المواقف التى تضم ثلاثة أشخاص (الثلاثية) أو أكثر سمة محددة للموقف الذى تحدث فيه الآثار غير المباشرة على الطفل (Bronfenbrenner, 1977) .

ونظراً لأن الأم قد تتفاعل أكثر مع الطفل فى المواقف الثنائية أى التى تتطابق مع الآثار المباشرة ، وأن الأب قد يتفاعل أكثر مع الطفل فى الجماعات التى يزداد عدد أعضائها عن اثنين ، فقد يكون تأثير الأب على الطفل أكثر ارتباطاً بالعمليات غير المباشرة . إلا أنه على الرغم من تلك الجهود التى بذلها القليل من الباحثين أمثال كلارك - ستewart (١٩٧٨) Clarke - Stewart ولam (١٩٧٦ - ب ، ١٩٧٦ - د ، ١٩٧٩) ولويس وفيرنج (١٩٧٩) Lewis & Feiring وبيدرسين وآخرون (١٩٧٩ ، ١٩٨٠) Pedersen, et al. فإن المشكلات التى تواجهنا فى قياس آثار التفاعل الذى يتضمن أكثر من فردين لا تزال تقف عائقاً أمام دراسة الآثار غير المباشرة (Lamb, et al., 1979) . وتكشف الدراسات الأكثر حداثة للأنساق المتضمنة فى الشبكة الاجتماعية أنه لا يمكننا أن نفهم دور الأب فى حياة الطفل بشكل أفضل إلا إذا قمنا بتطوير نماذج وأساليب أفضل لقياس الشبكة الاجتماعية .

* * *

مراجع الفصل العاشر

- Aberle, D. F., & Naegele, K. D. (1952). Middle-class father's occupational roles and attitudes toward children. *American Journal of Orthopsychiatry*, 22, 366-378.
- Ainsworth, M. D. S. (1964). Patterns of attachment behavior shown by the infant in interaction with his mothers. *Merrill-Palmer Quarterly*, 10, 51-58.
- Ainsworth, M. D. S. (1969). Object relation, dependency and attachment : A theoretical review of the infant-mother relationship. *Child Development*, 40, 969-1026.
- Aldous, J. (1975). The search for alternatives : Parental behaviors and children's original problem solutions. *Journal of Marriage and the Family*, 37, 711-722.
- Anderson, B. J., & Standley, K. (1976). A methodology for ubsel vation of the childbrith environment. Paper presented at the meetings of the American Psychological Association, Washington, D. C., September.
- Armentrout, J. A., & Burger, G. K. (1972). Children's reports of parental childrearing behavior at five grade levels. *Developmental Psychology*, 7, 44-48.
- Bach, G. (1946). Father fantasies and father typing in father-separated children. *Child Development*, 17, 63-80.
- Baker, S. L., Fagan, S. A. , Fischer, E. G., Janda, E. 1., & Cove, L. A. (1967). Impact of father absence on personality factors of boys. 1. An evaluation of the military family's adjustment. Paper presented at the meeting of the American Orthopsychiatric Association, Washington, D. C., March.
- Ban, P., & Lewis, M. (1974). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the one-year-old. *Merrill - Palmer Quarterly*, 20, 195-204.
- Bandura, A. (1969). *Principles of behavior modification*. New York: Holt, Rinehart, & Winston,.

- Barry, W. A. (1970). Marriage research and conflict: An integrative review. *Psychological Bulletin*, 73, 41-54.
- Belsky, J. A. (1980). Family analysis of parental influence on infant exploratory competence . In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship: Observational studies in the family setting*. New York: Praeger.
- Benson, L. (1968). *Fatherhood: A sociological perspective*. New York: Random House.
- Block, J. H. (1973). Conceptions of sex role: Some cross-cultural and longitudinal perspectives. *American psychologist*, 28, 512-526.
- Bowlby, J. (1951). *Maternal care and mental health*. Geneva. : WHO.
- Bowlby, J. (1969). *Attachment and loss, Vol. 1. Attachment*. New York: Basic Books.
- Bowlby, J. (1980). *Attachment and loss , Vol. 3. Loss: Sadness and depression*. New York: Basic Books.
- Bronfenbrenner, U. (1961). Some familial antecedents of responsibility and leadership in adolescents. In L. Petrolia & B. M. Bass (Eds.), *Leadership and interpersonal behavior*. New York : Holt, Rinehart, & Winston.
- Bronfenbrenner, U. (1974). Developmental research, public policy and the ecology of childhood. *Child Development*, 45, 1-5 .
- Bronfenbrenner, U. (1977). Toward an experimental ecology of human development. *American psychologist* 32, 513-532.
- Brooks-Gunn J., & Lewis, M. (1979). "Why Mama and Papa?" The development of stoical labels. *Child Development*, 50, 1203-1206.
- Brooks-Gunn, J., & Lewis, M. (1982). Infant social perception : Responses to pictures of parents and strangers. *Developmental Psychology*.
- Clarke -Stewart, K . A. (1978). And daddy makes three: The father's impact on mother and young child. *Child Development*, 49,466-478.
- Clarke-Stewart, K. A. (1980). The father's contribution to children's cognitive and social development in early childhood. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship : Observational studies in the family setting*. New York: Praeger.
- Crain, A. I., & Stamm, C. S. (1965). Intermittent absence of fathers and children's. perception of parents. *Journal of Marriage and the Family*, 27, 344-347.



- Dunn, J. (1975). Personal communication. October.
- Dunn, J., & Kendrick, C. (1979). Interaction between young siblings in the context of family relationships. In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.). *The child and its family*. New York: Plenum.
- Dunn, J. , & Wooding , C. (1977). Play in the home and its implications for learning . In B. Tigard & D. Harvey (Eds.), *The biology of play*. London: Heinemann.
- Edwards, C. P., & Lewis, M. (1979). Young children's concepts of social relations :Social functions 2.IIcI social objects. In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.), *The child and its family*. New York: Plenum.
- Emmerich, W. (1959). Young children's discrimination of parent and child roles. *Child Development*, 30, 403-419.
- Fagot, B. I. (1974). Sex differences in toddler's behaviors and parental reactions. *Developmental Psychology*, 10, 554-558.
- Feiring, C. (1975). The influence of the child and secondary parent on maternal behavior :Toward a social systems view of early infant-mother attachment. Unpublished doctoral dissertation, University of Pittsburg.
- Feiring, C., Lewis, M., & Starr, M. (1981). Indirect and direct effects of children's reactions to unfamiliar adults. Manuscript in preparation.
- Feldman, S. S. (1974). The impact of day care an one aspect of children's scioal emotional behavior. Paper presented at the meetings of the American Association for Advancement of Science, San Francisco, February.
- Field, T. (1978). Interaction patterns of primary versus secondary caretaker fathers. *Developmental Psychology*, 14,183-185.
- Fitzgerald, M. P. (1966). Sex differences in the perception of the parental role for middle and working class adolescents. *Journal of Clinical Psychology*, 22,15-16.
- Freeberg, N. E., & Payne, D. T. (1967). Dimensions of parental practice concerned with cognitive development in the preschool child. *Journal of Genetic Psychology*, 111,245-261.
- Freedle, R., & Lewis, M. (1977). Paralinguistic conversations . In M. Lewis & L. Rosenblum (Eds.), *Interaction, conversation, and the development of language*. New York : Wiley.

- Freud, S. (1953). Three essays on the theory of sexuality (1905). Standard Edition, Vol. 7. London : Hogarth.
- Gewirtz, H. B., & Gewirtz, J. L. (1968). Visiting and caretaking patterns for kibbutz infants : Age and sex trends. *American Journal of Orthopsychiatry*, 38, 427-443.
- Goodenough, E. W. (1957). Interest in persons as an aspect of sex difference in the early years. *Genetic Psychology Monographs*, 55, 287-323.
- Harlow, H. F., & Harlow, M. K. (1965). The affect ional systems. In A. M. Schrier, H. F. Harlow, & F. Stollnitz (eds.), *Behavior of nonhuman Primates*. Vol. 2 . New York: Academic press.
- Harlow, H. F., & Harlow, M. K. (1966). Learning to love. *American Scientist*, 54, 244-272.
- Hartup, W. (1980). Peer play and pathology : Considerations in the growth of social competence. In T. Field (Ed.), *High risk infants and children: Adult and peer interactions*. New York: Academic Press.
- Hartup, W. W. (1981). Two social worlds :Family relations and peer relations. In M. Rutter (Ed.), *Scientific foundations of developmental psychiatry*. London: Heinemann.
- Heath, D. H. (1976). Competent fathers: Their personality and marriages. *Human Development*, 19, 26-39.
- Hess, R. D., & Torney, 1. (1967). The development of political attitudes in children. Chicago : Aldine.
- Hetherington, E. M. (1979). Play and social interaction in children following divorce. *Journal of Social Issues*, 35,26-49.
- Hinde, R. A. (1976). Interactions, relationships, and social structure. *Man*, 11, 1-17.
- Hoffman, M. L. (1971). Father absence and conscience development. *Developmental Psychology*, 4,400-406.
- Jakobson, R. (1962). Why "Mama" and "Papa"?! In *Selected writings of Roman Jakobson* The Hague : Mouton.
- Kagan, J., & Lemkin, J. (1960). The child's differential perception of parental attitudes. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 61, 440-447.
- Kaplan, E. H., & Blackman L. H. (1969). The Husband's role in Psychiatric illness associated with childbearing. *Psychiatric Quarterly*, 43, 396-409.



- Kohn, M. L., & Carroll, E. E. (1960). Social class and the allocation of parental responsibilities. *Sociometry*, 23, 372-392.
- Kotelchuck, M. (1972). The nature of the child's tie to his father. Unpublished doctoral dissertation, Harvard University.
- Kriesberg, L. (1967). Rearing children for educational achievement in fatherless families. *Journal of Marriage and the Family*, 29, 288-301.
- Lamb, M. E. (1976). Effects of stress and cohort on mother- and father-infant interaction. *Developmental Psychology*, 12, 435-443(a).
- Lamb, M. E. (1976). Interactions between eight-month-old children and their fathers and mothers. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York :Wiley (b).
- Lamb, M. E. (1976). The role of the father: An overview. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York: Wiley, (c).
- Lamb, M. E. (1976). Twelve-month-olds and their parents: Interaction in a laboratory playroom. *Developmental Psychology*, 12, 237-244(d).
- Lamb, M. E. (1977). Father-infant and mother-infant interaction in the first year of life. *Child Development*, 48, 167-181(a).
- Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachments in the second year of life. *Developmental Psychology*, 13(6), 637-648(b).
- Lamb, M. E. (1978). The development of sibling relationships in infancy :A short - term longitudinal study. *Child Development*, 49, 1189-1196.
- Lamb, M. E. (1979). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), *Social interaction analysis. Methodological issues*. Madison. : University of Wisconsin Press.
- Lamb, M. E. (1980). The development of parent-infant attachments in the first two years of life. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship Observational studies in the family setting*. New York, Praeger.
- Lamb, M. E., Suomi, S. J., & Stephenson, G. R. (1979). *Social interaction analysis: Methodological issues*. Madison : University of Wisconsin Press.
- Lansky, L. M. (1967). The family structure also affects the model: Sex-role attitudes in parents of preschool children. *Merrill-Palmer Quarterly*, 13, 139-150.

- Lewis, M. (1979). The social network: Toward a theory of social development. Fiftieth anniversary invited address at the meetings of the Eastern Psychological Association, Philadelphia, April.
- Lewis, M., & Ban, P. (1977). Variance and invariance in the mother-infant interaction : A corss-cultural study. In P. H. Lieberman , S. R. Tulkin & A. Rosenfeld (Eds.), Cultural and infancy. New York :Academic.
- Lewis, M., & Fairing, C. (1978). The child's social world. In R. M. Lerner & G. D. Spanier (Eds.), Child influences on marital and family interaction: A life-span perspective. New York :Academic Press.
- Lewis, M., & Firing, C. (1979). The child's social network: Social object, social functions and their relationship. In . M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.
- Lewis, M., & Feiring, C. (1932). Direct and indirect interactions in social relationships. In L. Lipsitt (Ed.), Advances in infancy research, Vol. I. Norwood, N. J. : Ablex (a).
- Lewis, M., & Feiring, C. (1982). Some American families at dinner. In L. Laosa, & I. E. Sigel (Eds.), Families as learning environments for children. New York: Plenum (b).
- Lewis, M., & Rosenblum, L. (Eds). (1979). The child and its family. New York: Plenum.
- Lewis, M., & Schaeffer, S. (1980). Peer behavior and mother-infant interaction in maltreated children. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds), The uncommon child. New York: Plenum.,
- Lewis, M., & Weinraub, M. (1976). The father's role in the infant's scioal network. In M. E. Lamb (Ed)., The role of the father in child development. New York: Wiley.
- Lewis, M., Young, G., Brooks, J., & Michelson, L. (1975). The beginning of friendship. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), Friendship and peer relation. New York :Wiley.
- Lynn, D. B. (1974). The father: His role in child development. Monterey, Calif. :Brooks/Cole.
- Margolin, G., & Patterson, G. R. (1975). Differential consequences provided by mothers and father for their sons and daughters. Developmental Psychology, 11, 537-538.

- Matas, L., Arend, R. A., & Sroufe, L. A. (1978). Continuity of adaptation in the second year of life . *Child Development*, 49, 547-556.
- Monane, J. H. (1967). *A sociology of human systems*. New York: Appleton-Century -Crofts.
- Newson, J., & Newson, E. (1968). *Four years old in an urban community*. London :Allen & Unwin.
- Parke, R. D. & O'Leary, S. (1975). Father-mother-infant interaction in the newborn period: Some findings, some observations, and some unresolved issues. In K. Riegel, & J. Meacham (Eds.), *The developing individual in a changing world: Vol. 2. Social and environmental issues*. The Hague: Mouton.
- Parke, R. D., Power, T. G., & Gottman, J. M . (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), *Social interaction analysis: Methodological issues*. Wisconsin : University of Wisconsin Press.
- Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1975). Infant characteristics and behavior as elicitors of maternal and paternal responsiveness in the newborn period. Paper presented at the meetings of the Society for Research in Child Development, Denver, April.
- Parke, R. D. & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy: Social interactional and attitudinal analysis. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship. Observational studies in the family setting*. New York: Praeger.
- Parker, S., & Kleiner, R. J . (1966). Characteristics of Negro mothers in single-headed house holds. *Journal of Marriage and the Family*, 28, 507-513.
- Parsons, T., & Bales, R. F. (1955). *Family, socialization and interaction process*. Glencoe. Ill. :Free Press.
- Pedersen, F. A. (1975). Mother, father and infant as an interactive system. Paper presented at the meetings of the American Psychological Association, Chicago, September.
- Pedersen, F. A. (1976). Does research on children reared in fatherabsent families yield information on father influences ? *The Family Coordinator*, 25, 459-464.

- Pedersen, F. A. (Ed.) (1980). The father-infant relationship : Observational studies in the family setting. New York :Praeger.
- Pedersen, F. A., Anderson, B. J., & Cain, R. L., Jr. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age five months. In F. A. Pedersen (Ed.), The father infant relationship :Observational studies in the family setting. New York, Praeger.
- Pedersen, F. A., & Robson, K. S. (1969). Father participation in infancy . American Journal of Orthopsychiatry, 39, 466-472.
- Pedersen, F. A. , Yarrow, L. J., Anderson, B. J., & Cain, R. L. (1979). Conceptualization of father influences in the infancy period. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), The child and its family. New York: Plenum.
- Power, T. G. , & Parke, R. (1982). Playas a context for early learning. In L. M. Laosa & I. E. Sigel (Eds.), Families as learning enviurnments for children. New York, Plenum.
- Rebelsky, F., & Hanks, C. (1971). Fathers' verbal interaction with ir.f(1nts in the first three months of life. Child Development, 43,63-68.
- Rosenblatt, P. C. (1974). Behavior in public places :Comparisons of couples accompanied and unaccompanied by children. Journal of Marriage and the Family, 36, 750-755.
- Rosenblum, L. (1975). Personal communication. October.
- Schaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachment in infancy. Monographs of the Society for Research in Child Development, 29, Serial No. 94.
- Sears, R. R., Maccoby, E. E., & Levin, H. (1957). Patterns of child rearing. New York: Row, Peterson.
- Shereshefsky, P. M., & Yarrow, L. J. (1973). Psychological aspects of a first pregnancy and early postnatal adaptation. New York :Raven Press.
- Sigel, L (1970). The distancing hypothesis :A causal hypothesis for the acquisition of representational thought. In M. R. Jones (Ed.), Miami symposium on the prediction of behavior, 1968 :Effect of early experience. Coral Gables, Fla. : University of Miami Press.
- Snow, C. (1972). Mothers' speech to children learning language .Child Development, 43, 549-565.

- Spelke, E., Zelazo, P., Kagan, J. , & Kotelchuck, M. (1973). Father interaction and separation protest. *Developmental Psychology*, 9, 83-90.
- Spitz, R. A. (1945). Hospitalism : An inquiry into the genesis of psychiatric conditions in early childhood. *The psychoanalytic study of the child*, 1, 45-67.
- Suomi, S. J. (1979). Differential development in various social relationships in rhesus monkey infants. In M. Lewis, & L. Rosenblum (Eds.), *The child and its family*. New York :Plenum.
- Suomi, S. J., & Harlow, H. F. (1975). The role and reason of peer relationships in rhesus monkeys. In M. Lewis, & L. . A Rosenblum (Eds.), *Friendship and peer relations*. New York :Wiley.
- Suomi, S. J., & Harlow, H. F. (1978). Early experience and social development in rhesus monkeys. In M. E. Lamb (Ed.), *Social and personality development*. New York: Holt, Rinehart, & Winston.
- Tasch, R. J. (1952). The role of the father in the family. *Journal of Experimental Education*, 20, 319-361.
- Taylor, J. (1975). *Systometrics*. Unpublished manuscript, University of Pittsburgh.
- Thomas, M. M. (1968). Children with absent fathers. *Journal of Marriage and the Family*, 30, 89-96.
- Tiller, P. O. (1958). Father absence and personality development of children in sailor families. *Nordisk Psychologis Monographs*, 9, 1-48.
- Trevarthen, C. (1974). Conversation with a 2-month-old. *New Scientist*, 2 (5), 230-235.
- Vandell, D. L. (1976). Mother's and father's social interaction with their toddler sons. Paper presented at the meetings of the Eastern Psychological Association. New York, April.
- Von Bertalanffy, L. (1967). *Robots, men and minds*. New York : Braziller.
- Waters, E. Whippany, A., & Sroufe, L. A. (1979). Attachment, Postive affect and cometenace in the peer group :Two studies in construct validation. *Child Development*, 50, 821-829.
- Weinraub, M. (1978). Fatherhood :The myth of the second-class parent. In J. H. Stevens. Jr. & M. Mathews (Eds.), *Mother-child, father-child relationships*. Washington. D.C. : National Association for the Education of Young Children.

- Weinraub, M. (1980). The changing role of the father :Implication for sex role development in children. Paper presented at the meetings of the . American Psychological Association, Montreal , August.
- Weinraub, M., Books, J., & Lewis, M. (1977). The social network:A reconsideration of the concept of attachment. Human Development, 20,31-47.
- Weinraub, M., & Frankel, I. (1977). Sex differences in parent-infant interaction during free play, departure , and separation. Child Development, 48, 1240-1249.
- Whiting, B. B. , & Whiting, J. W. (1975). Children Devebpmnt of six cultures:A psychological analysis. Cambridge, Mass. Harvard University Press.
- Wills, T. A., Weiss, R. L., & Patterson, G. R. (1974). A behavioral analysis of the determinants of marital satisfaction. Journal of Consulting and Clinical Psychology, 42, 802-811.
- Yogman, M. J., Dixon., S., Tronick E., Als, H., & Brazelton, T. B. (1977). The goals and structure of face-to- face interaction between infants and fathers. Paper presented at the meetings of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Zajonc, R. B., & Markus, C. B. (1975). Birth order and intellectual development. Psychological Review, 82, 74-88.
- Zill, N. (1979). Learning to do things without help: Child and family characteristics associated with the development of practical skills in children of grammar school age. Paper presented at a Conference on the Family as a Learning Environment, Educational Testing Service, Princeton, November/December.

* * *

الفصل الحادي عشر
دور الأب خلال مرحلة المهد
محددات انغماسه في العناية بالرضع واللعب معهم

روس باركي وباربارا تنسلي
Ross D. Parke & Barbara Tinsley

ازداد حديثاً عدد الأبحاث التى دور الأب فى حياة أبنائه وذلك خلال مرحلة المهد إذ أنه بإمكان الآباء أن يزيدوا من معدلات فرص مشاركتهم فى العناية بالأطفال وإطعامهم وإثارتهم منذ الأيام الأولى من حياتهم .

ويهدف هذا الفصل إلى استعراض مثل هذه البحوث ومناقشة العوامل التى تؤثر على كم وكيف التفاعل بين الأب والطفل . وعلى الرغم من قدرة الآباء على المشاركة فى العناية بالأطفال وإثارتهم ، فإننا لا نزال فى حاجة إلى معرفة المزيد عن المحددات التى تؤدى إلى تنوع المشاركة من جانب الآباء فى الأسر المختلفة . ومن هنا فقد قمنا خلال هذا الفصل بما يلي :

أولاً : تلخيص تلك الدراسات التى ترى أن الآباء قادرين على أن يصبحوا شركاء فاعلين فى سياقات العناية أو عدم العناية بالأطفال ، كما أنهم يبدون أيضاً اهتماماً واضحاً بذلك .

ثانياً : مراجعة الفروق فى أساليب اللعب التى تتضح فى أنماط لعب كل من الآباء والأمهات مع الأطفال .

ثالثاً : مناقشة تلك العوامل التى تعمل على تغيير معدل مشاركة الأب فى الاهتمام بالأطفال وبكم وكيف اللعب معهم .

رابعاً : التأكيد على حاجتنا إلى المزيد من نظم التأييد الثقافى للأب .

أنماط التفاعل بين الأب والرضيع :

١ - مرحلة الوليد وبيدايات مرحلة المهد :

فى واحدة من الدراسات المبكرة التى تناولت هذا الموضوع استخدم جرينبرج وموريس (١٩٧٤) Greenberg & Morris التقارير اللفظية للآباء وذلك لتحديد مستوى انغماسهم فى حياة مواليدهم الجدد ، فقاموا بسؤال مجموعتين من الآباء ضمت أولاهما أولئك الآباء الذين كان أول اتصال لهم بمواليدهم قد تم فى غرفة الولادة عند

ميلادهم مباشرة ، أما المجموعة الثانية فضمت أولئك الآباء الذين كان أول اتصالهم لهم مع مواليدهم قد تم بعد ذلك حينما أخذت إحدى الممرضات المولود وأعطته لأبيه كى يراه . وأوضح أعضاء كلا المجموعتين أدلة على المشاعر الأبوية الفياضة وعلى الانغماس مع مواليدهم الجدد ، فقرر ٩٧٪ من الآباء أن مشاعرهم الأبوية تجاه هؤلاء المواليد تندرج بين متوسط إلى مرتفع جدًا . وكان غالبيتهم سعداء بعد الولادة مباشرة ، كما كانوا جميعًا تقريبًا راضين عن جنس هؤلاء المواليد وسعداء بذلك . وهناك بعض الأدلة تؤكد على أن الآباء الذين كانوا موجودين مع زوجاتهم لحظة الولادة قد شعروا بقدر أكبر من الراحة وهم يحملون مواليدهم . وانطلاقًا من هذه النتائج وغيرها من تلك التى حصل عليها الباحثان من المقابلات التى أجريها مع الآباء فإنهما يريان أن الآباء قد بدأوا فى تطوير علاقة مع مواليدهم الجدد مع نهاية الأيام الثلاثة الأولى التالية للميلاد ، وغالبًا ما كانت تتم هذه العلاقة قبل ذلك . وعلاوة على هذا فقد كانت هناك خصائص معينة تميز هذه العلاقة نطلق عليها الاستحواذ على الفكر أو الانتباه engrossment وهى بمثابة شعور بالانشغال والانهماك والاهتمام بالوليد .

وعلى الرغم من أن مثل هذه الخصائص تدل على وجود انغماس مبكر جدًا من جانب الآباء فى حياة مواليدهم الجدد فإن هذه التقارير اللفظية يمكن أن تعمل على إكمال الصورة إذا ما أضفنا إليها تلك الملاحظات السلوكية المباشرة التى تدل على وجود مشاعر إيجابية تجاه الوليد واهتمام به كما يعكسها سلوك الأب . ومن ناحية أخرى فقد أجرى باركى Parke وزملاؤه سلسلة من الدراسات التى تقوم على الملاحظة وذلك بغرض وصف - بالمصطلحات السلوكية - طبيعة تفاعلات الآباء مع مواليدهم الجدد . وفى الدراسة الأولى لاحظ باركى وأوليرى وويست (١٩٧٢) Parke, O'Leary, & West سلوك الآباء فى الثلاثية الأسرية التى تضم الأم والأب والرضيع . وكانت جلسات الملاحظة تستمر لمدة عشر دقائق ، كما كانت هذه الجلسات تتم خلال الأيام الثلاثة الأولى التى تلت الولادة مباشرة . وقد استخدم هؤلاء الباحثون إجراء يعرف بتعيين الوقت تضمن أربعين فترة راحة مدة كل منها خمس عشرة ثانية وذلك فيما يتعلق بالأنماط السلوكية التالية بالنسبة لكل والد ، والمتمثلة فى حمل الرضيع ، وتغيير وضعه ،

والنظر إليه، والابتسام له، والتحدث إليه، ولمسه، وأرجحته أى هزه، وتقبيله، واستكشاف جسمه، ومحركاته، وإطعامه وإعطائه للوالد الآخر .

وتوضح نتائج هذه الدراسة أن الآباء كانوا منغمسين في حياة مواليدهم الجدد تمامًا مثل الأمهات، وأن الآباء والأمهات لا يختلفون عن بعضهم البعض في تكرار غالبية أنماط السلوك تلك . وعلاوة على ذلك فقد كان الآباء يميلون إلى حمل هؤلاء المواليد أكثر من الأمهات، وكذلك فقد كان الآباء يارجحون مواليدهم بين أيديهم أى يهزونهم أكثر مما كانت تفعل الأمهات . وعندما كان الآباء يشاركون طواعية في تلك الأنماط السلوكية فإنهم كانوا ينغمسون في حياة هؤلاء المواليد الجدد تمامًا كما كانت تفعل الأمهات .

وعلى الرغم من ذلك فهناك العديد من النقاط التى يمكن إثارتها حول تلك الدراسة والتى يمكن تداولها كالتالى :

أولاً : نظرًا لأنه قد تمت ملاحظة الأم والأب معًا يصبح من الممكن أن يكون ذلك المعدل المرتفع من التفاعل بين الأب والوليد والذي تمت ملاحظته راجعًا إلى وجود الأم معها أثناء حدوث ذلك التفاعل بينهما .

ثانيًا : كانت عينة الآباء التى تضمنتها هذه الدراسة فريدة في عدة أشياء بما تكون قد ساهمت في ارتفاع معدل تفاعلها مع مواليدهم الجدد ، فقد كان على سبيل المثال أكثر من نصف هؤلاء الآباء يحضرون فصولاً لتعليم برنامج لاماز Lamaze الخاص بكل ما يتعلق بميلاد الأطفال مع وجود استثناء وحيد فقط هو أن جميع هؤلاء الآباء كانوا موجودين أثناء ميلاد أطفالهم . وربما يرجع ارتفاع معدل انغماس هؤلاء الآباء في حياة مواليدهم إلى هذين العاملين (Entwisle & Doening, 1980) .

ثالثًا : قد يرجع ارتفاع معدل الانغماس المبكر من جانب هؤلاء الآباء في حياة مواليدهم إلى ارتفاع مستوى تعليمهم وإلى أنهم ينتمون إلى الطبقة المتوسطة حيث يقل هذا المعدل بالنسبة للآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا وذلك بسبب التحديد الصارم للأدوار الوالدية بين أولئك الآباء والأمهات الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا .

وللتغلب على أوجه القصور هذه تمت ملاحظة مجموعتين من الآباء ينتمون إلى الطبقة الدنيا ممن لم يحضروا هذا البرنامج الخاص بكل ما يتعلق بميلاد الطفل والذين لم يكونوا موجودين أثناء ولادة أطفالهم . وقد تمت ملاحظتهم في موقفين :

١ - حينما كان الأب موجودًا بمفرده مع طفله .

٢ - حينما كان الأب موجودًا مع الطفل في حضور الأم (Parke & O'Leary, 1976) .

وقد سمحت هذه الدراسة باختيار أكثر صرامة لمدة الانغماس بين الأب والطفل ، كما سمحت بتعميم أوسع للنتائج التي تم التوصل إليها من قبل . وكما هو الحال بالنسبة للدراسة التي أجريها من قبل فقد وجدنا أن الآباء كانوا أكثر اهتمامًا بالتفاعلات المبكرة مع أطفالهم ويشاركونهم بفاعلية . وفي حقيقة الأمر فقد اتضح أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأب في الثلاثية الأسرية أن يقوم بحمل الطفل ، وأن يظهر المزيد من الاهتمام البصري بالطفل قياساً بالأم . ولم يكن وجود الأم ضرورياً للانغماس الفعال في حياة الطفل من جانب الأب إذ كان الأب يأخذ قدرًا متساويًا من التفاعل النشط في كلا الموقفين أى سواء كان بمفرده مع الطفل أو إذا وجدت زوجته معها .

وكان الأب في هذه السلسلة من الدراسات التي بدأت بدراسة باركي وأوليري وويست (١٩٧٢) Parke, O'Leary, & West بدراسة باركي وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawiyn ثم دراسة باركي وأوليري (١٩٧٦) Parke, O'Leary, يقوم برعاية الأطفال كالأم تمامًا . فكان في الدراسة الأولى على سبيل المثال يقوم دوماً بلمس الطفل ، والنظر إليه ، والتحدث معه ، وتقبيله كما كانت تفعل الأم . وفي الدراسة الثالثة ظهرت صورة أكثر وضوحاً حيث أبدى الأب سلوكاً يدل على الرعاية في السياق الثلاثي الأسري بدرجة أكبر قياساً بالأم ، كما أبدى قدرًا من الرعاية يتساوى مع الأم وذلك حينما كان يوجد بمفرده مع الطفل . إلا أنه كان هناك نمطاً سلوكياً واحداً يدل على الرعاية هو الابتسام للطفل تفوقت فيه الأم على الأب في كلتا الدراستين .

ولم تكن تلك الأنماط السلوكية الدالة على الرعاية من جانب الأب قاصرة على عينات الآباء الأمريكيين فقط ، ففي واحدة من الدراسات عبر الثقافية قام باركي

وجروسمان وتنسلي (١٩٨١) Parke, Grossman, & Tinsley بمقارنة الأنماط السلوكية التي تصدر عن الآباء والأمهات الأمريكيين والألمان حينما كانوا بمفردهم مع مواليدهم الجدد خلال الأوقات العادية للرضاعة عند الإقامة بالمستشفى في الفترة التالية للولادة . وقد تمت ملاحظة كل ثانية تضم الأم والأب والوليد الجديد لمدة ثلاثين دقيقة . وتم استخدام نسخة معدلة من النظام المتبع في الملاحظة والذي تم استخدامه من قبل وذلك في الدراسة التي شارك فيها باركي والتي أجريت في عام ١٩٧٥ بالاشتراك مع ساوين (Parke & O"Leary, 1976) . فاستخدموا على وجه الخصوص طريقة تعيين الوقت والتي تقوم على تحديد فترات الراحة بخمس عشرة ثانية لكل فترة والتي يقوم فيها الباحث بملاحظة الثلاثية الأسرية خلال الثواني الخمس عشرة الأولى من كل فترة ملاحظة والمقدر لها ثلاثين ثانية ، أما في الثواني الخمس عشرة الثانية فيقوم بتسجيل أنماط السلوك التي حدثت خلال الثواني الخمس عشرة السابقة . وكانت تتم ملاحظة كل ثلاثية أسرية لمدة ثلاثين دقيقة أى ستين مرة إذ تستمر المرة الواحدة للملاحظة خمس عشرة ثانية . كما تم أيضًا استخدام مجموعة من الأنماط السلوكية الوالدية المشتقة من الدراسة السابقة التي شارك فيها باركي مع ساوين (١٩٧٥) . وعلى العكس من الملاحظات التي تمت من قبل والتي كان يتم فيها اللجوء إلى أحد المواقف غير البنائية أو المنظمة فقد تمت جميع الملاحظات خلال أوقات الرضاعة المنتظمة لهؤلاء الأطفال .

ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من الأطفال الرضع الذين تمت ملاحظتهم وعددهم خمسة عشر طفلاً من إجمالي ثمانية عشر طفلاً ضمتهم العينة الأمريكية وأربعة عشر طفلاً من إجمالي تسعة عشر طفلاً ضمتهم العينة الألمانية كانوا يرضعون من أئداء أمهاتهم ، ومن ثم كانت الأمهات أكثر حملاً لهؤلاء الأطفال الرضع خلال الفترات التي تمت ملاحظتهم فيها وذلك قياساً بالآباء . ومع هذا فقد كان الآباء يحملون أطفالهم بدرجة تكفي لإجراء مقارنة بين نوعية سلوك كل من الأب والأم عندما يكون معدل حملهما للطفل ثابتاً . وتم حساب الاحتمالات لكل نمط سلوكي يقوم به أحد الوالدين عندما يكون الوالد الآخر حاملاً للطفل . فحينما كان الأب على سبيل المثال يحمل الطفل

كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة له قياساً بالأم أن يقوم بهز الطفل أى أرجحته ، والتحدث إليه ، ومحاكاته . بينما كان لمس الطفل ، ومحاولة استكشاف جسمه ، والنظر إليه ، والابتسام له متشابهاً من جانب الأب والأم عند قيام الأب بحمل الطفل . وكان هناك نمط سلوكى آخر له أهميته ومغزاه عند قيام الأم بحمل الطفل إذ كانت تقوم بهزه أى أرجحته ، ولمسه والتحدث إليه ، والابتسام له بدرجة تفوق ما يقوم به الأب بينما كان قيامها باستكشاف جسمه ومحاكاته شبيهاً لما يقوم به الأب عندما كانت تقوم الأم بحمل الطفل .

وبوجه عام فقد كان مقدار السلوك الإثارى والانفعالى يعتمد على الفرص المتاحة لحمل الطفل إذ بمجرد أن تتاح تلك الفرصة للأب فإنه يتساوى مع الأم أو يتفوق عليها فى إظهار مثل هذا السلوك . ويوضح ذلك النمط من التحليل أن الوالد بغض النظر عن جنسه يتفاعل مع الطفل عندما يقوم بحمله بأساليب تتشابه نسبياً مع ما يقوم به الوالد الآخر . وعلاوة على ذلك فإن هذا يؤثر على أهمية المتغيرات المرتبطة بالموقف فى تغيير طبيعة أنماط التفاعل بين الوالدين ، ويؤكد أيضاً على أهمية السيطرة على فرص حمل الطفل فى الدراسات التى تقوم على التفاعل الطبيعى المبكر بين الأب والطفل .

وأخيراً يبدو أن هناك درجة واضحة من التشابه فى أنماط التفاعل التى يقوم بها الآباء الأمريكيون وتلك التى تصدر عن الآباء الألمان . أما فيما يتعلق بالأنماط الإثارية للسلوك فقد كان يصدر عن الآباء الأمريكيين قدر من الإثارة الجسمية أكثر مما يصدر عن الآباء الألمان إذ كان الآباء والأمهات الأمريكيين يقومون فى الواقع باستكشاف أجسام أطفالهم والقيام بهزهم أو أرجحتهم بدرجة تفوق ما يقوم به الآباء والأمهات الألمان . وكان هذا التأثير صحيحاً بالنسبة للأمهات إذ كان الآباء الأمريكيون والألمان كما أوضحنا سلفاً يقومون بهز الطفل أو أرجحته بنفس القدر تقريباً . وفى المقابل كان الآباء والأمهات الألمان يقومون باستخدام أنماط سمعية - بصرية من التفاعل تفوق ما يقوم به الآباء والأمهات الأمريكيون . ومع ذلك كانت هذه الفروق ضئيلة نسبياً فيما يتعلق بمصفوفة التشابهات فى أنماط السلوك الوالدى عبر الثقافتين موضوع الدراسة .

وباختصار فإن هذه الدراسة التي تناولناها للتو والتي أجريت على كل من الأسر الأمريكية والألمانية توضح أن الآباء إضافة إلى الأمهات يبدون اهتمامًا كبيرًا بالأطفال ويقومون برعايتهم ، كما يقومون أيضًا بإثارتهم على التفاعل معهم خلال مرحلة الوليد .

٢ - التحدث الوالدى للوليد والطفل الصغير فى بداية مرحلة المهة :

يوضح الفحص الدقيق لأحد جوانب السلوك التفاعلى الأبوى هو التحدث إلى الطفل خلال الشهور الثلاثة الأولى من حياته كما يرى فيليبس وباركى (١٩٨١) Phillips & Parke أن الحديث الوالدى له أهميته فى التفاعل بين الوالد والطفل حيث وجد الباحثون السابقون أن الأمهات تقمن بعمل التوافقات اللازمة فى حديثهن عندما كن تقمن بمخاطبة أبنائهن الرضع وأطفالهن ، فكن يتحدثن إليهم بجمل قصيرة ، وبغمة صوت أكثر ارتفاعًا ، كما كن يكررن محتوى حديثهن لهم أكثر مما كن يفعلن عند مخاطبة الراشدين .

وطبقًا لما يراه فيليبس وباركى Phillips & Parke فإن الآباء إضافة إلى الأمهات يبدون مجموعة من الانتقالات فى الحديث عندما يتحدثون مع أطفالهم الرضع فى بداية مرحلة المهة حيث كان يقوم أى من الوالدين خلال فترات التفاعل عن طريق اللعب بالدمى مع الطفل والتي كانت تستمر لمدة خمس دقائق وخلال جلسات الرضاعة والتي كانت تستمر لمدة عشر دقائق بالتحدث مع الطفل مستخدمًا عبارات أكثر اختصارًا مما يفعله عندما يقوم بالتحدث إلى الوالد الآخر . وكان متوسط طول الجمل التى يستخدمها الآباء هو ٣,٢٩ كلمة فى حين كان متوسط طول الجمل التى تستخدمها الأمهات هو ٣,٨٤ كلمة وذلك عند حديث كل منهما مع طفلها حديث الولادة أو طفلها الذى يبلغ ثلاثة شهور من عمره . وفى المقابل كان متوسط طول الجمل لنفس هذين الوالدين عندما كانا يتحدثان إلى بعضهما البعض هو ١٠,٧٨ كلمة . وتشابه هذه القيمة الأخيرة مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة من نتائج إذ كان متوسط طول الجملة فى الحديث الذى يكون كلا طرفيه من الراشدين هو ٨,٤٣ كلمة (Sachs, 1977) .

وعلى الرغم من أن الآباء والأمهات يقضون حوالى ١٢٪ من الوقت الذى يقومان فيه بالتفاعل اللفظى مع الطفل الصغير أى يتحدثان معه وهما يكرران ما صدر عنهما من

جمل فإن هذه النسبة تنخفض إلى الصفر أى تختفى تمامًا عندما يكون الكلام الصادر من أحدهما موجهاً إلى الوالد الآخر . وإضافة إلى ذلك فقد لاحظ بيدرسين وآخرون Pedersen, et al. (١٩٨٠) وجود توافقات متشابهة في الحديث الصادر من الأب إلى طفله الذى يبلغ خمسة شهور من عمره .

ومن الجدير بالذكر أن كلاً من الآباء والأمهات كانوا حساسين لتلك الإشارات التى يتضمنها الموقف فى سياقه ، فكان معدل الحديث الصادر عن الوالدين أثناء إرضاع الطفل على سبيل المثال أبطأ من معدله فى غير ذلك من المواقف كمواقف اللعب مثلاً ، كما كانت فترات التوقف فى الحديث أطول أيضاً . أما خلال مواقف اللعب فكان يقوم الوالدان بتكرار العبارات التى يتحدثان بها وذلك بشكل يفوق ما يفعلانه أثناء الرضاعة . كما كانا يستخدمان أسلوب المحادثة عند مخاطبة الطفل أثناء اللعب معه فكانا يوجهان إليه الأسئلة ويستخدمان من الأساليب ما يجعله يتتبع لما يقولانه وذلك بشكل يفوق ما يقومون به خلال جلسات الرضاعة . وتؤكد هذه الفروق الموقفية تفسيرنا لدلالة التوافقات التى تصدر عن الوالدين أثناء حديثهما مع الطفل من أن الأحاديث الطفلية أو الصبائية لها وظيفتها التى تتمثل فى جذب انتباه الطفل . وعندما كان انتباه الطفل يركز بدرجة أكبر على وجهى والديه كان ذلك يسهل تعلمه للخصائص التى تميز صوتى والديه ووجهيهما . وبذلك فالتغيرات التى كان الوالدان يقومون بها فيما يتعلق بحديثهما إلى الطفل كانت تعمل على القيام بعملية التمييز بين القائمين برعايته ، وبالتالي قد تدعم من وجود علاقات أقوى بين الوالد والطفل . وعلى الرغم من عدم مسايرة هذا التفسير لتلك المناقشات المبكرة فى علم النفس اللغوى والتى ترى أن الأم قد تسهل فى النمو اللغوى للطفل فإن محدودية النتائج التى تؤيد هذه الوظيفة اللغوية التى تتناولها فروض أخرى كذلك التى يفترضها أتباع نظرية التعلم الاجتماعى تستحق جل الاهتمام .

٢ - التفاعل بين الأب والرضيع فى المواقف الثنائية والثلاثية :

من المؤكد أن الأب يتفاعل مع طفله الرضيع عندما يتواجد بمفرده معه أو حتى فى وجود الآخرين . وللتعرف على ما إذا كان سلوك الأب تجاه الصغير يتغير فى وجود الآخرين وخاصة الأم قام باركى وأوليرى (١٩٧٦) Parke & O'Leary بإجراء المقارنة

بين سلوك أحد الوالدين عندما يكون متواجدًا بمفرده مع الطفل وبين سلوكه في المواقف الثلاثية عندما يكون الوالد الآخر متواجدًا معها . وكشفت تلك الدراسة عن مجموعتين من النتائج جديرتين بالملاحظة ، تتمثل أولاهما في أن وجود شخص راشد آخر يقلل من المعدل الكلي لحدوث معظم الأنماط السلوكية إذ تقل على سبيل المثال معدلات التحدث إلى الطفل ، ولمسه ، وحمله ، وهزه أى أرجحته ، ومحاكاته ، وإطعامه . وتتفق هذه النتيجة من حيث قلة المجموع العام لغالبية الأنماط السلوكية التي تصدر عن أحد الوالدين في المواقف الثلاثية قياسًا لما يصدر عنه في المواقف الثنائية مع نتائج عدد من الدراسات الأخرى سواء العملية منها كدراسات لام (Lamb ، ١٩٧٩ ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٧ ، ٩٧٦) أو التي أجريت في المنازل كدراسات بلسكى (Blesky ، ١٩٧٩) وككلارك - ستيوارت (Clarke-Stewart ، ١٩٧٨) وييدرسين وآخرين (١٩٨٠) Bedersen, et al. وذلك على أطفال من أعمار مختلفة .

أما ثانيتهما فتتمثل في أنه على النقيض مما كشفت عنه دراسات أخرى عديدة من نتائج فقد وجد باركي وأوليري (١٩٧٦) Parke & O'Leary أن أنماطًا سلوكية معينة تزيد ولا تقل من المواقف الثنائية إلى المواقف الثلاثية . فيزيد معدل ابتسام الآباء والأمهات لأطفالهم الرضع ، ويزيد معدل السلوك الاستكشافي للطفل من جانب الأم كأن تقوم بعد أصابع قدمه مثلاً أو بتحسس عظام جمجمته وذلك في وجود الأب قياسًا بما يصدر عنها عندما توجد بمفردها مع الرضيع . ومع ذلك فإن زيادة السلوك الاستكشافي كانت دالة فقط بالنسبة للأم . ويبدو أن السياق الثلاثي للأسرة في هذه الحالة يسهل من حدوث قدر أكبر من السلوك الانفعالي والاستكشافي من جانب كلا الوالدين وخاصة الأم .

ويتمثل الفرض الذي نظرحه هنا في أن كلا الوالدين يثير الآخر لفظيًا عن طريق تركيز اهتمامه على جوانب معينة من سلوك الرضيع ، أو بالتعليق على مظهر ذلك الرضيع وهو ما يؤدي بدوره إلى العمل على إصدار إما فعل إيجابي يوجه نحو الرضيع أو استكشاف أو تحسس جانب معين من سلوكه لاحظه الوالد الآخر . وإضافة إلى تلك الفروق الظاهرة التي تنبع من أن الدراسات التي قمنا بإجرائها قد أجريت بالمستشفى على

أطفال حديثي الولادة في حين تناولت دراسات أخرى أطفالاً أكبر من ذلك سنّاً وأجريت إما في المعمل أو في المنزل فقد تكون هناك أسباب أخرى لهذا التفاوت بين هذه النتائج التي توصلنا إليها وبين تلك التي توصل إليها باحثون آخرون إذ تتأثر بعض أنماط السلوك اجتماعياً كالتبسم للطفل مثلاً، أو قد تعتمد على وجود شريك اجتماعي آخر يستجيب لها . ومن هذا المنطلق قد يكون وجود والد آخر مستجيب ضرورياً لحدوث هذا الابتسام وذلك في حالة الأطفال حديثي الولادة الذين لا يبدون أى ابتسام اجتماعياً . وعلاوة على ذلك فمن المفترض أن يكون الابتسام الذي يبداه الزوج الآخر موجهاً بدوره إلى الطفل . وبالتالي يجب أن نولي مزيداً من الاهتمام والانتباه إلى تصنيف المواقف التي يكون من المحتمل بالنسبة لها أن تزيد أو تقلل من معدل السلوك الوالدي تجاه الطفل في حالة وجود الزوج الآخر . ويمكن أن يصبح لهذه الظروف أهميتها إذا ما قمنا بالتركيز على تلك التفاعلات التي تحدث بين الزوج وزوجته (Pedersen. et al. 1977) إضافة إلى التركيز على التفاعل الذي يحدث بين أحد الوالدين من جهة وبين الطفل الرضيع من جهة أخرى .

الفروق بين الأب والأم في القيام بأنشطة العناية بالأطفال

١- الأب كمشارك بشكل مباشر في إطعام الطفل :

على الرغم من وجود فروق ضئيلة بين والدي الأطفال الرضع في قيامهما بأنشطة العناية بهن وإثارتهن فإن الأب يلعب دوراً أقل فاعلية في القيام بأنشطة العناية بالأطفال قياساً بالأم . فكان الآباء في دراسة باركي وأوليري (١٩٧٦) Parke & O'Leary والتي كان يتم إرضاع جميع الأطفال الرضع فيها رضاعة صناعية يقلون عن الأمهات بشكل دال في إرضاعهم للأطفال عندما يكونون معهم بمفردهم . ويؤكد باركي وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawin على وجود تلك الفروق بين الأب والأم في التفاعل مع المواليد الجدد وذلك أثر قيامهما بدراسة مفصلة لعلاقة التفاعل المبكرة التي تنشأ بين الأب وطفله الرضيع في موقف الرضاع . وتبين نتائج المقارنات التي تم إجراؤها بين تكرارات ومدة دوام الأنشطة الخاصة بالعناية بالأطفال من جانب كل من الآباء والأمهات عندما

يكون أى منهما موجودًا بمفرده مع الطفل الرضيع في موقف الرضاع أن الأمهات عند مقارنتهن بالآباء تقضين وقتًا أطول وهن منشغلات في إرضاع الأطفال وفي القيام بأنشطة العناية المرتبطة بهم كمسح أوجه هؤلاء الأطفال على سبيل المثال . وتؤكد تلك النتائج أيضًا أنه على الرغم من أن كلا الوالدين ينغمسان بفاعلية مع الرضيع فإن تحدي الدور الوالدى يبدأ منذ الأيام الأولى في حياة الطفل .

ومن الجدير بالذكر أن العديد من الجوانب ذات الأهمية في التفاعلات التي تنشأ بين الأب والرضيع في مرحلة الوليد تميز أنماط التفاعل في كل من الوقت المتأخر من مرحلة المهد وفي البيئات المنزلية . وتؤكد الملاحظات المنزلية أيضًا وجود فروق بين الآباء والأمهات فيما يتعلق بأنشطة العناية بالأطفال إذ توضح الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية كدراسات كوتيلشوك (Koteichuck ١٩٧٦) ورندينا وديكرشيد (Rendina & Dickerscheid ١٩٧٦) وتلك التي أجريت في بريطانيا كدراسة ريتشاردز وآخرين (Richards, et al. ١٩٧٧) أن الأب يقضى وقتًا أقل من الأم في إرضاع الأطفال والعناية بهم .

وتتفق هذه النتائج مع ذلك الافتراض العام الذي يرى أن الحمل في الطفل الأول على وجه الخصوص وولادته تعتبر مناسبتين للتحويل باتجاه تقسيم أكثر تقليدية للأدوار (e.g, Shereshefsky & Yarrow, 1973; Cowan, et al., 1978) . وهناك دراسات أخرى تؤيد هذه الاتجاهات العامة إذ وجد هوفمان (Hoffman ١٩٧٨) أن الأزواج يكونون أقل مساعد لزوجاتهم في عمل المنزل بعد ميلاد الطفل الأول قياسًا بما كانوا عليه قبل ميلاده . وترى كاوان وآخرون (Cowan et al. ١٩٧٨) من دراستهن للأزواج والزوجات قبل ميلاد الطفل الأول وبعد ميلاده ولمدة تصل إلى ستة أشهر بعد الميلاد أن هناك تغيرًا أكثر وضوحًا في القيام بالمهام المنزلية ، يليها اتخاذ القرارات الأسرية ، إلا أن هذه التغيرات تكون أقل وضوحًا في أنشطة العناية بالطفل . ومما يدعو إلى الاهتمام أن تلك الأنماط تحدث بغض النظر عما إذا كان دورها الأولى يعتبر تقليديًا أو يقوم على المساواة بين الوالدين . وعلى الرغم من الاتجاهات والأفكار السائدة التي تتعلق بالمساواة في الأدوار بين الرجال والنساء فإنه يبدو أن الزوجين يميلان إلى تبني أدوار محددة بشكل

تقليدى خلال الفترات الانتقالية المحاطة بالضغط المختلفة كتلك التى تسبق ميلاد الطفل الأول مباشرة .

ولا يدل المستوى المنخفض من انغماس الأب فى إرضاع الطفل على أن الآباء يعتبرون أقل كفاءة من الأمهات فى العناية بمواليدهم الجدد إذ يمكن قياس تلك الكفاءة باستخدام العديد من الأساليب يتمثل أحدها فى قياس مدى حساسية الوالد لتلك الإشارات التى تصدر عن الطفل فى موقف الرضاعة . ويعتمد النجاح فى العناية بالطفل إلى حد كبير على قدرة الوالد أباً كان أو أمّاً على تفسير سلوك الرضيع بشكل صحيح حتى يتمكن من تنظيم سلوكه هو كى يستجيب له بالشكل الملائم . واتضح أن الوالد فى موقف الرضاعة يحاول أن يسهل من تناول الرضيع للحليب ، ويقوم الرضيع بالتالى من خلال مجموعة من الأنماط السلوكية كالمص أو السعال بتزويد القائم على العناية به بالتغذية الراجعة فيما يتعلق بمدى فاعلية أو عدم فاعلية ما يقوم به ذلك الوالد من سلوك فى الوقت الراهن وهو ما يسهل على الطفل قيامه بعملية الرضاعة . وفى هذا السياق نجد أن ذلك الاتجاه الذى يتناول موضوع الكفاءة يتضمن فحصاً للدرجة التى يقوم بمقتضاها الوالد القائم بالعناية بأطفاله بتعديل سلوكه كاستجابة للإشارات التى تصدر عن الطفل إذ وجد باركى وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawin أن حساسية الأب للإشارة السماعية التى تعبر عن الضيق والتى تصدر عن الطفل فى موقف الرضاعة كالعطس أو السعال مثلاً كانت تتساوى فى وضوحها مع حساسية الأم لتلك الإشارة .

وباستخدام أسلوب تحليل الاحتمال الشرطى يرى الباحثان أن الآباء يقومون كالأمهات بتعديل سلوكهم وذلك بالتوقف عن القيام بنشاط الإرضاع وقتياً والنظر إلى الطفل بشكل أكثر دقة وذلك بغرض تفحصه والتحدث إليه . أما الفرق الوحيد الذى تم التوصل إليه فكان يتعلق بالحذر الشديد من جانب الآباء الذين كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة لهم قياساً بالأمهات أن يقوموا بلمس الطفل عندما كانت تصدر عنه إشارات تدل على الضيق . ويدل هذا التحليل بوضوح على أنه بالرغم من حقيقة قضاء الآباء وقتاً أقل من الأمهات فى القيام بأنشطة العناية بالأطفال فإنهم مع ذلك يتساوون معهن فى حساسيتهم للإشارات التى تصدر عن الطفل ، وفى استجابتهم لأولئك الأطفال فى موقف الرضاعة .

وعلاوة على ذلك فقد كانت كمية الحليب التى كان الطفل يرضعها فى وجود الأم والأب فى هذه الدراسة متساوية بدرجة كبيرة إذا كانت تساوى ١,٣ أونصة^(*) Ounce فى وجود الأم ، بينما كانت تساوى ١,٢ أونصة فى وجود الأب وهو ما يدل على أن الأم والأب لا يختلفان فقط فى الحساسية التى يتسمان بها ولكنهما أيضًا يتساويان فى معدلات النجاح فى إرضاع الطفل وذلك استنادًا على كمية الحليب التى يرضعها الطفل عندما يقوم أى منهما بإرضاعه . ومن الجدير بالذكر أنه ليس من الضرورى بالنسبة للأب أن يشارك بشكل مستمر فى إرضاع الطفل ، ولكن حينما يسند إليه القيام بمثل هذه المهمة فإن لديه من الكفاءة ما يجعله قادرًا على أن يؤديها بنجاح وفاعلية .

ومن ناحية أخرى فإن الأب يتساوى مع الأم أيضًا فى استجابته للإشارات الأخرى التى تصدر عن الطفل كالتحدث وحركات الفم على سبيل المثال حيث أوضحت هذه الدراسة أن كلاً من الآباء والأمهات قد قاموا بزيادة معدل حديثهم الإيجابى للطفل بعد أن كان الطفل يقوم بإصدار أصوات مختلفة ، كما كانوا يقومون أيضًا بعد صدور مثل تلك الأصوات من جانب الطفل بلمسه والنظر إليه بشكل أكثر دقة . ومع ذلك فقد اختلف الآباء والأمهات فى أنماط سلوكية أخرى تصدر عنهم كاستجابة لهذا النمط السلوكى للطفل ، فكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء قياسًا بالأمهات أن يقوموا بزيادة معدل حديثهم للطفل عقب قيامه بإصدار تلك الأصوات . ومع ذلك كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات قياسًا بالآباء أن تستجبن لمثل تلك الأصوات التى تصدر عن الطفل بلمسه . كما كان الآباء أكثر حذرًا من الأمهات عند قيامهم بالإثارة اللمسية للطفل أثناء إرضاعه لأن ذلك قد يؤدي إلى تعطيل سلوك الرضاعة من جانب الطفل .

ومن خلال دراسة حركات الفم التى تصدر عن الطفل يتوفر لدينا دليل آخر على ذلك الأثر المتغير لسلوك الطفل على العناية التى يوليه الآباء والأمهات إياها إذ يقوم كل من الآباء والأمهات بزيادة معدل حديثهم للطفل ، ولمسه ، وإثارته بالرضاعة كاستجابة من جانبهم لحركات الفم التى تصدر عنه . وتدل هذه النتائج إجمالاً على أن كلاً من الآباء والأمهات يستجيبون لتلك الإشارات التى يصدرها الوليد الجديد بطريقة وظيفية دالة

(*) الأونصة Ounce هى وحدة وزن تساوى ٣١,١ جرامًا (المترجم) .

مميزة لكل منهما حتى وإن اختلفوا في أنماط استجاباتهم النوعية . وتعتبر أنماط التفاعل في مرحلة الوليد أنماطاً تبادلية ، فعلى الرغم من تركيز باركي وساوين (١٩٧٥) Parke & Sawin على دور الإشارات التي يصدرها الطفل في إثارة سلوك الوالدين فقد أوضحنا في دراسة تالية لهما أجريها في عام (١٩٨٠) أن الحديث الموجه من الوالدين للطفل يمكنه أن يغير من سلوك الوليد كأن يغير من تلك الأصوات التي تصدر عنه على سبيل المثال . ويعتبر التفاعل بين الأب والرضيع حتى في مرحلة الوليد يعتبر ثنائى الاتجاه إذ يقوم كل من الوالدين من جهة والرضيع من جهة أخرى بتنظيم سلوك كل منهما (الوالدين - الرضيع) في غضون هذا للتفاعل .

ومن الواضح أن بإمكان الآباء القيام بأنشطة العناية بالأطفال بشكل يناسب الأمهات حتى وإن كان إسهامهم في هذا النمط من النشاط يقل عما تقوم به الأمهات . وسوف نعرض في قسم تال من هذا الفصل لتلك الظروف التي قد تغير من مقدار إسهام الأب في الأنشطة الروتينية الخاصة بالعناية بالأطفال .

٢ - الأب كمصدر غير مباشر يؤثر على عملية إرضاع الطفل :

على الرغم من أن البحوث الى تناولت دور الأب خلال مرحلة المهد قد ركزت في الأساس على التأثير المباشر لسلوك الأب كقيامه بإرضاع الطفل أو قيامه بإثارة سلوك الطفل على سبيل المثال فإن تأثيره في بعض الحالات يتم بشكل غير مباشر وذلك من خلال الأم أو غيرها من أولئك الأعضاء الآخرين في الأسرة (Lewis & Feiring, 1979; Parke, et al., 1981) . وحتى لو كان الأب لا يشارك بشكل مباشر في إرضاع الطفل فمن الممكن بالنسبة له أن يؤثر على هذا النشاط عن طريق تغيير سلوك القائم بإرضاع ذلك الطفل . ويوضح بيدرسين (١٩٧٥) Pedersen ذلك الأثر غير المباشر للأب في إرضاع الطفل وذلك عن طريق تناول تأثير العلاقة بين الأب والأم على العلاقة بين الأم والرضيع في موقف الرضاع . وتم تقدير نوعية العلاقة بين الأم والرضيع في ضوء ملاحظتين أجريتا بالمنزل طبقاً لإجراء يقوم على تعيين الوقت وذلك عندما كان الرضع في الأسبوع الرابع من أعمارهم . واتضح فيما يتعلق بالكفاءة في إرضاع الطفل أن الأم تقوم بذلك بشكل أفضل إذ حصلت على تقديرات أكثر ارتفاعاً في قيامها بإرضاع

الطفل حيث كانت تقوم بإرضاعه على فترات متقطعة وتساعد على التجشؤ بالتربيت على ظهره دون أن تحدث له أى إزعاج ، كما كانت تظهر حساسيتها لحاجاته أيضًا سواء عن طريق الإثارة الناتجة عن إرضاعه أو بإعطائه فترات قليلة من الراحة خلال عملية الرضاعة . هذا وقد تم إلى جانب ذلك تقييم العلاقة بين الأب والأم من خلال مقابلة أجريت معهما .

ورأى بيدرسين Pedersen عند قيامه بتلخيص النتائج التى توصل إليها فى هذه الدراسة أن العلاقة بين الأب والأم ترتبط بالوحدة القائمة بين الأم والرضيع . فعندما يوفر الأب التدعيم اللازم للأم كأن يقوم مثلاً بتقييم مهاراتها بشكل أكثر إيجابية فإنها تصبح أكثر فاعلية فى إرضاع الطفل . وقد تستطيع الأم التى تتميز بالكفاءة أن تحصل على تقييم أكثر إيجابية من جانب زوجها ، والعكس صحيح حيث يرتبط المعدل المرتفع من التوتر والصراع بين الزوجين فى حالة الخلافات الزوجية بالرضاعة غير الملائمة أو التى تتسم بدرجة كبيرة من عدم الكفاءة من جانب الأم .

وباختصار إذا لم يقم الأب بإرضاع الطفل بشكل مباشر فإنه يظل يؤثر على عملية الرضاعة هذه وذلك من خلال العلاقة التى تربطه بزوجته .

وعندما تقوم الأم بإرضاع الطفل من ثديها فإن الأب يمكنه أيضًا أن يشارك فى عملية الرضاعة هذه بعدد من الأساليب إذ نجد أنه بالإضافة إلى كونه مدعمًا للأم فى جهودها التى تبذلها فى سبيل إرضاع الطفل من ثديها فإنه يكون بإمكانه أيضًا أن يشارك فى عملية الرضاعة وذلك بتوفير زجاجة إضافية للرضاعة وأن يشارك فى الجوانب المرتبطة فى رعاية الطفل والعناية به والتى لا ترتبط بعملية الرضاعة كأن يقوم بتحميم الطفل ووضع الحفاض له وتغييرها . وعلى الرغم من أن نتائج دراسة إنتويسل ودوارنج (١٩٨٠) Entwisle & Doering تبين أن قيام الأب بتوفير زجاجة إضافية للرضاعة قد يرتبط بالتوقف المبكر من جانب الأم عن إرضاع الطفل من ثديها ، فإنه يجب أن يتم تفسير مثل هذه النتائج بحرص وحذر إذ وجدت الباحثتان أن أزواج النساء اللاتى قد توقفن عن إرضاع أطفالهن من أئدائهن عندما بلغ هؤلاء الأطفال الشهر السادس من أعمارهم كانوا يقومون بإرضاع الأطفال مرة واحدة تقريبًا كل أربعة أيام . وكما لاحظت الباحثتان فإن

كثرة إرضاع الطفل من زجاجة الرضاعة في هذه المرحلة المبكرة من حياته تتعارض مع إرضاع الأم للطفل من ثديها لأن توفير مصدر جيد للحليب يعتمد في الأساس على الإثارة المستمرة للطفل .

ومن ناحية أخرى فإن النساء اللائي يقمن بتوفير صيغة إضافية لإرضاع الأطفال بسبب عدم وجود قدر كاف من الحليب في أثنائهن يفاقمن في الواقع من مشكلاتهن بدلاً من أن يقمن بإيجاد ما يناسبها من حلول حتى يتم علاجها ، كما أن الآباء الذين يقومون بإرضاع الأطفال بهذه الصيغة الإضافية يساهمون في التوقف المبكر عن إرضاع الطفل من ثدى الأم . وبذلك فالأب الذي يقوم بإرضاع الطفل بهذه الوسيلة قد يكون سبباً في حدوث العديد من المشكلات ، أما الأب الذي يقوم بإرضاع الطفل بواسطة زجاجة إضافية تملأ بحليب الأم فيفقد المساندة البنائية للأم إضافة إلى قيامه بتقوية أو اصر العلاقة التي تربطه بطفله الرضيع .

وتعتبر هذه النتائج ذات أهمية واضحة إذ تساعدنا على الفهم الجيد لدور الأب في العناية المبكرة بالطفل سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر والتي يساهم بمقتضاها في النمو السوى للرضيع فيما بعد . وتؤكد هذه الدراسات على ضرورة النظر إلى الأب من خلال السياق الأسرى ، كما تؤكد أيضاً على أهمية تقييم المجموع الكلى للعلاقات التي تنشأ بين أعضاء الأسرة .

الفروق بين الأب والأم في اللعب مع الأطفال :

يشارك الأب بشكل أقل من الأم في العناية بالأطفال ولكنه مع ذلك يقضى نسبة من الوقت المتاح للتفاعل في أنشطة اللعب مع الأطفال أكبر من الأم . فقد وجد كوتلشوف (Kotelchuck ١٩٧٦) أن الآباء يقضون جزءاً أطول من الوقت في اللعب مع الأطفال قياساً بالأمهات إذ كانوا يقضون ٣٧,٥٪ من وقتهم في اللعب مع الأطفال ، في حين كانت الأمهات تقضين ٢٥,٨٪ من وقتهم على الرغم من أن الأمهات بشكل عام كن يقضين وقتاً أطول من الآباء في اللعب مع أطفالهن .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفروق بين الأم والأب في المشاركة في اللعب مع الأطفال ليست قاصرة على الأسر الأمريكية فقط إذ توجد هناك نتائج مشابهة توصلت إليها دراسة طويلة حول التفاعل بين الوالد والوليد والوليد في إنجلترا أجراها ريتشاردز وآخرون (Richards, et al. ١٩٧٧) وقاموا فيها بمقابلة الأمهات وسؤالهن حول مدى مشاركة الأب في عدد كبير من الأنشطة عندما كان طفلهما يبلغ ثلاثين أسبوعًا من عمره وعندما كان يبلغ ستين أسبوعًا ، واتضح أن اللعب مع الرضيع خلال هذين العمرين كان هو أكثر الأنشطة انتشارًا بين هؤلاء الآباء إذ كان يقوم أكثر من ٩٠٪ منهم باللعب مع أطفالهم الرضيع بانتظام . ويقدم لام (Lamb ١٩٧٧ - أ) دليلًا آخر على ذلك من خلال ملاحظته للتفاعلات التي تنشأ بين الأم والأب والرضيع في المنزل عندما كان الرضيع يبلغ ما بين سبعة إلى ثمانية أشهر من عمره ، ثم ملاحظة تلك التفاعلات مرة أخرى عندما كان يبلغ ما بين إثني عشر إلى ثلاثة عشر شهرًا من العمر . واستنادًا على ملاحظة هذه الثلاثية الأسرية بالمنزل لمدة تتراوح بين أربع إلى ثمانى ساعات وجد لام Lamb فروقًا واضحة بين الآباء والأمهات في الأسباب التي تجعلهم يقومون بحمل أطفالهم الرضيع ، فبينما كان من الأكثر احتمالًا بالنسبة للآباء أن يقوموا بحمل الأطفال بغرض اللعب معهم ، كان من الأكثر احتمالًا بالنسبة للأمهات أن يقمن بحملهن لأغراض العناية بهن .

ومن الجدير بالذكر أن مجرد مقدار الوقت في حد ذاته لا يميز بين انغماس الأب والأم في حياة الطفل ، بل إن مقدار هذا الوقت ونوعية أنشطة اللعب أيضًا هما اللذان يتحدد هذا التمييز في ضوءهما . وعن طريق إجراء سلسلة من الدراسات قام يوجمان Yogman وزملاؤه بدراسة الفروق بين أسلوب كل من الأب والأم في اللعب مع الأطفال (Yogman, Dixon & Tronick, 1977; Yogman, 1981) فقارنوا بين الأمهات والآباء والغرباء في تفاعلهم مع الرضيع في موقف للعب معهم وجهًا لوجه . وتمت دراسة كل ستة أطفال رضيع خلال دقيقتين من التفاعل مع الأب ، ومع الأم ، ومع شخص غريب في الوقت الذي كان فيه عمر هؤلاء الرضيع يتراوح بين أسبوعين إلى ستة أشهر وذلك في موقف معمل معد سلفًا يقوم فيه الشخص الراشد بمواجهة الرضيع واللعب معه دون أن يستخدم أى ألعاب ودون أن يحرك الطفل بعيدًا عن الكرسي المعد

له ، وتسجيل ما تم بينهم عن طريق الفيديو تم الحصول على مجموعة من الأنماط السلوكية التي تميز التفاعل بين الشخص الراشد والطفل الرضيع . وأوضحت النتائج أن الراشدين يختلفون في لعبهم مع الأطفال الرضع كما تعكسه تلك الفروق التي ظهرت فيما بينهم في أنماط تحدثهم إلى الأطفال ولمسهم هم فكانت الأمهات تتحدثن إليهم بصوت رقيق ، وكان حديثهن يتضمن التكرار لبعض ما قيل ، كما كان أيضًا يقوم على المحاكاة ، وبلغت نسبته ٤٧٪ قياسًا بحديث الآباء لهم والذي بلغت نسبته ٢٠٪ في حين كانت نسبة حديث الغرباء لهم ١٢٪ وهو ما يدل على وجود فروق دالة بين حديث الأمهات للأطفال وحديث الآباء لهم ، وأيضًا بين حديث الآباء وحديث الغرباء لهم . ومع ذلك فقد كان الآباء يقومون بلمس أطفالهم بأنماط إيقاعية ، وبلغت نسبة ذلك للمس ٤٤٪ وهو ما يظهر تفوقًا على سلوك الأمهات حيث بلغت نسبة للمس من جانبهن للأطفال ٢٨٪ ، كما يظهر أيضًا تفوقًا على نفس السلوك من جانب الغرباء والذي بلغت نسبته ٢٩٪ بالنسبة لهم .

ومن الجدير بالذكر أن الفروق بينهم لم تتضح في أنماط السلوك المنفصلة المتفردة فحسب ، بل اتضحت أيضًا في أنماط السلوك بوجه عام . وكما يرى يوجمان وآخرون (Yogman, et al. ١٩٧٧) فإن هذه الأنماط السلوكية التي تصدر عن الشخص الراشد كانت في الغالب جزءًا من لعبة تفاعلية بالمفهوم الذي عرفها به شتيرن (١٩٧٤) Stern من أنها عبارة عن سلسلة من المواقف تقوم على الاهتمام المتبادل يستخدم فيها الشخص الراشد سلسلة من الأنماط السلوكية المتكررة مع مقدار أقل من الاختلاف في هذا الاهتمام المتبادل خلال كل موقف . وعلاوة على ذلك يرى يوجمان (١٩٨١) Yogman أنه من الأكثر احتمالًا بالنسبة لهذه الألعاب أن تحدث خلال الجلسات مع الآباء أكثر من احتمال حدوثها خلال الجلسات مع الأمهات . ففي حين كانت الأمهات والأطفال يقومون بمثل هذه الألعاب خلال ٧٥٪ من جلسات التفاعل وجهًا لوجه التي جمعت بينهم ، كان الآباء يقومون بها خلال ٨٧٪ من هذه الجلسات . كما أن أنواع الألعاب التي كان يقوم بها كل من الآباء والأمهات قد اختلفت هي الأخرى ، ففي الوقت الذي كانت الألعاب البصرية Visual التي يظهر فيها الوالد أبا كان أو أمًا أقصى معدل من الأنماط الحركية التي يمكن

أن يلاحظها الرضيع ويبدو أنها تعتبر بمثابة محاولات لجذب انتباهه البصرى هي أكثر أنماط الألعاب شيوعاً بين الأمهات إذ بلغت نسبتها بين الألعاب التى قمن بها ٣١٪، كان هذا النمط من الألعاب يمثل ١٩٪ فقط من الألعاب التى قام الآباء بها . وكانت أكثر أنماط اللعب شيوعاً بين الأب والرضيع هي تلك الألعاب التى تقوم على اللمس وعلى حركة الأطراف . وكانت الألعاب التى تقوم على حركة الأطراف والتى كانت ترتبط بالزيادة فى إثارة الطفل تمثل ٧٠٪ من الألعاب التى جمعت بين الأب والطفل وأربعة فى المائة فقط من الألعاب التى جمعت بين الأم والطفل . وعلى النقيض من هذا النمط من الألعاب التى تقوم على الإثارة الجسمية والتى استخدمها الآباء كانت الأمهات تلعبن معهم أى الرضع مثل هذه الألعاب التى تعتمد على الجانب الجسمى باستخدام ألعاب حركية أكثر تقليدية كالتلويح باليد على سبيل المثال . وكانت الألعاب البصرية التى غالباً ما كانت الأمهات تلعبها تمثل أكثر أشكال أو أنماط اللعب التفاعلى جذباً لانتباه الطفل قياساً بتلك الألعاب التى كان الآباء غالباً ما يلعبونها والتى كانت تعتبر ألعاباً تتطلب حركة الأطراف ، كما كانت تعتبر أقل الألعاب جذباً لانتباه الطفل (Yogman, 1981) .

ولم تكن الفروق فى أسلوب اللعب بين الآباء والأمهات مقتصورة على الأطفال الرضع الأقل سنّاً حيث يرى باور وباركى (١٩٨١) Power & Parke من خلال تسجيل لعب الآباء والأمهات بالفيديو مع أطفالهم الرضع من ذوى الترتيب الميلادى الأول والذين يبلغون ثمانية شهور من العمر وذلك فى غرفة بالمعمل مخصصة للعب أن الآباء يقومون بلعب تلك الألعاب التى تتطلب الحيوية والمساعدة بدرجة أكثر من الأمهات . وعلى العكس من ذلك فقد كانت الأمهات تقمن بالألعاب التى تتطلب الملاحظة والتى تستخدم فيها الدمى ويتم تحريكها وهزها وذلك بدرجة أكبر من الآباء . وكانت الفروق بين الأب والأم فى ألعاب المساعدة تتأثر بجنس الرضيع ، وكان آباء البنين هم الذين يقومون فى البداية بالبداية فى مثل هذه الألعاب ، وهو ما يدل على وجود فروق فى التفاعل بين الأب والرضيع يرجع إلى جنس الرضيع كما يرى باركى (١٩٧٩) Parke وكلارك - ستيوارت (١٩٨٠) Stewart - Clarke وبيدرسين (١٩٨٠) Pedersen .

وبالإضافة إلى دراسة مقدار الوقت المخصص من قبل الآباء والأمهات لأنواع مختلفة من الألعاب قام باور وباركى Power & Parke بدراسة تتابع أنواع مختلفة من الألعاب بالنسبة للآباء والأمهات . ويوضح تحليل هذا التتابع للألعاب وجود جانبين إضافيين يشكلان اختلافاً في أسلوب التفاعل يختلف فيهما كل من الآباء والأمهات ، فكان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء قياساً بالأمهات أن يشاركوا في الألعاب الجسمية الشاملة وألا يظهروا أى تفاعل في الألعاب التى تتضمن الدمى ، وعندما كانوا يشاركون فى أى لعبة تتضمن دمية كانوا يؤدون تلك اللعبة بدرجة أقل من النجاح قياساً بالأمهات . وعندما كانوا يفشلون فى جذب اهتمام أطفالهم الرضع من خلال الألعاب التى تتضمن الدمى كانوا غالباً ما ينتقلون إلى الألعاب الجسمية التى لا تتضمن أى دمية . وعلى العكس من ذلك كانت الأمهات أفضل من الآباء فى قدرتهن على جذب اهتمام أطفالهن الرضع خلال الألعاب التى تتضمن الدمى ، وكان فشلهن فى جذب اهتمام الطفل من خلال تلك الألعاب يؤدى إلى استمرارهن فى اللعب بالدمى فى مقابل الانتقال إلى الألعاب الجسمية من جانب الآباء .

وباختصار كان هناك ميل عام من جانب الوالدين إلى الاعتماد على أنماط مألوقة وسائدة من الألعاب وخاصة عندما يقل اهتمام الطفل بالألعاب المعروضة ، ويتضمن ذلك بالنسبة للأمهات الاستمرار فى اللعب بالدمى ، فى حين يتضمن بالنسبة للآباء الانتقال إلى الألعاب الجسمية .

وتوضح الملاحظات الأكثر حداثة للتفاعل بين الأب والرضيع ، وبين الأم والرضيع فى مواقف أو سياقات منزلية غير منظمة مع أطفال رضع أكبر عمراً وجود فروق بين الأمهات والآباء فى أسلوب اللعب ، فىرى لام (١٩٧٧ - أ) Lamb فى دراسته التى تقوم على الملاحظة المنزلية للأطفال الرضع الذين تبلغ أعمارهم سبعة وثمانية أشهر ثم لاحظتهم مرة أخرى فى منازلهم وذلك عندما كانت أعمارهم قد بلغت إثنى عشر وثلاثة عشر شهراً أن الآباء ينغمسون بدرجة أكبر فى الألعاب الجسمية كتلك التى تتضمن الخشونة والوقوع على الأرض ، كما ينغمسون فى أنشطة اللعب غير العادية وذلك قياساً بالأمهات ، فى حين كانت الأمهات على العكس من ذلك تقمن بالانغماس بدرجة أكبر فى

أنشطة اللعب الأكثر تقليدية ، كما كن تقمن أيضًا بإثارة الرضع على اللعب حيث كن تستخدمن الدمى لإثارتهم بشكل مباشر ، إلى جانب قيامهن بإثارة الأطفال على القراءة .

ومن ناحية أخرى كان الآباء أكثر انغماسًا من الأمهات في الألعاب الجسمية كما يتضح من ملاحظة الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين سبعة شهور ونصف وعشرة شهور ونصف . وتؤكد كلارك - ستيوارت (١٩٨٠) Clarke-Stewart أيضًا على وجود فروق مشابهة في أسلوب اللعب وذلك في دراستها للأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر شهرًا وثلاثين شهرًا إضافة إلى والديهم ، فوجدت أنه كان من الأكثر احتمالًا بالنسبة للألعاب التي يقوم بها الآباء أن تكون ألعابًا جسمية وألعابًا تعتمد على الإثارة ، في حين كانت الألعاب التي تقوم بها الأمهات عقلية وتعليمية وتعتمد على وجود أشياء وسيطة أخرى كالدمى على سبيل المثال .

ومن الجدير بالذكر أن هناك نمطًا ثابتًا لهذه الفروق يتضح في كل الدراسات التي تمت مراجعتها يتمثل في أن الآباء دائمًا ما يميلون إلى الألعاب الجسمية وتلك التي تعتمد على اللمس ، في حين كانت تميل الأمهات إلى الألعاب اللفظية . ومن الواضح أيضًا أن الرضع لا يخبرون الكثير من الإثارة من آبائهم إذ يخبرون نمطًا إثاريًا يختلف نوعيًا عما يخبرونه من أمهاتهم .

ويوضح دور الأب كشريك للرضيع في اللعب تغيرات نهائية هامة ، ففي دراسة كلارك - ستيوارت Clarke-Stewart كانت الأم هي الرفيق الأساسي للطفل في اللعب عندما كان عمر الرضيع خمسة عشر شهرًا ، بينما كان كل من الأب والأم يتقاسمان هذا الدور حينما كان الطفل يبلغ الشهر العشرين من عمره ، إلا أن الأب كان يلعب مع الطفل بقدر يفوق الأم عند بلوغ الطفل الشهر الثلاثين من عمره . كما كان دور الأم كقائم على العناية بالطفل قد بدأ أيضًا في التقلص خلال هذه الفترة ، فعند بلوغ الطفل الشهر الثلاثين من العمر كانت لا توجد هناك سوى نسبة ضئيلة من الفروق بين الأب والأم فيما يتعلق بالعناية بالطفل . ومما يدعو إلى الاهتمام وجود نمط معين للعلاقة بين أنماط السلوك التي تظهر أثناء اللعب وبين الأنماط السلوكية الأخرى . فكانت هناك بالنسبة للأمهات علاقة مرتفعة بين العاطفة الإيجابية والإثارة الجسمية من جهة وبين المقاييس الأخرى

للإثارة واستجابية الطفل من جهة أخرى . أما بالنسبة للآباء فكان التعبير عن العاطفة السلبية والذي يتضمن التوبيخ والنقد والتحدث بحدة يرتبط بالألعاب الجسمية من جانب الأب .

ولا يختلف الآباء والأمهات فحسب في أنماط اللعب التي تصدر عنهم إذ يختلف الأطفال أيضًا في ردود أفعالهم للألعاب التي تقوم بها الأم وتلك التي يقوم بها الأب ، فوجد لام (١٩٧٦ - ب) Lamb في دراسته للرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية شهور إلى ثلاثة عشر شهرًا أن استجابة الرضع للعب مع الآباء كانت أكثر إيجابية بشكل دال من استجابتهم للعب مع الأمهات .

وتتفق النتائج التي توصلت إليها كلارك - ستيوارت (١٩٧٧) Clarke-Stewart مع هذه النتائج إذ وجدت في دراستها للأطفال الذين يبلغون عشرين شهرًا من أعمارهم أن استجابتهم كانت أكثر دلالة للتفاعل الاجتماعي عن طريق اللعب الذي يبادر به الأب قياسًا بالألعاب التي تبادر الأم بها . أما في سن عامين ونصف فكان الأطفال أكثر تعاونًا وانغماسًا وإثارة واهتمامًا في اللعب مع آبائهم إذ اختار أكثر من ثلثي أفراد العينة أن يقوموا باللعب مع آبائهم أولاً وذلك في موقف اختياري للعب ، كما أوضحوا تفضيلًا قويًا للأب كى يكون رفيقًا لهم في اللعب . وبذلك يتضح وجود فرق هام في مجال اللعب بالنسبة للأطفال يعود إلى جنس الوالد . وعلى الرغم من ظهور فروق واضحة بين الأب والأم في جلسات اللعب فقد اتضح وجود فروق أقل في المبادرات التي يقوم بها الرضيع في الملاحظات المنزلية غير المنظمة .

وبقدر ما يسلك الآباء والأمهات تجاه أطفالهم الرضع بنين وبنات بشكل مختلف بقدر ما يسلك الرضع من الجنس الآخر بطريقة مختلفة تجاه أمهاتهم وآبائهم إذ اتضح من الدراستين اللتين أجراها لام (١٩٧٧ - أ، ب) Lamb أن البنين كانوا أكثر من البنات قربًا من آبائهم ، كما كانوا يفضلون البقاء معهم ، وكانوا أيضًا أكثر إزعاجًا لهم من البنات ، في حين كانت البنات الرضع أكثر قربًا من أمهاتهم وأكثر إزعاجًا لهن من البنين وذلك على الرغم من عدم وجود فروق دالة بينهن وبين البنين في تفضيل كل منهما للبقاء مع الأم . وقد لاحظ سبيلك وآخرون (١٩٧٣) Spelke, et al. أن الرضع الذين كانوا يبلغون

عامًا واحدًا من أعمارهم كانوا يتحدثون إلى الوالد من نفس الجنس أكثر من تحدثهم إلى الوالد من الجنس الآخر ، في حين وجد بان ولويس (١٩٧٤) Ban & Lewis أن البنين في نفس العمر الزمني كانوا ينظرون إلى آبائهم أكثر مما كانوا ينظرون إلى أمهاتهم . ومن جانب آخر وجدت لين وكروس (١٩٧٤) Lynn & Cross أن البنين في الثانية من أعمارهم يفضلون اللعب مع آبائهم على اللعب مع أمهاتهم ، ومع ذلك فقد أوضحت البنات وجود انتقال في تفضيلهن من الأب إلى الأم كشريك هن في اللعب وذلك فيما بين الثانية والرابعة من أعمارهن .

وبوجه عام فإن هذا النمط من النتائج يدل على أن انغماس الأب في حياة أطفاله الرضع في مرحلة المهد يقل بكثير عن انغماس الأم معهم . كما أن أنماط الأدوار التي يقوم بها كل من الأب والأم تختلف هي الأخرى اختلافًا واضحًا ، إلا أن القدر الأقل من التفاعل لا يدل على أن الأب ليس له أثر هام على نمو الرضيع إذ أنه كما اتضح من الدراسات التي أجريت من قبل كدراسات هوفمان وناي (١٩٧٤) Hoffman & Nye وشافر وإميرسون (١٩٦٤) Schaffer & Emerson أن كيف - وليس كم - التفاعل بين الأم والرضيع يعتبر مؤشرًا هامًا للنمو المعرفي والاجتماعي للرضيع ، يصبح من المحتمل وجود افتراض مماثل بالنسبة للأب هو الآخر يصور أن كيف علاقته بالرضيع يعتبر أيضًا مؤشرًا هامًا للنمو المعرفي والاجتماعي لذلك الرضيع .

أهم العوامل المسنولة عن تغيير الفروق التقليدية بين الأب والأم في العناية بالرضع واللعب معهم :

على الرغم من أن الصورة العامة التي تتضح من مراجعتنا للتراث السيكولوجي حول الأم كقائم أساسي على العناية بالأطفال وحول الأب كشريك للرضع في اللعب لا تزال سائدة ، فهناك درجة عالية من التغير عبر مختلف الأسر تتعلق بمدى انطباق هذا التقسيم التقليدي لأنماط السلوك عليها . وتوضح الدراسات الأكثر حداثة من بين تلك التي تمت مراجعتها خلال هذا القسم من الفصل الحالي بعض المحددات التي يمكنها أن تقوم بتغيير تلك المجموعة العامة من النتائج . فالتغيرات التي طرأت على تحديد الأدوار الجنسية ، والحالة الوظيفية للمرأة ، ونمط ولادة الأطفال ، وموعد تلك الولادات تشترك

جميعاً في تغيير مستويات مشاركة الأب والأم في العناية بالأطفال ، إضافة إلى كم أو مقدار اللعب الذي يقوم به كل منهما . ومن المعروف أن مسئوليات الأب والأم في العناية بالأطفال ستبدو مختلفة بجلء في الأسر التي قامت بإعادة تنظيم وتحديد أقسام الدور الوالدى حيث توضح دراسة روسيل (١٩٨٠) Russell في أستراليا ، ودراسة ليفين (١٩٧٦) Levine ورادين (١٩٨٠) Radin في الولايات المتحدة الأمريكية ، وجروسيو (١٩٧٥) Groseth في النرويج ، ودراسات لام وآخرون (١٩٨١) - أ، ب. Lamb, et al. في السويد أن ذلك التقسيم التقليدى للدور الوالدى بين الأسر المختلفة لا ينتشر على مستوى عالمى . وعلى الرغم من أن المناقشة التفصيلية لذلك المدى من تلك الدراسات ليست هى هدفنا في الفصل الحالى فقد تم اختيار بعض من نتائجها بغرض توضيح الكيفية التى يمكن بمقتضاها لتنظيم الأسرة أن يؤثر على أنماط العناية بالرضع واللعب معهم . وإضافة إلى ذلك فهناك مجموعة من العوامل الأخرى تتضمن الحالة الصحية للرضع ، ونوع الولادة ، وظروف عمل الوالدين يمكنها أن تغير من الأنماط العامة التى تمت ملاحظتها والتى تتعلق بالعناية بالأطفال واللعب معهم مما يمكننا معه ملاحظة ما يلي :

أولاً : قد يؤثر تعريف الفرد للذكورة والأنوثة على درجة مشاركة الأب في العناية بالأطفال إذ تكشف دراسة روسيل (١٩٧٨) Russell أن الرجال المخشيين في أستراليا يشاركون في الاهتمام بالأطفال بدرجة أكبر من الرجال الذين يتميزون بالذكورة التقليدية وهو ما يوضح دور السمات المحددة ذاتياً والمرتبطة بالجنس في توزيع مسئوليات العناية بالأطفال . ومن ناحية أخرى فقد وجدت إنتويسل ودوانج (١٩٨٠) Entwisle & Doering أن الرجال الذين يتمسكون بالأنماط الصارمة للدور كأن يروا أن رعاية الرضع على سبيل المثال تعتبر عملاً غير ذكري يظهرون قدرًا أقل من الاهتمام بمواليدهم الجدد . ومع ذلك فإن دراسات رادين (١٩٨٠) Radin ولام وآخرين (١٩٨١) Lamb, et al. لم تكشف عن وجود هذه العلاقة بين مستويات العناية بالأطفال وبين الخنوثة .

ثانيًا : تكشف الدراسات التي أجريت بعد عام ١٩٧٥ أن بعض الممارسات الطبية مثل الولادة القيصرية يمكنها أن تغير من مستوى مشاركة الأب في أنشطة العناية الروتينية بالرضع ، فوجد بيدرسين وآخرون (١٩٨٠) Pedersen, et al. على سبيل المثال أن آباء الرضع الذين تمت ولادتهم قيصرًا قد انغمسوا بشكل دال في المزيد من أنشطة العناية بالرضع على مدى الشهور الخمسة الأولى من أعمار أطفالهم وذلك قياسًا بآباء مجموعة أخرى من الأطفال الرضع الذين تمت ولادتهم بشكل طبيعي Vaginally Delivered .

وفي حين كان من الأكثر احتمالًا بالنسبة لآباء الأطفال الذين تمت ولادتهم قيصرًا أن يشاركوا في مسئوليات العناية بهم في العديد من المجالات المختلفة على أساس من التساوى مع الأم ، كان آباء الأطفال الذين ولدوا طبيعيًا يميلون فقط إلى مساعدة الأم التي كانت لا تزال تعمل هي على الوفاء بالنسبة الأكبر من الحاجات المرتبطة بالعناية بالأطفال . وقد توصل باحثون آخرون إلى وجود أنماط مشابهة لتلك التي نحن بصدد الحديث عنها ، فقامت جروسمان وآخرون (١٩٨٠) Grossman, et al. بمقابلة أربعة وثمانين زوجًا (زوج وزوجة) خلال فترة الحمل ، والولادة ، وفي حالة المهد بالنسبة لطفلهم الوليد ووجدوا أن الآباء في الأسر التي كان فيها هذا الرضيع قد ولد قيصرًا كانوا أكثر انغماسًا في حياة أطفالهم الرضع في الشهر الثاني من عمرهم قياسًا بآباء الأطفال الذين ولدوا بشكل طبيعي . وقد توصلت فيتز وآخرون (١٩٨٠) Vietze. et al. أيضًا إلى نتائج مشابهة إذ وجد أن أهم آثار الولادة القيصرية تتمثل في زيادة العناية بالأطفال من جانب الأب وذلك من خلال دراستهن لخمس وسبعين أسرة كان يولد لهم طفل للمرة الأولى ، وقد تمت الملاحظة خلال العام الأول من حياة الطفل . وأوضح آباء الأطفال الذين تمت ولادتهم قيصرًا أنهم يبدون عند بلوغ أطفالهم الشهر السادس من العمر سلوكًا أكثر لطفًا تجاههم قياسًا بما كان يفعله آباء الأطفال الذين تمت ولادتهم بشكل طبيعي وكانوا في نفس العمر الزمني وذلك على الرغم من اختفاء هذا السلوك عندما بلغ الأطفال الشهر الثاني عشر من أعمارهم . وتتمثل أكثر التفسيرات احتمالية لهذه النتائج في أن الأم تصبح كنتيجة للعملية الجراحية التي أجريت لها عند الولادة غير

قادرة على القيام بدورها الفاعل في العناية بالأطفال بشكل كامل وذلك خلال بضعة الأسابيع التالية للولادة مما يجعل الأب كنتيجة لانغماسه الزائد في العناية المبكرة بالطفل يستمر في عنايته به حتى بعد أن تصبح الأم قادرة على استئناف دورها الأكثر فاعلية . وتؤكد دوارنج وإنتويسل (١٩٨٠) Doering & Entwisle هذه النتيجة حيث وجدنا أن الأم التي تلد قيصرياً تكون أقل فاعلية فيما يتعلق بالعناية بطفلها المولود قياساً بالأم التي تلد طبيعياً .

وتؤكد دراسة بيدرسين وآخرين Pedersen, et al. غيرها من الدراسات التي تناولت أثر الولادة القيصرية على مدى انغماس الأب في حياة الوليد على أهمية الفترة المبكرة التالية للولادة في تحديد الأدوار الوالدية . ومع ذلك فلا يدل هذا على أن مثل هذه الأنماط التي تم تحديدها في وقت مبكر غير قابلة للتعديل إذ ترى فيتز وآخرون (١٩٨٠) Vietze, et al. أنه بنهاية العام الأول من عمر الطفل تختفى هذه الفروق التي توجد بين آباء كلا المجموعتين من الأطفال تبعاً لنوع ولادتهم وذلك في مدى انغماس الآباء في حياتهم ومشاركتهم في العناية بهم . ومع ذلك فإن نتائج مثل هذه الدراسات قد تدفعنا إلى نمط آخر ذي أثر ثانوي يتمثل في أن سلوك الأم وحاجاتها كنتيجة للولادة القيصرية قد يؤثر على مدى التفاعل بين الأب والرضيع (Pedersen. et al. 1980) .

وقد تؤدي الولادة المبكرة Premature للطفل هي الأخرى إلى تعديل أو تغيير دور الأب بطريقة مشابهة وذلك بإيجاد موقف يصبح فيه من الأكثر أهمية بالنسبة للأب أن يقوم برعاية الأم إضافة إلى ازدياد الحاجة إلى انغماسه في العناية بالرضيع إذ وجدت هيرزوج (١٩٧٩) Herzog على سبيل المثال من مقابلاتها لأكثر من مائة أسرة ممن لهم أطفال مبتسرين أن أهم وظيفة يؤديها الأب في مثل هذه الحالة تتمثل في قيامه بمساندة الأم ومساعدتها مما يسهل من دورها في العناية بطفلها الرضيع ، كما يعزز أيضاً من مشاعرها الإيجابية نحوه . وتكشف دراسة هاوثرن وآخرين (١٩٧٨) Hawthorne, et al. أيضاً عن نتائج مشابهة وذلك من خلال دراسة أنماط الزيارة الأبوية للأطفال المبتسرين الذين تم وضعهم في إحدى الحضانات بإنجلترا ، فكان الأب يقوم بمساعدة الأم وأصبح أكثر انغماساً في أنشطة العناية بالوليد . وتتفق مارتون وميند

(١٩٨٠) Martone & Minde مع هذه النتائج حيث وجدنا أن الآباء الكنديين ممن لهم أطفال مبتسرين كانوا أكثر انغماسًا في حياة هؤلاء الأطفال والعناية بهم كما يتضح من أنماط زياراتهم لوحدة الأطفال المبتسرين بالمستشفى . وأخيرًا فقد كشفت دراسة يوجمان (١٩٨٠) Yogman لعينة أمريكية مماثلة أن آباء الأطفال المبتسرين قد أظهروا مستويات أعلى من العناية بأطفالهم فكانوا يقومون بتحميمهم وتغيير الحفاضات لهم على سبيل المثال وذلك قياسًا بآباء الأطفال الذين تمت ولادتهم طبيعيًا . وقد تكون مثل هذه الأنماط المرتفعة من العناية بالأطفال كما يظهرها الأب في مثل هذه الحالات جزئيًا بمثابة استجابة لتلك المصاعب التي ترتبط بالعناية بالوليد المبتسر .

ومن ناحية أخرى يرى عدد من الباحثين أن الأطفال المبتسرين يضعون على عاتق والديهم مطالب تفاعلية أكبر مما يضعه الأطفال الذين يولدون بعد فترة حمل كاملة وذلك بسبب محدودية يقظتهم واستجاباتهم كما ترى جولدبرج (١٩٧٩) Goldberg وفيلد (١٩٧٩) Field . وكذلك ترى براون وبيكمان (١٩٧٩) Brown & Bakeman أن الوالدين يجدان أقل متعة وأقل إرضاء لهما كي يقوموا بإرضاعهم . وعلاوة على ذلك فبسبب انخفاض وزن هؤلاء الأطفال فإنه غالبًا ما يتم إرضاعهم أكثر من أقرانهم الذين يولدون بعد فترة حمل كاملة إذ أنه في سلسلة من الدراسات تقوم على الملاحظة وتقارن بين التفاعل الذي ينشأ بين الوالد أبًا كان أو أمًا وبين الرضيع المبتسر وغير المبتسر وجدت جولدبرج (١٩٧٩) Goldberg أن أمهات الأطفال المبتسرين كن في مرحلة الوليد أقل فاعلية في انغماسهن في حياة مواليدهن قياسًا بأمهات الرضع ممن ولدوا بعد فترة حمل كاملة . كما أن هؤلاء الرضع المبتسرين قد أبعدها الأب عن جسم الأم ، فكان يقلل من لمسه لها ، والتحدث إليها ، كما أدوا أيضًا إلى تقليل فرص نومه ووجهه في مقابل وجهها وذلك قياسًا بالرضع ممن تمت ولادتهم بعد مدة حمل كاملة . وإضافة إلى ذلك فقد كشفت دراسات أخرى تناولت العلاقة بين الأم والرضيع المبتسر أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأم في موقف الرضاعة أن تقوم بإثارة طفلها كي يرضع وذلك بطريقة تتضمن قدرًا أقل من التلامس عند مقارنتها بما تفعله قريبتها التي ولدت طفلها بعد مدة حمل كاملة وذلك في نفس هذا الموقف (Goldberg, 1979; Brown & Bakeman, 1979) .

ومن المفترض أن يكون ذلك بمثابة رد فعل لما يتسم به الطفل المبسر من انخفاض في مستوى استجابته ويقظته . وبذلك فالولادة المبسرة قد تؤدي إلى انغماس الأب بقدر أكبر في العناية بالأطفال ، وقد يرجع ذلك جزئياً على الأقل إلى رغبة الأب في التخفيف عن الأم من مسؤوليتها الكاملة لوقت إضافي ومن مهارتها اللازمة للعناية بهؤلاء الأطفال.

ومن الجدير بالذكر أن الولادة المبسرة قد تؤثر على أنماط اللعب التي يقوم بها الأب مع الرضيع إضافة إلى تأثيرها على مستوى انغماسه في العناية به إذ وجد باركي وآخرون (Parle, et al. ١٩٨١) من دراستهم لأنماط التفاعل بين الآباء والرضع المبشرين في إحدى الحضانات ، وبين الآباء والرضع الذين تمت ولادتهم بالمنزل بعد فترة حمل كاملة وذلك عن طريق ملاحظتهم بعد فترة قصيرة أعقبت الولادة أن أساليب اللعب بين الأب والرضيع تختلف بالنسبة للمجموعتين فلا يظهر الآباء المعدل المرتفع من اللعب الجسمي الذي يميزهم بشكل يفوق الأمهات إلا إذا كان الرضيع قد تمت ولادته بعد فترة حمل كاملة ، أما إذا كان الرضيع من المبشرين فلا يوجد هناك فرق بين أسلوب لعب كل من الأب والأم معه . وعلى الرغم من عدم وجود فروق دالة بين الأب والأم في أسلوب اللعب خلال الفترة التي بقيت فيها الأم بالمستشفى عقب الولادة فإن الفروق بينهما في أسلوب اللعب مع الوليد كامل النمو والوليد المبسر تصبح واضحة في الأسبوع الثالث من عمر الرضيع . وقد يرجع ذلك إلى ما يظنه الآباء من أن الرضيع المبسر ضعيف ، ولا يمكنه أن يتحمل الإثارات الجسمية الخشنة مما يمنع الأب بالتالي من مزاوله أسلوب اللعب العادي المميز له . ويوضح تتبع الطفل عن طريق الملاحظة أن هذا النمط من اللعب يظل ثابتاً حتى في مراحل نمائية تالية خلال العام الأول من عمر الطفل . وباختصار يمكن القول أن أسلوب اللعب مع الرضيع إضافة إلى أساليب العناية به يمكن أن تتغير جميعاً تبعاً لحالته الصحية .

وهناك عامل آخر قد يؤدي إلى تغيير كم وكيف اللعب بين الأب والرضيع يتمثل في طبيعة الترتيبات الخاصة بالعمل بالنسبة للأب والأم . فقد أصبح عدد الأسر التي تتقاضى مرتبين لعمل الأب والأم في تزايد مستمر .

ويرى بيدرسين وآخرون (Pedersen, et al. ١٩٨٠) في دراستهم التى قاموا فيها بتقييم تأثير هذا النمط من التنظيم البديل للدور الأسرى على أنماط التفاعل بين الأب والرضيع . فتمت ملاحظة أسر تتقاضى مرتبًا واحدًا فقط وأسرى أخرى تتقاضى مرتبين وذلك لمدة ساعة واحدة فى المساء أثناء التفاعل مع أطفالهم الرضع الذين يبلغون خمسة شهور من العمر ، أن الأب فى الأسر التى تتقاضى مرتبًا واحدًا يميل أكثر من الأم إلى اللعب مع طفله الرضيع . ومع ذلك فقد اتضح أن معدل اللعب الاجتماعى للأم مع الطفل الرضيع فى الأسر التى تتقاضى مرتبين كان أعلى من معدل لعب الأم معه إذ كان الأب فى واقع الأمر فى مثل هذه الأسر يلعب مع طفله الرضيع بمعدل يقل حتى عن الأم فى الأسر التى تتقاضى مرتبًا واحدًا . ونظرًا لأن مثل هذه الملاحظات قد تمت فى المساء أى بعد عودة كلا الوالدين من عملهما يرى هؤلاء الباحثون أن الأم تلجأ إلى هذا المعدل المرتفع من اللعب مع الأطفال كوسيلة لإعادة بناء التواصل مع طفلها الرضيع عقب بعدها عن البيت طول النهار . ومن المحتمل أن تؤثر حاجة الأم العاملة إلى التفاعل مع طفلها الرضيع على حاجة الأب المماثلة وتوقعها .

وسواء كانت هذه الأنماط من اللعب المتزايد من جانب الأم تستمر بعد أن تصبح العلاقة بين الأم والرضيع وثيقة بدرجة كبيرة قياسًا بما كانت عليه عندما كان عمر الطفل خمسة شهور أم أنها لا تستمر كذلك يعتبر أمرًا لا يزال غامضًا . إلا أن هناك سؤالًا لا تزال له أهميته فى هذا الصدد يتناول مدى ظهور هذا النمط من اللعب المتزايد من جانب الأم مع الطفل فى الأسر التى تتقاضى مرتبين والتى تبدأ الأم فيها العمل عندما يكون الطفل فى سن أكبر لا يمكننا توضيح الإجابة عنه إلا من خلال إجراء المقارنات بين الأسر التى يختلف فيها عمر الرضيع عندما تعود الأم إلى العمل .

ويتميز أسلوب التفاعل الذى أظهرته الامهات فى الأسر التى تضم أمهات عاملات بأنه يتشابه مع الأسلوب الشائع للعب الأم والذى يتميز بالسلوك اللفظى . ومع أن مقدار لعب الأم مع الطفل فى مثل هذه الأسر قد ازداد فإنه قد يظل فى إطاره المميز له ولم يتحول إلى الأسلوب المميز للعب الذكري وهو أسلوب اللعب الجسمى .

وفي محاولة لاختبار إمكانية تغيير أساليب اللعب كدالة لتنظيم الأسرة وفقاً للدور التي يؤديها كلا الوالدين قامت فيلد (١٩٧٨) Field بإجراء مقارنة بين الآباء الذين يعتبرونهم القوائم الأساسية على العناية بالأطفال وبين الآباء الذين يأخذون دوراً ثانوياً في هذا الصدد وذلك في مقابل تلك الأسر التي تضمنتها عينة الدراسة التي أجراها بيدرسين وآخرون Pedersen, et al. والتي يقوم فيها كلا الوالدين بالعمل خارج المنزل . وبالنظر إلى نتائج هاتين الدراستين يتضح لنا أن الأمهات والآباء في الأسر التي تضمنتها عينة دراسة فيلد Field قد قاموا بتبادل الأدوار . كما وجدت فيلد أيضاً أن الآباء الذين يعتبرون هم القوائم الأساسية على العناية بالأطفال قد أبقوا على المكون الجسدى في أساليب التفاعل الخاصة بهم تماماً مثل ما فعل الآباء الذين كانوا يقومون بدور ثانوى في العناية بالأطفال . ومع ذلك فقد كانت أساليب اللعب المميزة للآباء الذين يقومون بدور أساسى في العناية بالأطفال تشابه مع أساليب لعب الأمهات . ومن ناحية أخرى فقد أظهر الآباء والأمهات القائمون بدور أساسى في العناية بالأطفال معدلاً أقل من الضحك ، ومعدلاً أعلى من الابتسام ومن التكشير ، ومن الأحاديث ذات النغمة العالية وذلك قياساً بالآباء الذين يقومون بدور ثانوى في العناية بالأطفال . ومع ذلك فقد كان الآباء سواء من كانوا يضطلعون بدور أساسى أو دور ثانوى في العناية بالأطفال أقل في مسكهم لأطراف أطفالهم الرضع ، كما كانوا أكثر لعباً معهم ووخزاً لهم أثناء اللعب قياساً بالأمهات .

وتؤكد هذه النتائج إضافة إلى تلك النتائج التي توصل إليها بيدرسين وآخرون أن كلاً من الآباء والأمهات يبدون أساليب متميزة للعب مع الأطفال حتى عندما تعمل الترتيبات المتعلقة بالدور الأسرى بتغيير كم أو مقدار تفاعلهم مع الأطفال . إلا أننا لا نزال نحتاج إلى المزيد من الدراسات لتقييم إمكانية تغيير أساليب التفاعل تلك كنتيجة لاختلاف الترتيبات الأسرية . وسوف يؤدي إجراء دراسة مقارنة بين الأسر التي يتم فيها تبادل للأدوار الثانوية والأدوار الأساسية في العناية بالأطفال وبين الأسر التقليدية التي يلعب فيها الأب دوراً ثانوياً في العناية بالأطفال إلى توضيح مدى اعتماد السلوك التفاعلى على التوزيع المختلف لمهام العناية بالأطفال . وكما قام الباحثون بدراسة أثر المفاهيم المحددة ذاتياً للذكورة والأنوثة والخنثة السيكولوجية على أنماط العناية بالأطفال

يبدو من المهم القيام بتقييم العلاقة بين اتجاهات الدور الجنسي وأساليب اللعب . ومن المحتمل أن يظهر الأفراد المختلين سيكولوجياً رجالاً ونساء أساليب لعب ذكورية أو أنثوية أقل نمطية .

نظم التأييد الثقافية للآباء :

من المهم في ضوء التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تدعم زيادة انغماس الأب في العناية بالرضع أن نذكر ذلك التأييد والمساندات الثقافية لأنشطة الأب هذه ، والتي نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

أولاً : يجب أن يكون هناك زيادة في فرص تعلم مهارات الأبوة ، وهو ما قد ينتج عنه مجموعة من الأشكال التي يمكن أن يتحقق ذلك من خلالها كتوفير برامج تدريب الآباء على تعلم وممارسة مهارات العناية بالأطفال ، وتعليمهم بعض الأساسيات حول النمو الطبيعي للطفل على أن يتم ذلك قبل وبعد الولادة كما يرى بيلر وميريديث (١٩٧٤) Biller & Meredith . ومع ذلك فلا يجب أن نتظر بالتدريب على الأبوة إلى أن يتم الحمل أو الولادة . ويجب أن يتضمن هذا التدريب معلومات حول نمو الرضيع ، والعناية به ، كما يجب القيام بتدريس الواقع الاقتصادي لتربية الأطفال في المدارس الثانوية أو في وقت مبكر عن ذلك حيث يشهد المجتمع الأمريكي زيادة في معدلات الحمل خلال العقد الثاني من العمر . وكما يرى باركي (١٩٨١ - أ) Parke وباركي وكولمر (١٩٧٥) Parke & Collmer فإن مثل هذا التدريب قد يساعد على تجنب إساءة معاملة الأطفال .

ثانياً : يجب العمل على توفير مزيد من الفرص اللازمة لممارسة وتطبيق هذه المهارات . كما يجب أن نولي الأبوة مزيداً من الاهتمام والمساندة حتى توفر الفرصة لقيام الأب بالمشاركة في العناية المبكرة بالرضيع . ومن الجدير بالذكر أن مثل هذا الاهتمام يجب أن يجعلنا نسمح للأب خلال فترة حمل زوجته بحضور برامج التدريب على الأبوة ، وأن يذهب مع زوجته خلال مراجعتها لطبيب النساء والتوليد . كما يجب أيضاً أن تحدث تغيرات أخرى في الترتيبات المجتمعية كأن يكون هناك

أسابيع تقل فيها ساعات العمل ، وأن تتسم ساعات العمل العادية فيها بالمرونة ، وأن يتم تقسيم الوظائف كلما كانت هناك فرصة أمام كل من الذكور والإناث للقيام بها . وهو ما قد يزيد من احتمال مشاركة الذكور في القيام بكل ما تتطلبه الأبوة (Parke, 1987 b) .

وهناك تغير إيجابي آخر يتضمن التغير في ترتيبات زيارة الأم لقسم الولادة بالمستشفى وهو ما يسمح للأب بأن يكون له مدى أكبر من الاتصال بمولوده الجديد والتفاعل معه . وقد أصبح تفاعل الأب مع المولود الجديد في الوقت الحالي وخاصة في مرحلة الوليد يخضع لمزيد من الملاحظة والرقابة ، وكنتيجة لذلك نجد أن سياسة المستشفى في الغالب وليس اهتمام الأب هي التي تحدد درجة انغماس الأب مع الوليد الجديد . وعلى الرغم من أن بعض الأقطار مثل روسيا على سبيل المثال لا تزال تضع قيوداً كثيرة على زيارة الأب للوليد ، فهناك أقطار أخرى كالسويد والدانمرك مثلاً تشجع مثل هذه الانغماس من جانب الأب سواء كان ذلك في المعمل أو عند الولادة ، كما تشجع على مثل هذه الزيارات المستمرة من جانب الأب خلال فترة ما بعد الولادة مباشرة (Klaus & Kennell, 1976) . أما في الولايات المتحدة الأمريكية فهناك اتجاه متزايد نحو مزيد من المشاركة من جانب الأب إذ نجد على سبيل المثال أن ستين في المائة من المستشفيات في مدينة نيويورك تسمح بزيارة الأب لوليدته الجديد .

وكما يرى كلاوس وكنيل (Klaus & Kennell ١٩٧٦) فإن الفرص التي تتاح أمام الأب للقيام بالتواصل المبكر من الوليد خلال فترة ما بعد الولادة قد تغير من أنماط التفاعل بين الأم والوليد . وتؤكد نتائج الدراسة التي أجراها لند (Lind ١٩٧٤) بالسويد أن هناك أثراً موازياً يحدث بالنسبة للآباء أيضاً إذ أن الآباء الذين أتيحت لهم الفرصة لتعلم وممارسة المهارات الأساسية للعناية بالطفل خلال فترة ما بعد الولادة التي تقضيها الأم بالمستشفى كانوا خلال تواجدهم في المنزل أكثر انغماساً مع أطفالهم الرضع في الشهر الثالث من أعمارهم ، كما كانوا يقومون بأعمال المنزل أيضاً .

ومن ناحية أخرى فقد أجرى باركي وآخرون (Parke, et al., ١٩٨٠) دراسة تناولوا فيها المساندة التي يقدمها الأب للأم وذلك خلال فترة وجود الأم بالمستشفى

في الفترة التالية للولادة فعرضوا على مجموعة من الآباء قوامها ستة عشر أبًا فيلمًا قصيرًا مسجلًا على الفيديو تم تصميمه بغرض زيادة الاتصال بين الأب والوليد وقيامه بالعناية به . وكان هذا الفيلم يعرض لثلاثة آباء مختلفين يلعبون مع أطفالهم ويقومون بإرضاعهم ويغيرون لهم الحفاض . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان شخص آخر يتحدث عن ذلك المدى الكبير من القدرات المعرفية والاجتماعية للوليد ، إضافة إلى الدور الفعال الذي يمكن أن يلعبه الأب في العناية المبكرة بالرضع وإثارتهم . وقد صمم هذا الفيلم لتحقيق أربعة أغراض أساسية هي :

١ - تغيير اتجاهات الأب نحو الدور الجنسي وذلك فيما يتعلق بمدى ملاءمة قيام الذكور الراشدين بالعناية بالرضع .

٢ - تقديم الأدلة التي تؤكد على قيام الأب بإرضاع الطفل خلال هذه الفترة وتغيير الحفاض له .

٣ - تقديم المعلومات اللازمة للآباء حول كل ما يتعلق بقدرات الرضيع المعرفية والإدراكية .

٤ - عرض الأساليب التي يستطيع الأب بمقتضاها أن يتفاعل مع الرضيع مؤكدًا على الاستجابات التي يمكن أن يقوم بها الأب لتلك الإشارات التي تصدر عن الرضيع .

ولتقييم أثر هذا الفيلم على التفاعل بين الأب والوليد تمت المقارنة بين مجموعتين من الآباء ؛ ضمت الأولى الآباء الذين شاهدوا ذلك الفيلم وعددهم ستة عشر أبًا ، أما الثانية فضمت عددًا مماثلاً من الآباء لم يشاهدوا هذا الفيلم وذلك من خلال ملاحظة تفاعلهم مع أطفالهم الرضع في المستشفى خلال الفترة التالية للولادة مباشرة وفي المنزل عندما كان هؤلاء المواليد قد بلغوا ثلاثة أسابيع من عمرهم ، ثم لاحظتهم مرة أخرى في الشهر الثالث من العمر . كما تم أيضًا تقييم مستوى مشاركة الأب في الأنشطة الروتينية للعناية بالرضع داخل المنزل وذلك عندما كان هؤلاء الرضع في الشهر الثالث من أعمارهم . وأوضحت النتائج أن الآباء الذين شاهدوا الفيلم في المستشفى قد ازدادت معرفتهم بالقدرات الإدراكية للرضيع . واعتقدوا أكثر من أقرانهم الذين لم يشاهدوا الفيلم أن الرضع يحتاجون دومًا إلى الإثارة . وإضافة إلى ذلك فقد كان آباء الرضع البنين ممن

شاهدوا الفيلم قد قاموا بتغيير اتجاهات دورهم الجنسى فيما يتعلق بمدى ملاءمتهم للقيام بالمشاركة فى أنشطة العناية بالرضع . واستنادًا على التقارير اليومية حول أنشطة العناية بالرضع فى المنزل كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء الذين شاهدوا الفيلم أن يقوموا بتغيير الحفاض لأطفالهم البنين الرضع البالغين ثلاثة شهور من العمر وأن يقوموا بإرضاعهم وذلك قياساً بأقرانهم فى المجموعة الأخرى الذين لم يشاهدوا الفيلم . كما توضح النتائج التى تستند على الملاحظة أن مشاهدة الآباء للفيلم قد غيرت من سلوكهم بطرق عديدة إذ كان للفيلم فعاليته فى زيادة مقدار سلوك العناية بالأطفال من جانب هؤلاء الآباء خلال مواقف إرضاع الأطفال سواء فى المستشفى أو فى المنزل عندما كان الأطفال فى الشهر الثالث من العمر . كما أدى الفيلم إلى زيادة سلوك الإثارة من جانب هؤلاء الآباء بشكل دال وذلك لأطفالهم البنين من ذوى الترتيب الميلادى الأول وذلك أثناء وجودهم بالمستشفى بعد ولادتهم مباشرة ، إلا أن هذا لم يحدث فى فترات تالية متأخرة عن ذلك . وتوضح دراسة تتابع سلوك الأب والرضيع أنه بينما يقلل الآباء من المقدار الكلى للإثارة التى يقومون بها وذلك على مدى الفترات الزمنية الثلاث موضوع الدراسة كانت هناك زيادة فى احتمال ارتباط هذه الأنماط السلوكية بالإشارات التى تصدر عن الرضيع . وبذلك يتضح أنه مع زيادة المخزون السلوكى للطفل على مدى الشهور الثلاثة الأولى من عمره قام الآباء الذين شاهدوا الفيلم بتغيير أسلوبهم من أسلوب التفاعل القائم على إثارة الرضيع بدرجة عالية إلى ذلك الأسلوب الذى يرتبط بسلوك الرضيع بدرجة كبيرة .

ومن ناحية أخرى فقد اتضح أيضًا وجود نمط سلوكى مشابه يضم تلك الأنماط السلوكية المرتبطة بالعاطفة . ولم يتضح وجود أى آثار لمشاهدة الفيلم على الآباء خلال فترة وجود أطفالهم بالمستشفى عقب الولادة أو عندما كان هؤلاء الأطفال فى الأسبوع الثالث من أعمارهم ، فى حين أبدى الآباء الذين لم يشاهدوا الفيلم مزيدًا من العاطفة لأطفالهم فى الشهر الثالث من العمر . إلا أن الآباء الذين شاهدوا الفيلم قد أظهروا مزيدًا من العاطفة قياساً بأقرانهم الذين لم يشاهدوا الفيلم وذلك فى مواقف إرضاع الأطفال فى الشهر الثالث من أعمارهم وفى مواقف اللعب قياساً بأقرانهم الذين شاهدوا الفيلم .

كما أوضحت دراسة تتابع سلوك الأب والرضيع أن هذا النقص في التكرار الكلى للسلوك كانت توأكبه زيادة في الاستجابية . فعلى الرغم من انخفاض مقدار العاطفة التى أبدوها أولئك الآباء الذين شاهدوا الفيلم خلال مواقف اللعب مع أطفالهم الرضع كانت طريقة إظهارهم للعاطفة أكثر ارتباطًا بالإشارات التى تصدر عن الطفل قياسًا بأقرانهم الذين لم يشاهدوا الفيلم .

وباختصار فقد أدى هذا الفيلم بشكل دال إلى تغيير جوانب مختارة من سلوك الآباء واتجاهاتهم خلال وجود أطفالهم المستشفى بعد الولادة وخلال الشهور الثلاثة الأولى من عمر أطفالهم . وكان من النتائج الهامة التى كشفت عنها هذه الدراسة أن مستوى مشاركة الأب فى إرضاع الأطفال وتغيير الحفاض لهم يزداد نتيجة لهذا الإجراء المحدد (الفيلم) حتى بعد فترة الشهور الثلاثة التى تم تناولها فى هذه الدراسة وخصوصًا فى حالة الأطفال البنين . ومن الملاحظ أن هذا المعدل المرتفع من التأثير الذى أحدثه الفيلم وذلك على آباء الأطفال البنين يستحق التعليق .

ويعتبر التفسير السابق هو أكثر التفسيرات المقبولة لهذه النتيجة حيث اختلف الآباء بالفعل فى درجة تهيئتهم لأن يتفاعلوا مع أطفالهم الذكور الرضع بدرجة أكبر من البنات الرضع ، وقد أدى الفيلم إلى تقوية هذا الميل الموجود لديهم بالفعل . وهناك الكثير مما يحتويه التراث السيكلوجى يؤيد هذه النتيجة كما يرى لام (١٩٨١) Lamb وبيدرسين (١٩٨٠) Perersen وباركى (١٩٧٩) Parke . أما الدراسات السابقة التى تتعلق بالتأثير الاجتماعى والتى يزخر بها التراث السيكلوجى فتؤكد أنه من السهل أن نحدث تغييرًا إضافيًا فى الاتجاه المرغوب فيه بالفعل قياسًا بالاتجاه غير المرغوب فيه كما يرى ماك جوير (١٩٦٨) Mc Guire .

ومن ناحية أخرى قامت ديكاي وكارناهان (١٩٧٩) Dickie & Carnahan بتدريب أمهات وآباء الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين أربعة أشهر وإثنى عشر شهرًا وذلك بغرض زيادة كفاءتهم كوالدين . وباستخدام مفهوم جولدمبرج Goldberg عن الكفاءة على أنها القدرة الوالدية على تقييم وتوفير الخبرات المرتبطة بالاستجابات من جانب أطفالهم الرضع والتنبؤ بها وإثارتها ، قامت الباحثتان خلال ثمانى جلسات تدريب

مدة كل منها ساعتين أسبوعياً بالتركيز على الاختلافات التي قد توجد بين الأطفال ، وعلى الفروق الفردية ، دأركرتا أيضاً على التعرف على مزاج الطفل والإشارات التي تصدر عنه ، وتوفير الخبرات المرتبطة بذلك ، والتعرف على تأثير الطفل على الوالدين . وكننتيجة لجلسات التدريب هذه ازدادت تفاعلات الآباء المشاركين فيها مع أطفالهم الرضع قياساً بأقرانهم الذين لم يشاركوا ، فكان أولئك الذين شاركوا في جلسات التدريب يتحدثون إلى أطفالهم ، ويقومون بلمسهم ، ويحملونهم ، ويتواجدون معهم لفترات أطول ، ويصدرون استجابات أكثر ارتباطاً بابتساماتهم وأحاديثهم .

وعلى الجانب الآخر كان أطفال الآباء الذين شاركوا في التدريب أكثر بحثاً عن التفاعل من أطفال الآباء الذين لم يشاركوا فيه . ومع ذلك فقد نقص معدل تفاعل الأمهات اللاتي حضر أزواجهن التدريب وذلك مع أطفالهن . وفي ضوء الحقيقة التي ترى أن التدريب يزيد من الكفاءة الوالدية من المحتمل أن تكون زوجات أولئك الذين شاركوا في التدريب قد قمن بتشجيع أزواجهن على تحمل قسط أكبر من مسئوليات العناية بالرضيع والتفاعل معه . وتؤكد هذه النتيجة على الطبيعة التبادلية للعلاقة بين الأب والأم ، كما تعطى تأكيداً إضافياً للنظر إلى الأسرة على أنها نظام اجتماعي تقوم فيه الأنشطة التي تصدر عن أحد أعضائه بالتأثير على سلوك الأعضاء الآخرين . وأخيراً فإن هذه النتائج تتفق مع النتائج التي تتعلق بالثدييات غير الإنسانية والتي توضح أن مدى انغماس الأب في حياة الصغير يختلف بشكل عكسي مع قيام الأم بوضع القيود على هذا الانغماس (Redican, 1976; Parke & Suomi, 1981) .

وكما تؤكد دراسات عديدة فإن الجهود المبذولة لتغيير أسلوب التفاعل بين الأب والرضيع يجب ألا تقتصر على الرضع الأقل سناً فقط إذ وجد زيلازو وآخرون (١٩٧٧) Zelazo, et al., في دراستهم التي أجروها على عشرين أباً ممن يقل تفاعلهم مع أطفالهم بدرجة كبيرة وأطفالهم البنين الرضع الذين يبلغون إثني عشر شهراً من العمر من ذوي الترتيب الميلادى الأول ، وكان هؤلاء الآباء يشاركون بقدر ضئيل في العناية بأطفالهم أو اللعب معهم ، كما كانوا لا يتواجدون بالمنزل إلا في بعض الأحيان التي يكون فيها أطفالهم مستيقظين . وقد حضر اثنا عشر أباً من هؤلاء الآباء برنامجاً تدريبياً

يتضمن اللعب مع الأطفال لمدة ثلاثين دقيقة كل يوم في منازلهم وذلك على مدى أربعة أسابيع . ولتسهيل حدوث التفاعل بينهم عن طريق اللعب تم تزويد الأب بجدول بالألعاب وأدوات اللعب اللازمة . وباستخدام إحدى استراتيجيات التعلم الاجتماعي (Bandura, 1977) قام الباحثون بتحدد الألعاب ، وأدوات اللعب وأساليب التفاعل ، وقاموا بتدريب الآباء على هذه الأنشطة . أما المجموعة الثانية والتي تعتبر مجموعة ضابطة فقد ضمت ثمانية آباء ممن يقل تفاعلهم مع أطفالهم فلم يتلقوا أى تدريب .

ولتقييم أثر هذا البرنامج التدريبي على سلوك الرضيع تم عقد جلسة للتفاعل بين الوالد والرضيع على أساس معمل قبل البرنامج وأخرى بعده ، استمرت كل منهما لمدة عشرين دقيقة من اللعب الحر أثناء وجود كلا الوالدين في نفس الغرفة وهما يقرآن . تلا ذلك خروج الأم من الغرفة ثم الأب بعدها وعند مقارنة الملاحظات التي تم تسجيلها عن هذه المجموعة التجريبية مقارنة بما تم تسجيله عن المجموعة الضابطة اتضح أن معدل تفاعل البنين في المجموعة التجريبية مع آبائهم قد ازداد في جلسة اللعب الحر حيث كان يقوم هؤلاء البنون بالنظر كثيراً إلى آبائهم كما بادروا بالتفاعل معهم بدرجة أكبر . ولم يتأثر احتجاجهم على الانفصال بالبرنامج التدريبي . وكانت هذه النتيجة مدهشة في ضوء التقارير المبكرة التي ترى أنه مع زيادة انغماس الأب مع الطفل يقل قلق الانفصال في وجود شخص غريب (Kotelchuck, 1972; Spelke, et al., 1973) .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات كانت رائدة فقد كان فيها العديد من أوجه القصور إذ طلب الباحثون من الآباء أن يبادروا هم بالتفاعل مع الأطفال خلال الجلسات التي عقدت بالمعمل ، ولذلك لم يتضح ما إذا كان هناك زيادة في أنماط سلوك الأب الموجهة نحو الرضيع أم لا . كما أن هؤلاء الباحثين لم يقوموا بمراقبة وضبط مقدار التفاعل بين الآباء وأطفالهم الرضيع في المنزل كمتابعة لبرنامجهم التدريبي .

وعلى الرغم من وجود أوجه القصور هذه فإن تلك الدراسة تؤكد على إمكانية تغيير العلاقة بين الأب والرضيع . كما أنها تعمل على تصحيح الافتراض الذي يرى أن تغيير أنماط التفاعل الاجتماعي المبكر ليس من الضروري أن يرتبط بفترة حرجة مبكرة في حياة الطفل . وكما يرى زلازو وآخرون Zelazo, et al., والباحثون الذين قاموا بالدراسات

البرامجية المبكرة أمثال رينجولد (١٩٥٦) Rheingold وسكيلز (١٩٦٦) Skeels أنه يمكن تغيير استجابة الطفل الرضيع في مستويات عمرية مختلفة .

ومن الجدير بالذكر أن هناك حذرًا شديدًا مشابهاً يجب أن ينطبق على نمو الاستجابة الوالدية للأطفال الرضع . فعلى الرغم من أن الدراسات التي تناولت الاتصال المبكر بين الوالد والطفل كدراسة كلاوس وكينيل (١٩٧٦) Klaus & Kennell تؤكد على أهمية الفترة التالية للولادة مباشرة في تسهيل الاستجابة الوالدية للأطفال الرضع فإنه من الضروري أن نتذكر أن الدراسات التي تناولت موضوع التبني تؤكد على أنه بإمكان الوالدين أن يتعلما تطوير علاقات مشبعة مع الرضع ومع الأطفال الذين يكونون في أعمار زمنية أكبر . ومن المحتمل أن تتجاوز قدرات كل من الوالدين والأطفال الرضع على التكيف المستمر للظروف الاجتماعية المتغيرة أقصى أهمية لأي فترة زمنية في سبيل تكوين العلاقات الاجتماعية (Cairns, 1977) .

خاتمة :

يلعب الآباء والأمهات خلال مرحلة المهد أدوارًا متميزة وإن كانت تتكامل مع بعضها البعض . ومن الواضح أن كلاً من الآباء والأمهات يقومون بالعناية بالأطفال الرضع بكفاءة على الرغم من أن الآباء في الأسر التقليدية يقل دورهم المباشر في العناية بأطفالهم الرضع . ومع ذلك فإن الأب يؤثر على الأنشطة التي تقوم بها الأم بغرض العناية بالأطفال وذلك عن طريق العديد من الأساليب غير المباشرة .

ومن الجدير بالذكر أنه قد لوحظ وجود فروق في كم وكيف اللعب من جانب الأمهات والآباء مع أطفالهم الرضع وذلك عند دراسة أساليبهم في اللعب مع أطفالهم إذ اتضح وجود أسلوب لعب متميز لكل من الأب والأم ، ففي حين يتسم أسلوب لعب الأب بالعنف وبغلبة الجانب الجسمي عليه ، فإن أسلوب لعب الأم يغلب عليه الجانب اللفظي بدرجة أكبر . إلا أن هناك من الأدلة ما يؤكد على أنه من الممكن تغيير مثل هذه الفروق التقليدية بين أنماط اللعب الخاصة بكل من الأب والأم مع الأطفال . وإلى جانب تلك التغيرات في أيديولوجيات الدور الجنسى وأنماط العمل التي تفرز تنظيمات أسرية

بديلة كانت الممارسات الطبية المرتبطة بولادة الأطفال والحالة الولادية للطفل من بين العوامل التي تعمل على تقويض أسس المفاهيم النمطية للأم على أنها هي القائم على العناية بالأطفال ، وللاب على أنه رفيقهم في اللعب .

ومن هنا يبدو أن التعرف على مدى أوسع من هذه العوامل وعلى إمكانية إحداث التغيير في أدوار الأب والأم في مرحلة المهدي يعتبر أمرًا هامًا . ومن المهم أن تقوم باستمرار بتسجيل الاختلافات في أنماط التفاعل بين الأب والطفل وبين الأم والطفل وذلك على المستوى العالمي والمحلي . وفي النهاية قد يكون بإمكاننا القيام بعزل تلك الأسس التي تحكم عملية التغيير في أنماط التفاعل الاجتماعي إلى جانب وصف طبيعة التغيرات العالمية التي تحدث .

وكذلك فقد تم تناول نظم التأييد الثقافية للآباء وكيفية تنفيذ الأنشطة الوالدية . وتم أخيرًا تقديم اتجاه تحليلي متعدد المستويات يساعد في فهم دور الأب . ويرى هذا الاتجاه أن الأب والأسرة يعتبران ضمن شبكة من النسق الاجتماعية تتضمن الجيران والمحليات . وأخيرًا فإن تعقد النماذج التي نقدمها للأطفال قد يماثل التعقد في العلاقات بين الأب والرضيع .



مراجع الفصل الحادى عشر

- Arbeit, S. A. (1975). A study of women during their first pregnancy. Unpublished doctoral dissertation, Yale University.
- Ban, P., & Lewis, M. (1974). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the one-year old. *Merrill-Palmer Quarterly*, 20, 195-204.
- Bandura, A. (1977). *Social learning theory*. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall.
- Belsky, J. (1979). Mother-father-infant interaction : A naturalistic observational study. *Developmental Psychology*, 15,601-607.
- Biller, H. B., & Meredith, D. L. (1974). *Father power*. New York: McKay.
- Brim, O. G. (1975). Macro-structural influences on child development and the need for child hood social indicators. *American Journal of Orthopsychiatry*, 45, 516-524.
- Bronfenbrenner, U. (1979). *The ecology of human development: Experiments by nature and design*. Cambridge Mass. : Harvard University Press.
- Brown, J. V., & Bakeman, R. (1980). Relationships of human mothers with their infants during the first year of life. : Effects of prematurely. In R. W. Bell & W. P. Smother man (Eds.), *Maternal influence and early behavior*. Hollis wood. N. Y. : Spectrum.
- Cairns, R. B. (1977). Beyond social attachment :The dynamics of ineractional development. In T. A. Alloway, P. Pliner, & L. Krames (Eds.), *Attachment behavior*. New York : Plenum.
- Clarke-Stewart, K. A. (1977). The father's impact on mother and child. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Clarke-Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three :The father's impact on mother and young child. *Child Development*, 49,466-478.
- Clarke-Stewart, K. A. (1980). The father's contribution to children's cognitive and social development in early childhood . In F. A. Pedersen (Ed.), *The father infant relationship: Observational studies in the family setting*. New York: Praeger.
- Cowan, C. P. Cowan, P. A., Coie, L., & Coie, J. D. (1978). *Becoming a family : The impact of a first child's birth on the couple's relationship*. In W. B. Miller & L. F. Newman (Eds.), *The first child and family formation*. Chapel Hill, N. C.: Carolina Population Center.

- Dickie, J., & Carnahan, S. (1979). Training in social competence :The effect on mothers fathers and infants. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, San Francisco.
- Entwisle, D. R., & Doering, S. G. (1980). The first birth. Baltimore: John Hopkins University Press.
- Field, T. M. (1978). Interaction behaviors of primary versus secondary caretaker fathers. *Developmental Psychology*, 14, 183-185.
- Field, T. M. (1979). Interaction patterns of preterm and full term infants. In T. M. Field (Ed.), *Infants born at risk :Behavior and development*. New York : S. P. Medical and Scientific Books.
- Goldberg, S. (1979). Premature birth : Consequences for the parent infant relationship. *American Scientist*, 67,214-220.
- Greenberg, M., & Morris. N. (1974). Engrossment :The newborn's impact upon the father. *American Journal of Orthopsychiatry*, 44, 520-531.
- Gronseth, E. (1975). Work-sharing adaptations of pioneering families with husband and wife in part time employment. *Acta Sociologia*, 18, 202-221.
- Grossman, F. K. , Eichler, L. S., Winickoff, S. A., et.al. (1980). *Pregnancy, birth and parenthood*. San Francisco : Jossey-Bass.
- Hawkins, R. P. (1971). Universal parenthood training: A proposal for preventative mental health. *Educational Technology*, 11,28-35.
- Hawthorne, I. T., Richards, M. P. M. , & Callon, M. (1978). A study of parental visiting of babies in a special care unit. In F. S. W. Brimblecombe, M. P. M. Richards, & N. R. C. Robertson (Eds.), *Early separation and special care nurseries : Clinics in developmental medicine*. London : SIMP/Heinemann Medical Books.
- Herzog, J. M. (1979). Disturbances in parenting high-risk infants : Clinical impressions and hypotheses. In T. M. Field (Ed.), *Infants born at risk :Behavior and development*. New York :S . P. Meical and Scientific Books.
- Hoffman, L. (1978). W. Effects of the first child on the women's role. In W. B. Miller & L. F. Newman (Eds.), *The first child and family formation*. Chapel Hill, N. C. : Carolina Population Center.
- Hoffman, L. W., & Nye, F. I. (1974). *Working mothers*. San Francisco : Jossey-Bass.
- Klaus, M. H., & Kennel, J. H. (1976). *Parent-infant bonding*. St. Louis : Mosby.
- Kotelchuck, M. (1976). The infant's relationship to the father : Experimental evidence. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York : Wiley.

- Kotelchuck, M. (1972). The nature of the child's tie to his father. Unpublished doctoral dissertation, Harvard University.
- Lamb, M. E. (1976). Twelve-month-olds and their parents :Interactions in alaboratory playroom. *Developmental Psychology*, 12,237-244.
- Lamb, M. E. (1977). Father-infant and mother-infant interaction in the first year of life. *Child Development*, 48, 167-181 (a).
- Lamb, M. E. (1977). The development of mother-infant and father-infant attachments in the second year of life. *Developmental psychology*, 13, 637-648 (b).
- Lamb, M. E. (1978). Infant social cognition and "second-order" effects. *Infant Behavior and Development*, 1, 1-10.
- Lamb, M. E. (1979). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), *Social interaction analysis : Methodological issues*. Madison: University of Wisconsin Press.
- Lamb, M. E. Frodi, A. M. Hwang, C. P., & Frodi, M. (1982). Varying degress of paternal involvement in infant care : Attitudinal and behavioral correlates. In M. E. Lamb (Ed.), *Nontraditional families : Parenting and child development*. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates (a).
- Lamb, M. E., Frodi, A. M., Hwang, C., P., Frodi, M. & Steinberg, J. (1982). Effects of gender and caretaking roles on parent-infant interaction. In R. N. Emde & R. J. Hannon (Eds.), *Attachment and affiliative systems* New York : Plenum (b).
- Levine, J. A. (1976). *Who will raise the children : New options for father (and mothers)*. New York : Lippincott.
- Lewis, M., & Feiring, C. (1981). Direct and indirect interactions in social relationships. In L. Lipsitt (Ed.), *Advances in infancy research*, Vol. 1. Norwood, N. J. : Albex publishing Corp.
- Lind, R., (1974). Observations after delivery of communications between mother-infant-father. Paper presented at the International Congress of Pediatrics, Buenos Aires, Cctober.
- Lynn, D. B., & Cross, A. R. (1974). Parent preference of preschool children . *Journal of Marriage and the Family*, 36, 555-559.
- Marton P. L., & Minde, K. (1980). Paternal and maternal behavior with premature infants. Paper presented to the Americail Orthopsychiatry Association, Toronto, April.

- McGuire, W. J. (1968). The nature of attitudes change. In G. Lindzey & E. Aronson (Eds.), *Handbook of social psychology*. Vol. 3. Reading, Mass. : Addison-Wesley.
- Parke, R. D. (1979). Perspectives on father-infant interaction. In J. Osofsky (Ed.), *Handbook of infancy*. New York :Wiley.
- Parke, R. D. (1981). Theoretical models of child abuse: Their implications for prediction, prevention and modification. In R. Starr (Ed.), *Prediction of Abuse*. New York : Ballinger (a).
- Parke, R. D. (1981). *Father*. Cambridge : Harvard University Press (b).
- Parke, R. D., & Collmer, C. W. (1975). Child abuse :An interdisciplinary analysis. In E.M. Hetherington (Ed.), *Review of child development research*, Vol. 5. Chicago : University of Chicago Press.
- Parke, R. D. Grossman, K., & Tinsley, B. R. (1981). Father -mother infant interaction in the newborn period : A German-American comparison. [n T. Field (Ed.), *Culture and early interactions*. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Parke, R. D. , Hymel, S., Power, T. G., & Tinsley, B. R. (1980). Fathers and risk: A hospital based model of intervention. In D. B. Sawin, R. C. Hawkins, L. O. Walker , & J. H. Pent cuff (Eds.), *Psychosocial risks in infant-environment transactions*, New York : Bruner/ Masel.
- Parke, R. D. , & O'Leary, S. E. (1976). Father-mother-infant interaction in the newborn period :Some findings, some observations and some unrsolved issues. In K. Rieget & J. Meacham (Eds.), *The developing individual in a changing world*, (Vol.2) Social and environmental issues. The Hague :Mouton.
- Parke, R. D., O'Leary, S. E., & West, S. (1972). Mother-father newborn interaction : effects of maternal medication. labor and sex of infant. *Proceedings of the American Psychological Association*, 85-86.
- R.D., Power, T. G., & Gottman, J. (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), *Social interaction analysis Methodological issues*. Madison: University of Wisconsin Press.
- Parke, R. D., & Sawin.. D. B. (1975). Infant characteristics and behavior as elicitors of maternal and patenal responsibility in the newborn period. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, Denver, April.

- Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy : Social interactional and attitudinal analysis. In F. A. Pedersen (Ed.), The father-infant relationship :Observational studies in the family setting. New York: Fraeger.
- Parke, R. D. & Suomi, S. J. (1981). Adult male-infant relationship: Human and nonhuman primate evidence. In K. Immelman , G. Barlow, M. Main , & L. Petrinovitch (Eds.), Behavioral development :The Bielefeld Interdisciplinary prgject. New York: Cambridge University Press.
- Parke, R. D., & Thomas, N. G. (1981). The family in context: A multilevel interactional analysis of child abuse. In R. W. Henderson (Ed.), Parent - child interaction : Theory, research and prospect. New York :Academic Press.
- Parke, R. D., Thomas, N. G. , Neff, C., Szczyzpka, D., Tinsley , B. R., & Zarling, C. (n.d.) Parent-infant interaction with full term and premature infants : In the hospital and at home. unpublished manuscript.
- Parke, R. D. & Tinsley, B. R. (1982). The early environment of the high-risk infant : expanding the social context. In D. Bricker (Ed.), Application of research findings to intervention with at-risk and handicapped infants. Baltimore: University Park Press.
- Pedersen, F. A. (1975). Mother, father and infants as an interactive system. Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.
- Pedersen, F. A., Anderson, B. J., & Cain, R. L. (1977). An approach to understanding linkages between the parent infant an spouse relationships. Paper presented at the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Pedersen, F. A., Anderson, B. J. & Cain, R.L. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age five months. In F. A. Pedersen (Ed.), The father - infant relationships : Observational studies in the family setting. New York: Praeger.
- Pedersen, F. A., Cain, R. Zaslow, tvl., & Anderson, B. (1980). Variation in infant experience associated with alternative family role organization. Paper presented at the International Conference on Infant Studies. New Haven, April.
- Pedersen, F. A., Zaslow, M. J., Cain, R. L., & Anderson, B. J. (1980). Cesarean birth : The importance of a family perspective. Paper presented at the International Conference on Infant Studies, New Haven, April.

- Phillips, D., & Parke, R. D. (1981). Father and mother speech to paralinguistic infants. Unpublished manuscript, University of Illinois.
- Power, T. G., & Parke, R. D. (1982). Play as a context for early learning: Lab and home analyses. In L. M. Laosa & L. E. Sigel (Eds.), *The family as a learning environment*, New York : Plenum.
- Radin, N. (1980). Childbearing fathers in intact families :An exploration of some antecedents and consequences. Paper presented at a study group on "The Role of the Father in Child Development, Social Policy, and the Law, "University of Haifa, Haifa, Israel, July 15-17.
- Redican, W. K. (1976). Adult male-infant interactions in nonhuman primates. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development* . New York : Wiley.
- Rendina, I., & Dickerscheid, J. D. (1976). Father involvement with first -born infants. *Family Coordinator*, 25, 373-379.
- Rheingold, H. (1956). The modification of social responsiveness in institutional babies. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 21, No. 63.
- Richards, M. P. M., Dunn, I. F. & Antonis, B., (1977). Caretaking in the . first year of life : The role of father's and mothers' social isolation. *Child :Care, Health and Development*, 3, 23-26.
- Russell, G. (1978). The father role and its relation to masculinity, femininity and androgyny. *Child Development*, 49,1174-1181.
- Russell, G. (1980). Father as caregivers : Possible antecedents and consequences. Papers presented to a study group on "The Role of the Father in Child Development, Social Policy and the Law, "University of Haifa, Haifa, Israel, July 15-17.
- Sachs, J. (1977). The adaptive significance of linguistic input to pre linguistic infants. In C. E. Snow & C. A. Ferguson (Eds.), *Talking to children*. Cambridge, Mass. : Cambridge University Press.
- Sawin, D. B., & Parke, R. D. (1976). Adolescent fathers : Some implications from recent research on parental roles. *Educational Horizons*, 55, 38-43.
- Schaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachments in infancy. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 29, Serial No. 94.
- Schlossman, S., L. (1976). Before home starts: Notes toward a history of parent education in America, 1897-1929. *Harvard Educational Review*, 46, 436-467.

- Shereshesky, P. M., & Yarrow, L. J. (1973). Psychological aspects of a first pregnancy and early postnatal adaptation. New York: Raven Press.
- Skeels, H. (1966). Adult studies of children with contrasting early life experiences. Monographs of the Society for Research in Child Development, 31 , No. 105.
- Spelke, E. Zelazo, P., Kagan J., & Kotelchuck, M. (1973). Father interaction and separation protest. Developmental Psychology, 9, 83-90.
- Stem, D. N. (1974). Mother and infant at play: The dyadic interaction involving facial, Vocal, and gaze behaviors. In M. Lewis & L. A. Rosenblum (Eds.), The effect of the infant on its caregiver. New York :Wiley.
- Vietze, P. M., Mac Turk R. H., McCarthy, M. E. , Klein, R. P., & Yarrow, L. J. (1980). Impact of mode of delivery on father-and mother-infant interaction at 6 and 12 months. Paper presented at the Second International Conference on Infant Studies. New Haven.
- Yogman, M. W. (1981). Development of the father - infant relationship. In H. Fitzgerald, B. Lester, & M. W. Yogman (Eds.), Theory and Research in Behavioral Pediatrics. Vol. 1. New York: Plenum.
- Yogman, M. W. Dixon S., & tronick E. (1977). The goals and structure of face-to-face interaction between infants and fathers. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans.
- Zelazo , P. R., Kotelchuck M., Barber, L. , & David, J. (1977). Fathers and sons : An experimental facilitation of attachment behaviors. Paper presented at the biennial meeting of the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.

* * *

الفصل الثاني عشر
تطور العلاقة بين الأب والرضيع

ميخائيل لام

Michael E. Lamb

شهدت السنوات التي تلت عام ١٩٧٠ قدرًا لا بأس به من البحوث والدراسات التي تتناول تطور العلاقة بين الأب والرضيع ، وهو ما يمثل تغيرًا واضحًا في الفكر السيكولوجي حيث كان يقوم الطلاب والباحثون الذين يدرسون النمو الاجتماعي للطفل بالتركيز في السنوات السابقة لهذا التاريخ على مجرد وجود الأب فقط ، ولم يضعوا في اعتبارهم أن الأب يمكنه أن يلعب دورًا بنائيًا له دلالاته ومغزاه في التنشئة الاجتماعية لأطفاله الرضع والأطفال الأكبر منهم سنًا . وعلى الرغم من أن العديد من المنظرين والباحثين لا يزالون على تغافلهم وتجاهلهم لتلك الإسهامات التي يمكن أن يقدمها الأب في النمو الاجتماعي للانفعالي للطفل فقد أصبح معروفًا الآن على نطاق أوسع أن غالبية الأطفال الرضع تتم تنشئتهم في سياق نسق اجتماعي معقد هو الأسرة . ولم يكن عدد الدراسات التي تم إجراؤها من قبل كافيًا كي يسمح لنا بالوصول إلى نتائج قاطعة في هذا الصدد ، كما أننا لا نزال نفتقر إلى التصور المفاهيمي والإحصائي اللازم لفهم مسارات التأثير المعقدة ومتعددة الاتجاهات التي تعمل داخل الأسرة . وهذا بطبيعة الحال يقيد ويحد من تصورنا وفهمنا لتلك العلاقات التي تنشأ بين كل من الأب والرضيع .

وهناك جانب آخر من جوانب القصور تلك يتمثل - مع بعض الاستثناءات في الدراسات الأكثر حداثة - في أن تلك الدراسات التي تناولت سلوك الأب «التقليدي» تجاه الرضيع ومدى تأثيره عليه ، والأب التقليدي هو الذي يتمثل دوره الأساسي في كسب العيش ، قامت بتحديد كم التواصل بينه وبين الأطفال الرضع . واتضح مع ذلك أن الأعداد المتزايدة من الأطفال الرضع لا يلقون العناية الكاملة من أمهاتهم ، وأنه مع زيادة عدد الأمهات العاملات يزداد احتمال وضرورة انغماس الأب في حياة هؤلاء الرضع ومشاركته لهم . ولا يوجد هناك سبب واحد يدعونا إلى افتراض أن الأب غير التقليدي يؤثر في أطفاله بنفس الطريقة التي يؤثر بها الأب التقليدي في أطفاله ، وهذا بطبيعة الحال يحد من إمكانية تعميم نتائج تلك الدراسات التي تم إجراؤها في هذا الجانب .

وليس من الصعب أن نقرر السبب الذي دفع بعلماء نفس النمو إلى تجاهل العلاقة بين الأب والطفل لهذه المدة الطويلة فهم يعكسون في افتراضهم لبروز الأم في هذا الميدان

تلك المسلمات الثقافية الشائعة التي عززها تقييم مدى إسهام وانغماس الأب في حياة صغاره من الكائنات غير الإنسانية إذ أوضحت التحاليل التجريبية أن الهرمونات الأنثوية الإستروجين والبرولاكتين والبروجسترون تعتبر حاسمة بالنسبة للقوارض (Lamb, 1970b; Rosenblatt, 1970). وأنه يبدو لذلك فيما يتعلق بالثدييات غير الإنسانية أن الذكور يظهرون الحد الأدنى من الانغماس في حياة الصغار الرضع (e.g. De Vore, 1963) وهو ما يعكس تلك التقارير التي قدمها علماء الأثنوبولوجيا من أن الإناث الآدميات في كل مكان يضطلعن بمسئولية أساسية في العناية بالأطفال . ولم يتضح سوى مؤخرًا أن نموذج القوارض هذا لم يعد ينطبق على بنى البشر (e.g. Lamb & Goldberg, 1982) نظرًا لوجود اختلاف كبير بين أنواع الثدييات . أما أعلى درجة من معدل انغماس الأب في حياة الصغار فتحدث حينها لا تقوم الأم بتقييد صغارها بحمايتها لهم ويقوم البالغون بتكوين روابط دائمة تعتمد على أحادية الزواج ، وكلها سمات تؤدي بطبيعة الحال إلى التنبؤ بمعدل مرتفع نسبيًا من انغماس الأب الآدمى في حياة أطفاله (Parke & suomi, 1980; Redican, 1976).

وعندما بدأ الباحثون في دراسة العلاقة بين الأب والرضيع بالنسبة للإنسان حاولوا تحديد ما إذا كان يقوم غالبية الرضع بتكوين علاقات مع آبائهم ومتى يقومون بذلك . ونظرًا لأنه اتضح لهم أن معظم الرضع تربطهم في الواقع علاقات بأبائهم فقد حاول هؤلاء الباحثون تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين علاقات الأب مع الرضيع وعلاقات الأم مع الرضيع . وفي نفس الوقت تقريبًا برز موضوعان على درجة كبيرة من الأهمية يتناول أولهما تحليلًا لسلوك الأب في الشهور الأولى من حياة طفله وهى ما تعرف بالفترة السابقة لتكوين العلاقات ، في حين يتناول ثانيهما المفزى البنائى أو التكويني لعلاقة الأب بالرضيع . وأصبح من الواضح أن اهتمام الباحثين بذلك قد غدا أشمل وأكبر من ذي قبل وأكثر تعمقًا وذلك على مدى السنوات التالية . وعلاوة على ذلك فإن اكتشاف العلاقات التى تنشأ بين الأب والرضيع قد جلب معه إدراك أنه يتم تربية الرضيع وتنشئتهم في أنساق اجتماعية معقدة يتضح من خلالها أنه من المحتمل لكل شخص أن يؤثر في غيره من الأشخاص ، وأنه من المحتمل أيضًا لكل علاقة تنشأ خلال هذا النسق

أو ذاك أن تؤثر في غيرها من العلاقات . ونتيجة لذلك ازداد الاهتمام بمدى تأثير علاقة الأب بالأم على الرضيع ، وبالعكس أى مدى تأثير الرضيع على علاقة الأب بالأم ، كما ازداد أيضًا الاهتمام بتلك الآثار المحتملة لذلك سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة على نمو الرضيع .

وسوف نتناول خلال الفصل الحالى كلاً من هذه الموضوعات . وسنبداً بمراجعة مختصرة للدراسات التى تناولت استجابات الأب لأطفاله الرضع فى الشهور الأولى من حياتهم وهو الموضوع الذى قام باركى وتنسلى Parke & Tinsley بتناوله بإسهاب والذى عرضنا له فى الفصل السابق . وسوف نقوم بعد ذلك بتناول تطور العلاقة بين الأب والرضيع مع تقييم لذلك الافتراض الذى يرى أن هناك سلمًا هرميًا لتفضيل الأشخاص الذين تنشأ بينهم وبين الرضيع علاقات والذى يتضح من خلاله تفضيل الرضيع للأم على الأب . أما فى القسم الثالث من هذا الفصل فسوف نعرض لأوجه التشابه والاختلاف بين سلوك كل من الأب والأم تجاه الرضيع كما يتضح من خلال الدراسات التى تناولت هذا الجانب . فى حين ينصب محور اهتمامنا فى القسم الرابع على تلك السمات التى تميز سلوك الأب تجاه الرضيع ، كما نتناول فيه أيضًا أثر الأب على النمو الاجتماعى للرضيع وعلى نمو شخصيته . أما فى القسم الأخير من الفصل الحالى فسوف نعرض لأنماط الآثار غير المباشرة للأب فى هذا الصدد .

حساسية الأب تجاه الرضيع :

أولى علماء نفس النمو اهتمامًا خاصًا لموضوع الحساسية Sensitivity أو مدى الاستجابة لتلك الإشارات التى تصدر عن الرضيع وذلك لعدة عقود . إلا أن الدراسات التى تناولت هذا الموضوع تعتبر دراسات ذات نوعيات مختلفة ، كما أن هذا المفهوم فى حد ذاته قد تم تناوله بعدة أساليب مختلفة . وربما تكون أفضل الصياغات فى هذا الصدد هى تلك التى إرتآها العلماء الذين تناولوا العلاقات بين الجماعات أمثال بولبى (١٩٦٩) Bowlby وإينسورث (١٩٧٣) Ainsworth ولام (١٩٧٨ - ج ، ١٩٨١) Lamb ولام وإيستبروكس (١٩٨١) Lamb & Easterbrooks الذين افترضوا أن الرضيع الإنسانى لديه الاستعداد البيولوجى لإصدار مختلف الإشارات كالصياح والابتسام على سبيل

المثال ، وأن الراشدين لديهم الاستعداد البيولوجي للاستجابة لتلك الإشارات . وعندما يقوم الراشدون بالاستجابة لهذه الإشارات التي تصدر عن الرضيع بشكل ثابت وفوري وبطريقة مناسبة يقوم الرضيع بالتالى بإدراك هؤلاء الراشدين على أنه يمكن التنبؤ بسلوكهم ، وأن سلوكهم هذا يتسم بالثبات ، وهو الإدراك الذى يؤكد على تكوين علاقات آمنة وقوية بين الأب والرضيع كما يرى إينسورث وآخرون (١٩٧٤) Ainsworth, et al. ولام (١٩٨١) Lamb . وعلى النقيض من ذلك نجد أنه عندما لا يقوم الراشدون بالاستجابة للإشارات التي تصدر عن الرضيع بالحساسية المطلوبة تنشأ بينه وبينهم علاقات غير آمنة أو قوية ، أما عندما تندر استجابتهم لتلك الإشارات فإن الرضيع لا يطور أى علاقة معهم على الإطلاق . وبذلك يتضح لنا أن تحديد ما إذا كان الأب يستجيب لطفله الرضيع بالشكل الملائم أم لا يعتبر أمرًا حاسمًا في هذا الصدد حيث أنه إذا لم يستجب الأب لطفله الرضيع بالشكل الملائم يقل احتمال تكوين أى علاقات بينهما إلى حده الأدنى .

وهناك سبب آخر يرتبط بذلك ويؤكد على أن إجراء البحوث عن حساسية الأب تجاه الرضيع يعتبر أمرًا له أهميته إذ يفترض العديد من المنظرين أمثال كلاوس وتروز وكنيل (١٩٧٥) Klaus, Trause & Kennell أن الاستعداد البيولوجي للاستجابة للإشارات التي تصدر عن الرضيع يكون أقوى لدى الإناث منه لدى الرجال . وهذا في الواقع يدل على أن الجانب البيولوجي يحد من احتمال قيام الرجال بتأثيرات مباشرة لها مغزاها على نمو الرضيع . إلا أن هذا الافتراض مبنى بدرجة كبيرة على تلك الأدلة التي ترتبط بتأثير الهرمونات على السلوك الوالدى بالنسبة للقوارض ، وقد يكون هذا النموذج الحيوانى غير مناسب في هذا المقام الحالى (Lamb & Goldberg, 1982) . ومع ذلك فإن الدلائل المختلفة تشير إلى أن مثل هذا الافتراض يستحق منا جل الاهتمام .

وفي واحدة من الدراسات المبكرة التي تقوم على المقابلة يرى جرينبرج وموريس (١٩٧٤) Greenberg & Morris أن غالبية الآباء قد أبهجهم وأسعدهم ميلاد أطفالهم الرضع وقد خبروا بالفعل انفعالات إيجابية قوية أسماها جرينبرج وموريس بالاستحواذ على الفكر أو الانتباه . engrossment وفي أول دراستين من تلك السلسلة من الدراسات

التي قام بإجرائها باركي Parke وزملائه (Parke O'Leary & West, 1972; Parke & O'Leary, 1976) واللتين عرضنا لهما في الفصل السابق تمت ملاحظة الآباء والأمهات في قسم الولادة بالمستشفى وهم يتفاعلون مع مواليدهم الجدد ؛ وعلى النقيض من تلك المفاهيم الخاطئة الشائعة بين الناس لم يكن الآباء غير بارعين في تفاعلهم مع مواليدهم الجدد ولا غير مهتمين بذلك . فقد أظهرت جميع المقاييس المستخدمة في الواقع باستثناء اثنين منها أن الآباء والأمهات كانوا يتساوون في انغماسهم في التفاعل مع مواليدهم الجدد . وبملاحظة كل من الوالدين على حدة في تفاعله مع الوليد الجديد ثم ملاحظته مرة أخرى وهو يتفاعل مع ذلك الوليد في وجود الوالد الآخر وجد باركي وزملاؤه أن الآباء كانوا أكثر تفاعلاً بعض الشيء مع مواليدهم الجدد في وجود زوجاتهم قياساً بتفاعلهم مع هؤلاء المواليد حينما لم تكن زوجاتهم موجودات معهم . ومن الصعب أن نجد تفسيراً لذلك خاصة وأن العديد من الدراسات الأخرى التي تناولت الوالدين وأطفال تتراوح أعمارهم بين أربعة أشهر حتى سن المدرسة قد أظهرت أن الوالدين يكونان أقل تفاعلاً مع الأطفال في المواقف الثلاثية أى التي تضم الأب والأم والطفل قياساً بالمواقف الثنائية أى التي تضم أحد الوالدين فقط والطفل (Lamb, 1979) .

ولم يول باركي Parke في دراساته التالية اهتماماً للأسلوب الودود الذي يسلك به الآباء تجاه أطفالهم الرضع فحسب ، بل أولى اهتمامه أيضاً إلى استجاباتهم السلوكية أو حساسيتهم ، أى بميلهم الطبيعي أو نزوعهم للإصغاء إلى تلك الإشارات التي تصدر عن أطفالهم الرضع والاهتمام بها وإصدار ما يناسبها من استجابات . وقد وجد فيليبس وباركي Phillips & Parke مثل ما وجد جليزون (Gleason ١٩٧٥) وبالاونت وبادجوج (Blount & Padgug ١٩٧٦) وكوفمان (Kauffman ١٩٧٧) وجولينكوف وأمير (Golinkoff & Ames ١٩٧٩) أن الآباء قد قاموا كالأمهات بعمل التوافقات اللازمة في أنماط حديثهم للرضع عند تفاعلهم معهم فتحدثوا إليهم ببطء أكثر واستخدموا عبارات أقصر ، وقاموا بتكرار كلامهم معهم قياساً بما يفعلونه عند تفاعلهم مع الراشدين . وعند ملاحظتهم في مواقف إرضاع الأطفال كان كل من الآباء والأمهات يستجيبون للإشارات التي تصدر عن الرضيع إما عن طريق إظهار التفاعل الاجتماعي

معه أو بتغيير معدل سرعة إرضاعهم له (Parke, & Sawin, 1977). وعلى الرغم من أنه كان بإمكان الآباء إظهار حساسيتهم للرضع في سلوكهم وتصرفاتهم تجاههم فقد مالوا إلى ترك مسئولية القيام بأنشطة العناية بالأطفال لزوجاتهم حينما لم يطلب منهم القائمون بمقابلتهم إظهار مدى كفاءتهم في القيام بذلك.

وقد قام كل من فيلدمان وناش Feldman & Nash من ناحية وفرودى ولام Frodi & Lamb من ناحية أخرى بإتباع أساليب وطرق بديلة لدراسة مدى الاستجابية الوالدية للإشارات التي تصدر عن الرضيع. فلاحظ فيلدمان وناش (١٩٧٧، ١٩٧٨، ١٩٨١) Feldman & Nash وفيلدمان وآخرون (١٩٧٧) Feldman, et al., الآباء بمفردهم وهم يجلسون في غرفة انتظار يوجد بها طفل مع أمه، وتمت بالتالى ملاحظة كلا الوالدين وهما يتفاعلا مع الطفل وذلك بواسطة باحثين غير ظاهرين لهما. وأوضحت تلك الدراسات أن الفروق بين الجنسين في مدى استجابتهم للرضع تزداد وتتقلص اعتمادًا على عمر الوالد ووضعه الاجتماعي، وأن الإناث كن أكثر استجابية من الذكور في مرحلة المراهقة المبكرة وفي الفترة الأولى التي يصبحن فيها أمهات، في حين لم توجد أى فروق دالة بين الجنسين وذلك بين الأطفال الذين تبلغ أعمارهم ثمانى سنوات، أو بين الأزواج الذين ليس لديهم أطفال، أو بين طلاب الجامعة غير المتزوجين. وانتهى فيلدمان وناش Feldman & Nash إلى أن الخبرة وليس الجانب البيولوجى هى المسئولة عن تحديد الفروق بين الجنسين في مدى استجابتهم للأطفال الرضع، ويصبح ذلك أكثر وضوحًا عندما يقع الأفراد تحت ضغط اجتماعى متزايد للاستجابة للرضع بطريقة تتسم بالتنميط الجنسى التقليدى. كما أوضحت النتائج أيضًا أنه عند الاستجابة لضغوط اجتماعية مفترضة تكون الأمهات أكثر استجابية لها من الآباء.

وعلى العكس من ذلك فلم توضح تلك الدراسات التى أجراها فرودى ولام Frodi & Lamb أى فروق بين الجنسين في استجابتهم للأطفال الرضع. ففى أول دراستين لهما أجرياهما مع غيرهما من الباحثين عام ١٩٧٨، اشترك فى الأولى معهما ليفيت ودونوفان Leavitt & Donovan واشترك إلى جانبهم الأربعة فى الثانية نيف وشيرى Neff & Sherry كانت الاستجابات النفسية الفسيولوجية كنبض القلب وضغط الدم

والتوصيل الكهربائي للجلد من جانب الأمهات والآباء قد تمت مراقبتها بواسطة جهاز مونيتر في الوقت الذي كان يقوم فيه الآباء بملاحظة أطفالهم الرضع في حالة سكونهم أو ابتسامهم أو صياحهم وذلك على جهاز مونيتر آخر للتلفزيون . وأوضح الآباء والأمهات صدور أنماط استجابات فسيولوجية معينة ومتميزة من جانبهم للأطفال الرضع دائمي الصياح والابتسام . ولم يتوصل فرودى ولام (Frodi & Lamb ١٩٧٨) إلى وجود أى فروق بين الجنسين في الاستجابات الفسيولوجية سواء بين الأطفال الذين يبلغون الثامنة من أعمارهم أو بين أولئك الذين يبلغون الرابعة عشرة ، في حين كانت البنات اللاتي تبلغن الرابعة عشرة يتفوقن على البنين في استجاباتهن السلوكية فيما يتعلق بموقف غرفة الانتظار المشابه لذلك الموقف الذي استخدمه فيلدمان Feldman . واتفاقاً مع فيلدمان وناش Feldman & Nash يرى فرودى ولام Frodi & Lamb أنه لا يوجد أساس بيولوجي للفروق بين الجنسين في مدى استجاباتهم للأطفال الرضع ، وأن الازدواج السلوكي لا يظهر إلا كاستجابة للضغوط والتوقعات المجتمعية .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات المتاحة حالياً والتي أمكن الحصول عليها . وعلى الرغم من تلك الحقيقة القائلة بأن الرجال يتساوون مع النساء في استجاباتهم للرضع فإن هذا لا يعنى إطلاقاً أن استجابية كل منهما تساوى استجابية الآخر بشكل يكاد يكون صورة طبق الأصل ، فالآباء لا يتسمون دائماً بارتفاع معدل استجابيتهم للأطفال الرضع ، وقد تختلف استجابيتهم اعتماداً على درجة تحملهم لمسئولية العناية بهؤلاء الرضع إذ أن خبرة العناية بالأطفال هذه يبدو أنها تسهل من حدوث الاستجابية الوالدية وتساعد عليها (Zelazo, et al., 1977) . وعلى الرغم من ذلك فإن العديد من الآباء يتسمون بمعدل كاف من الاستجابية لأطفالهم الرضع وذلك بدرجة تكفى لتكوين العلاقات بينهم شريطة أن يحدث قدر كاف من التفاعل بين الأب والرضيع .

مدى التفاعل بين الأب والرضيع :

حاول العديد من الباحثين تحديد كم الوقت الذي يقضيه الأب العادى مع طفله الرضيع . وكما كنا نتوقع تختلف التقديرات التى تتم في سبيل ذلك بدرجة كبيرة حتى عندما نتناول التراكيب الأسرية التقليدية التى تقوم فيها الأم طوال الوقت بمسئولية

أساسية في العناية بالأطفال ، أما الأب فيكون شغله الشاغل هو كسب العيش . ففى واحدة من الدراسات المبكرة فى هذا الجانب هى تلك التى أجراها بيدرسين وروبسون (١٩٦٩) Pedersen & Robson اتضح من خلال التقارير التى أوردتها الأمهات أن آباء الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ثمانية أشهر وتسعة أشهر ونصف كانوا يتواجدون بالمنزل ما بين خمس ساعات إلى سبع وأربعين ساعة أسبوعياً وذلك فى الأوقات التى كان فيها هؤلاء الرضع متيقظين . وكان متوسط المدة التى يقضيها الأب بالمنزل هو ست وعشرون ساعة . كذلك فإن الأب كما اتضح من خلال تلك التقارير كان يقضى ما بين خمس وأربعين دقيقة إلى ست وعشرين ساعة أسبوعياً فى تفاعل حقيقى مع أطفاله الرضع . ومن خلال المقابلات التى أجريت مع والدى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر وواحد وعشرين شهراً يرى كوتيلشوك (١٩٧٥) Kotelchuck أن الأمهات كن يقضين ما متوسطه تسع ساعات يقظة يومياً مع أطفالهن ، فى حين كان الآباء يقضون ٣,٢ ساعة يومياً فقط . أما الآباء والأمهات الذين قام جولينكوف وأميز (١٩٧٩) Golinkoff & Ames بمقابلتهم فقد قرروا أن الأمهات تقضين ٨,٣٣ ساعة يومياً مع الأطفال وأن الآباء يقضون ٣,١٦ ساعة فقط . وعلى العكس من ذلك فقد قرر الآباء الذين قام لويس ووينروب (١٩٧٤) Lewis & Weinraub بمقابلتهم أن الوقت الذى يقضونه مع أطفالهم يقل عن ذلك بكثير جداً حيث كان متوسط الوقت الذى يقضونه معهم يومياً يتراوح بين ربع إلى ثلث ساعة . ومن المحتمل أن يرجع الاختلاف بين هذه التقديرات إلى الفروق الاقتصادية والاجتماعية والفروق الثقافية بين أفراد العينات التى تمت ملاحظتها فى هذه الدراسات . كما أنها قد تختلف أيضاً اعتماداً على كم التشجيع والتأييد الذى يتلقاه الآباء إذ وجد ليند (١٩٧٤) Lind على سبيل المثال أن الآباء السويديين الذين تم تدريبهم على العناية بمواليدهم الجدد ، وتم تشجيعهم على القيام بذلك كانوا أكثر انغماساً فى حياة أطفالهم الرضع بعد ميلادهم بثلاثة أشهر . وترى مارتون وميند (١٩٨٠) Marton & Minde أنه عندما كان المواليد لا يزالون محجوزين بالمستشفى بسبب ولادتهم المبكرة كان معدل زيارة الأب لهم يتساوى مع معدل زيارة الأم لهم ، وهو ما يدل على وجود رغبة لدى كل منهما فى التفاعل مع هؤلاء المواليد الجدد . وأخيراً نلاحظ أنه من المهم بالنسبة لنا أن نميز بين الوقت الذى يقضيه الأب فى المنزل

والوقت الذى يقضيه فى التفاعل الحقيقى مع طفله إذ كانت الأمهات والأطفال الذين قامت كلارك - ستيوارت (١٩٧٣) Clark - Stewart بملاحظتهم يقضون تسعين فى المائة من الوقت المخصص لجلسات الملاحظة فى نفس الغرفة ، إلا أنهم كانوا يقضون ما بين ١٠٪ - ١٥٪ فقط من هذا الوقت فى تفاعل مع بعضهما البعض .

ويتفق غالبية الباحثين على أن الأب التقليدى يقضى وقتاً قليلاً نسبياً كل يوم فى تفاعل مع طفله الرضيع وذلك بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها . إلا أنه وعلى الرغم من أن الكثير من المنظرين يعتقدون أنه يجب أن يكون هناك على الأقل حد أدنى للتفاعل العادى بين الأب والرضيع وأن هذا الحد الأدنى للتفاعل يعتبر ضرورياً لتكوين الارتباط بين الأب والرضيع فلم يقوم أى منهم بتحديد الحد الأدنى من الوقت الذى يلزم لذلك . ومن غير المحتمل أن يكون مثل هذا التقدير ممكناً على الدوام إذا ما وضعنا فى اعتبارنا تلك الحقيقة التى ترى أن نوعية أو كيف التفاعل بين الأب والرضيع يبدو أنه على درجة من الأهمية أكبر من كم هذا التفاعل (e.g. Schaffer & Emerson, 1964) .

وعلاوة على ذلك فإن الدراسة التى أجراها شافر (١٩٦٣) Schaffer على الأطفال الرضع المحجوزين بالمستشفى قد كشفت عن أن كم وكيف التفاعل الاجتماعى بوجه عام قد يسهل من تكوين الروابط مع الآخرين بدلاً من تأثيره على مصادر الإشارة اللازمة لذلك . ومع هذا فمن المتصور أن كيف التفاعل بين الأم والرضيع قد يسهل من تكوين الارتباط بين الأب والرضيع ، كما قد يؤثر أيضاً على كم التفاعل اللازم لتكوين مثل هذا الارتباط . ويمكننا أن نقرر على أساس من الأدلة التى سنعرض لها فى القسم التالى من هذا الفصل أنه يجب أن يتوفر لغالبية الأطفال الرضع قدر كاف من هذا «الكيف» الخاص بالتفاعل مع آبائهم نظراً لأن غالبية هؤلاء الرضع يصبحون على ارتباط بآبائهم .

تطور التعلق والارتباط بين الأب والرضيع :

يمثل تشجيع الباحثين على دراسة التعلق والارتباط بين الأب والرضيع تحولاً أساسياً فى التوجه النظرى السائد فى هذا المجال إذ كان مفترضاً قبل نهايات العقد السادس من القرن الماضى أن الرضع يقومون بتكوين الارتباط فقط مع أولئك الذين

ينغمسون في العناية بهم بدنيًا ، إلا أن النتائج التي توصل إليها هارلو (Harlow ١٩٥٨) والتحول العام عن نظريات الدوافع الثانوية (e.g. Hinde, 1960) يمثل تحولاً من التركيز على العناية بالرضع إلى التركيز على كم وكيف الإثارة الاجتماعية التي تتوفر لهم (Rheingold, 1956; Berlyne, 1969; Welker, 1971). وقد بقي هذا التركيز من جانب الباحثين على تلك الإثارة سائدًا ، وكان العديد من المنظرين في غضون المحاولات التي تمت في سبيل تحديد ما يمثل تفاعلاً جيداً يدورون حول فكرة الحساسية الوالدية تجاه الرضيع التي عرضنا لها من قبل ، كما كانوا يلتفون حول نفس الفكرة أيضًا (Lamb & Easterbrooks, 1981). وفي الواقع لم يكن كل المنظرين يشاركوننا آراءنا حول طبيعة الحساسية الوالدية تجاه الرضيع ومغزاها ، إلا أن معظمهم كانوا يوافقون على أن مجرد كم التفاعل مع الرضيع يعتبر أقل في مغزاه من كيف هذا التفاعل .

ومن الجدير بالذكر أن شافر وأميرسون Schaffer & Emerson قد قاما في عام ١٩٦٤ بأول محاولة إمبريقية لتحديد ما إذا كان الأطفال الرضع يقومون بتكوين ارتباطات مع آبائهم ومتى يتم ذلك على الرغم من أن هذين الباحثين قد اعتمدا فقط في ذلك على التقارير الواردة من الأمهات . وقد قررت هؤلاء الأمهات أن أطفالهن الرضع قد بدأوا في الاحتجاج على الانفصال عنهن عندما كانت أعمارهم تتراوح بين سبعة إلى تسعة شهور ، كما أن معظم هؤلاء الأمهات قد قررن أيضًا أن أطفالهن قد احتجوا على انفصالهم عن آبائهم وهم في نفس هذه الأعمار تقريبًا . وفي حوالي الشهر الثامن عشر من أعمارهم كان ٧١٪ من الأطفال الرضع الممثلين لعينة الدراسة قد قاموا بتكوين ارتباطًا بكلا والديهم حيث أظهروا احتجاجًا على انفصالهم عن والديهم . وطبقًا لما يراه كل من شافر وأميرسون (١٩٦٤) Schaffer & Emerson فقد قام الأطفال الرضع بتكوين ارتباطات مع أولئك الذين كانوا يتفاعلون معهم بانتظام في حين بدا أن الانغماس في أنشطة العناية بهم لم يكن ذا دلالة في هذا الصدد .

ومن ناحية أخرى فقد اعتمد بيدرسين وروبسون (Pedersen & Robson ١٩٦٩) أيضًا على تقارير الأمهات على الرغم من أنها كانا يركزان في دراستهما التي نحن بصدد الحديث عنها الآن على الاستجابات المتعلقة بإعادة الاتحاد مع الوالد من جديد بعد

الانفصال عنه بدلاً من الاحتجاج الذى يتعلق ببداية الانفصال عنه . وقد قررت غالبية الأمهات وبلغت نسبتهن ٧٥٪ من إجمالى عدد الأمهات الممثلين لعينة الدراسة أن أطفالهن كانوا يبدون استجابة إيجابية وحاسية عندما كان آباؤهم يعودون من عملهم . وقد أدى هذا بكلا الباحثين إلى تقرير أن هؤلاء الرضع كانوا مرتبطين بآبائهم . كما لاحظا أيضًا أن مقدار السلوك الدال على التحية والترحيب بالأب عند رؤيته من جانب البنين الرضع وقوته كان يرتبط بتكرار قيام الأب بالعناية بهم ، وبصبره على ما يسببونه له من ضوضاء وإزعاج ، وبمقدار لعبه معهم . أما بالنسبة للبنات الرضيعات فقد كان مقدار السلوك الدال على التحية والترحيب بالأب من جانبهن وقوته يرتبط فقط بالتقارير الواردة عن إدراك الأب لرفاهيتهن أو سعادتهن .

ومن الملاحظ أن الدراسات التى تقوم على ملاحظة الارتباط بين الأب وطفله الرضيع قد بدأت فى عقد السبعينات وهو العقد الذى تميز بالتحول الكبير فى الدراسات من إجراء المقابلات إلى القيام بالملاحظة الدقيقة كمصدر أساسى للبيانات . فقام كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck فى دراسته للحصول على الدكتوراة بتطوير إجراء تجريبى يسمح له بملاحظة ردود الفعل من جانب الأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر السادس من أعمارهم وأقرانهم الذين يبلغون الشهر التاسع ، والشهر الثانى عشر ، والشهر الخامس عشر ، والشهر الثامن عشر ، والشهر الحادى والعشرين من أعمارهم لانفصا لهم لمدة قصيرة عن أمهاتهم ، فى مقابل انفصا لهم عن آبائهم لنفس المدة ، وانفصا لهم عن الغرباء لنفس المدة أيضًا .

وعلى الرغم من أنه لم يتمكن من الحصول على أى بيانات يمكن الاستفادة بها من الرضع الذين يبلغون الشهر السادس والشهر التاسع من أعمارهم ، وربما يرجع ذلك إلى أن استمرار فترات الملاحظة الثلاث عشرة والثى دامت كل منها ثلاث دقائق كان يسبب لهم الإرباك والإنهاك ، فقد اتضح مع ذلك أن الرضع الأكبر سنًا كانوا مرتبطين بكلا الوالدين . وقد أظهروا احتجاجًا كما كان متوقعًا عندما كان يتركهم أى من الوالدين بمفردهم ، وكانوا يقومون بالبحث بعض الشئ عن ذلك الوالد الذى تركهم ويقومون بإظهار التحية له والترحيب به بشكل إيجابى عندما يعود إليهم . فى حين أظهر عدد قليل

من هؤلاء الأطفال الرضع احتجاجًا على انفصالهم عن أى من الوالدين عندما كان الوالد الآخر لا يزال موجودًا معهم . وكان غالبية هؤلاء الرضع وبلغت نسبتهم ٥٥٪ من إجمالي عددهم الكلى يظهرون احتجاجًا على انفصالهم عن أمهاتهم ، وبالتالي كانوا يفضلونهن ، فى حين أبدى ٢٥٪ منهم تفضيلًا لآبائهم ، ولم يبد ٢٠٪ منهم تفضيلًا لأى من الوالدين . وقد قام كوتيلشوك Kotelchuck وزملاؤه بإجراء سلسلة من الدراسات (١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧) مستخدمين نفس الإجراء التجريبي الذى استخدمه فى دراسته للدكتوراه والذى أشرنا إليه سابقًا . وأكدت نتائج هذه الدراسة تلك النتائج التى توصل إليها من قبل . وإضافة إلى ذلك فقد توصل سبيلك وآخرون (١٩٧٣) Spelke, et al. إلى نفس النتيجة التى توصل إليها كوتيلشوك (١٩٧٢) Kotelchuck من أن هناك علاقة بين كم الاحتجاج على الانفصال الذى يصدر عن الرضيع نتيجة لانفصاله عن أبيه وبين درجة انغماس الأب فى أنشطة العناية بهذا الرضيع . ومع ذلك فقد أظهر بعض الأطفال الرضع أقل قدرًا من الاحتجاج على انفصالهم عن آبائهم الذين كانوا ينغمسون بدرجة كبيرة فى أنشطة العناية بهم وهو ما لم يكن متوقعًا . ومن ناحية أخرى فقد أدت أيضًا زيادة انغماس الأب فى أنشطة العناية بالرضيع إلى تأخير بداية الاحتجاج على الانفصال من جانب الرضيع . كما أوضحت النتائج أيضًا أن الأطفال الأمريكيين الرضع الذين يتصف آبائهم بدرجة عالية من التفاعل معهم قد احتجوا بشدة على انفصالهم عن كلا الوالدين عندما كانوا فى الشهر الخامس عشر والشهر الثامن عشر من أعمارهم (Spelke, et al., 1973). أما أطفال جواتيمالا الرضع الذين كان ينذر تفاعلهم مع آبائهم فقد أظهروا احتجاجًا على انفصالهم عن آبائهم فى الشهر التاسع من أعمارهم (Lester, et al., 1974) .

وبوجه عام فقط أظهرت البيانات التى قام كوتيلشوك Kotelchuck وزملاؤه بجمعها أن الأطفال الرضع الذين خبروا كمًا كبيرًا من التفاعل مع آبائهم قد بدأوا فى الاحتجاج على انفصالهم عنهم فى وقت متأخر عن أولئك الذين لم يكن آبائهم ينغمسون فى أنشطة العناية بهم ، وأن الشكل الذى ظهر به احتجاجهم على الانفصال عن آبائهم كان يدوم لفترة أقصر عندما كان انغماس الأب فى أنشطة العناية بهم يزداد . ومع ذلك فلا يزال ما تعنيه هذه البيانات غير واضح حيث تكشف الطبيعة

المتماثلة للارتباط بين مقاييس احتجاج الرضع على الانفصال عن الوالد ومقاييس الانغماس في أنشطة العناية بالرضع من جانب الوالد عن أن شدة الاحتجاج قد لا تكون مقياسًا جيدًا لشدة الارتباط بين الوالد والرضيع . ومما يقوى هذا التفسير أن هناك حقيقة تؤكد أن مقاييس الاحتجاج على الانفصال هذه قد تفشل في الكشف عن أى فروق يمكن أن تكشف عنها العديد من المقاييس الخاصة بحساسية الوالد تجاه الرضيع (e.g. Stayton, et al. 1973; Cohen & Campos, 1974) .

ومن ناحية ثانية فقد كشفت المقاييس الأخرى التى استخدمها كوتيلشوك Kotelchuck عن نتائج أمكن تفسيرها بدرجة كبيرة ، فأوضحت أن انخفاض معدل انغماس الأب في أنشطة العناية بالرضيع يرتبط بانخفاض معدل التفاعل بينه وبين الرضيع والبحث عن التقارب المكانى منه في المعمل من جانب الرضيع . ويرى زيلازو وآخرون (Zelazo, et al. ١٩٧٧) أنه عندما يزداد معدل انغماس الأب في أنشطة العناية بالرضيع في المنزل تحدث زيادة مماثلة في كم التفاعل بينه وبين الرضيع في المعمل . أما مقاييس الاحتجاج على الانفصال عن الوالد فلم تكشف عن وجود فروق دالة في هذا الصدد .

وكما فعل كوتيلشوك Kotelchuck وزملاؤه قام كوهين وكامبوس (١٩٧٤) Cohen & Campos بملاحظة استجابات الأطفال الرضع للانفصال لفترات قصيرة عن كل من والديهم على حدة ، كما قاموا أيضًا بتسجيل ودراسة ميول الأطفال الرضع ونزعاتهم الطبيعية للبحث عن الراحة عند الشخص الذى يبقى معهم بالمعمل سواء كان هذا الشخص هو الأب أو الأم أو حتى أحد الغرباء . ولم يميز الحزن الذى يبديه الرضيع نتيجة الانفصال الذى يتعرض له بين الأب والأم ، في حين أظهر هؤلاء الرضع الذين يبلغون الشهر العاشر والشهر الثالث عشر والشهر السادس عشر من أعمارهم على مقاييس كتكرار التقرب من الوالد ، وسرعته ، ووقت التقارب ، واستخدام الوالد كقاعدة الأمان التى ينطلق الرضيع منها في تفاعله مع الشخص الغريب تفضيلاً للأم على الأب ، إضافة إلى إظهارهم لتفضيلات واضحة للأب على الشخص الغريب . وتعارض مثل هذه النتيجة مع ما توصل إليه فيلدمان وإنجهام (Feldman & Ingham ١٩٧٥) ومع ما توصل إليه ويلمسين وآخرون (Willemssen, et al. ١٩٧٤) حيث لم تكشف

هاتان الدراستان الأخيرتان عن أى تفضيل من جانب الرضع لأى من الوالدين . ولم يجد لام (١٩٧٦ - ج) Lamb أيضًا في دراسته للأطفال الذين يبلغون الثانية من أعمارهم أى تفضيل من جانبهم لأى من والديهم وذلك على مقاييس الاحتجاج على الانفصال عن الوالد والسلوك الترحيبى .

وبدلاً من استخدام نموذج الانفصال عن الوالد وإعادة الاتصال معه من جديد Separation - reunion قام لويس Lewis وزملاؤه (١٩٧١، ١٩٧٢، ١٩٧٤) بملاحظة مجموعة من الأطفال الرضع يبلغون عامًا من أعمارهم ومجموعة أخرى يبلغ عمر أفرادها عامين وذلك خلال جلسات اللعب الحر التى تستمر كل منها لمدة خمس عشرة دقيقة بحيث يقضى الأطفال كل جلسة مع أحد الوالدين . وكشفت هذه السلسلة من الدراسات عن أن الأطفال الذين يبلغون عامًا من أعمارهم يقومون بلمس أمهاتهم ، والبقاء بالقرب منهن ، والتحدث إليهن وذلك بشكل يفوق ما يفعلونه مع آبائهم ، فى حين لم تتضح أى تفضيلات يمكن المقارنة بينها بالنسبة للأطفال الذين يبلغون العام الثانى من أعمارهم .

وقد بدا فى منتصف السبعينات تقريباً دليل ظاهرى على أن الأطفال يطورون من ارتباطهم بآبائهم خلال مرحلة المهد ، ومع ذلك فلا يزال السن الذى يقومون عنده بتكوين مثل هذه الارتباطات غير معروف على وجه التحديد حيث لا توجد أى بيانات متاحة تتعلق بالمرحلة العمرية التى تتراوح بين ستة إلى تسعة أشهر من العمر التى يقوم الرضع خلالها بتكوين ارتباطات مع أمهاتهم (Bowlby, 1969) . كذلك فلا يزال هناك خلاف يتعلق بوجود تفضيلات من جانب الأطفال الرضع لأمهاتهم على آبائهم إذ كشفت بعض الدراسات عن وجود مثل هذه التفضيلات فى حين كشفت دراسات أخرى عن عدم وجودها . كما أنه لا توجد بيانات متاحة تتعلق بالتفاعل بين الأب والرضيع فى البيئة المنزلية غير المتماسكة بدلاً مما هو متاح حالياً عن مثل هذا التفاعل بينهما فى المعمل .

وقد قمنا فى هذا السياق بإجراء دراسة طبيعية طويلة فى عام ١٩٧٤ عن الارتباط بين الأم والرضيع ومثيله بين الأب والرضيع . وكشفت الملاحظات المنزلية التى استمرت لفترة طويلة أن الأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر السابع من أعمارهم والذين يبلغون

الشهر الثامن ، والذين يبلغون الشهر الثاني عشر ، والذي يبلغون الشهر الثالث عشر من أعمارهم لم يظهروا تفضيلاً لأي من الوالدين على الآخر وذلك على مقاييس التعلق والسلوك الارتباطي ، وهى تلك المقاييس التى تتناول ميل الرضيع أو نزعته الطبيعية للبقاء بالقرب من أشخاص راشدين بعينهم ، وأن يلفت انتباههم ويتقرب إليهم ، ويقوم بلمسهم ، والصياح لهم ، ويطلب منهم أن يقوموا بحمله . فى حين كشفت هذه المقاييس عن وجود تفضيلات من جانب هؤلاء الرضع لوالديهم على شخص راشد غير مألوف نسبياً لهم (Lamb, 1976b, 1977c) . ولم تكشف مقاييس الاحتجاج على الانفصال عن الوالد ومقاييس السلوك الترحيبي عن أى تفضيل من جانب هؤلاء الرضع لأى من والديهم (Lamb, 1976b) . ومع هذا فقد تغير الموقف خلال العام الثانى من حياة هؤلاء الرضع إذ بدأ البنون فى إظهار تفضيلات دالة لآبائهم على مقاييس التعلق والسلوك الارتباطي ، فى حين لم تظهر البنات كمجموعة أى تفضيل دال أو ثابت لأى من الوالدين (Lamb, 1977a) . وفى نهاية العام الثانى أظهر ثمانية أولاد من إجمالى عدد البنين الذى كان يبلغ تسعة أظهروا تفضيلات ثابتة لآبائهم وذلك على أربعة من مقاييس التعلق والسلوك الارتباطي الخمسة التى تم استخدامها (Lamb, 1977b) .

وتوضح نتائج هذه الدراسة الطولية أن غالبية الأطفال الرضع قد قاموا بتكوين ارتباطات مع كلا الوالدين فى نفس الوقت تقريباً ، وأنه فى نهاية العام الثانى من العمر فضل البنون التفاعل مع آبائهم . ويتدقق النظر فى هذه النتائج يتضح أنها تختلف مع ما يراه باولبى (1969) Bowlby من وجود سلم متدرج للتفضيل بين الأشخاص الذين يقيم الرضيع معهم ارتباطات ، وأن الشخص الذى يعتبر هو القائم الأساسى على العناية بالرضيع يكون عادة هو الشخص المفضل من جانب هذا الرضيع ليقيم معه الارتباطات . ومع هذا فلم تكن البيانات التى قمنا بجمعها مناسبة فى الواقع لاختبار صحة هذا الفرض . إلا أنه وطبقاً لنظرية التعلق فإن التفضيل بين الأشخاص الذين يقيم معهم الرضيع ارتباطات قد لا يكون واضحاً فى مواقف التوتر أو تلك التى لا تفرض فيها أى قيود عليه حيث لا يكون الرضيع فى حاجة للحصول على العون والمساعدة من الأشخاص الذين يقيم معهم ارتباطات أو أنه لا يكون فى حاجة إلى حمايتهم . وفى ظل

التوتر الذى يتعرض له الرضيع فإنه يتجنب التواد إلى أى أشخاص غير أولئك الذين يقيمون معه ارتباطات ، كما يقوم بتركيز سلوكه الارتباطى وحصره أو تضيق نطاقه على أولئك الأشخاص الذين يقيمون معه ارتباطات أولية .

وفى الواقع فقد تمت أيضًا ملاحظة الأطفال الرضع الذين كانوا يمثلون عينة الدراسة الطولية التى قمنا بإجرائها وهم فى المعمل وذلك فى مواقف تتسم بدرجة كبيرة من التوتر عندما كانوا يبلغون ثمانية أشهر من العمر ، ثم اثنى عشر شهرًا ، ثم ثمانية عشر شهرًا (Lamb, 1976, a, d, f) فكانت نتائج ملاحظتهم فى الشهر الثانى عشر والشهر الثامن عشر نتائج قاطعة ، كما كانت تتفق مع ما يراه باولبى Bowlby أما فى مواقف التوتر وتلك التى لا تفرض فيها على الرضيع أى قيود فكان سلوك الرضع خلالها يتشابه بدرجة كبيرة مع سلوكهم فى المنزل ، ولم تظهر مقاييس التعلق والسلوك الارتباطى أى تفضيل دال من جانبهم لأى من والديهم على الرغم من وجود قدر كبير من التفاعل مع آبائهم يدل على التواد . وعندما كان هؤلاء الرضع يتعرضون لأى موقف من مواقف التوتر كان معدل تكرار سلوكهم الارتباطى يزداد ، كما كانوا يقومون بتنظيم سلوكهم حول الوالد الذى يكون موجودًا أمامهم فى ذلك الوقت وذلك بطريقة متشابهة سواء كان هذا الوالد هو الأب أو الأم . أما عندما يتواجد كلا الوالدين أمامهم فى نفس الوقت فإنهم كانوا يفضلون اللجوء إلى أمهاتهم (Lamb, 1976a, 1976f) . ولكنهم مع ذلك لم يظهروا تفضيلًا لأى من الوالدين فى سن ثمانية أشهر (Lamb, 1976d) وهو نفس ما فعلته عينة من الرضع يبلغ عمر أفرادها أربعة وعشرين شهرًا من العمر (Lamb, 1976c) . ولم يتضح وجود سلم للتفضيل بين الأشخاص الذين يرتبط الرضع بهم فى واقع الأمر إلا خلال فترة قصيرة نسبيًا . ومع هذا فقد أظهر البنون أيضًا تفضيلًا قويًا لأبائهم أثناء وجودهم بالمنزل خلال الفترة التى فضلوا فيها اللجوء إلى الأم عندما كانوا يتعرضون لموقف من مواقف التوتر . وهذا يدل على أن الأم لا تزال تمثل أهم وأكثر مصادر العون والراحة والأمان التى يعول عليها الرضيع حتى عندما يصبح الأب بمثابة الشريك الذى يرغب ذلك الرضيع كثيرًا فى التفاعل معه أثناء اللعب .

ومن الملاحظ أن تأثير مواقف التوتر التي يتعرض لها الأطفال الرضع على إظهارهم للتفضيلات المختلفة قد يساعدنا في تفسير بعض الاختلافات في نتائج كثير من الدراسات التي عرضنا لها من قبل ، فالأمهات اللائي تعتبرن هن القائئات أساساً على العناية بالرضع يصبحن بمثابة الأشخاص الذين يقيم معهم معظم الرضع الارتباطات الأولية أو الأساسية ، إلا أن تفضيلهم هن قد لا يكون ظاهرًا إذا لم يتعرض هؤلاء الرضع لموقف من مواقف التوتر . ومن الأقل احتمالاً بالنسبة لتلك الدراسات التي لا يتعرض فيها الرضع لموقف من مواقف التوتر أو لا يستطيعون فيها الاختيار بين أحد الوالدين حينما يتعرضون لأحد مواقف التوتر أن تكشف النقاب عن تلك التفضيلات التي يبدونها هؤلاء الرضع لأحد الوالدين وذلك قياساً بالدراسات التي يستطيعون فيها حال تعرضهم لموقف من مواقف التوتر أن يختاروا بين أحد المصدرين الأساسيين للعون والراحة والأمان أى بين الوالدين .

ومن ناحية أخرى فإن نتائج الدراسات التي تتناول تطور التعلق من جانب الأطفال الرضع بوالديهم وتفضيلاتهم الوالدية تؤكد على العديد من الأمور المنهجية الهامة التي تتعلق بتقييم العلاقات الاجتماعية . فعن طريق إتباع خطوات باولبي (Bowlby ١٩٦٩) يمكننا أن نبين وجود فروق بين أنماط السلوك الدالة على التواد affiliative كالاتسام والتحدث إلى شخص مثل آخر مثلاً وبين أنماط السلوك الارتباطى الدالة على التعلق كالصياح وطلب الطفل أن يحمله شخص ما . فتظهر الأولى في مواقف التفاعل الودود مع الأفراد سواء كان الرضيع يرتبط بهم أم لا ، بينما نجد أن الثانية والتي تستخدم بشكل مباشر في دعم التقارب المكانى بين الرضيع وغيره من الأشخاص الراشدين والاتصال بينه وبينهم فتركز بشكل ضئيل نسبياً على الأشخاص الذين يقيم معهم الرضيع الارتباطات .

ولا يمكننا في الواقع تحديد ما إذا كان الرضيع يرتبط بشخص ما أم لا ، وما إذا كان يوجد هناك سلم متدرج للتفضيل بين الأشخاص المتعددين الذين يقيم معهم الرضيع الارتباطات إلا بتفحص مدى تكرار أنماط السلوك الارتباطى الدالة على التعلق التي يأتى بها الرضيع . ومع ذلك يجب أن نتوخى الحذر حتى عندما نعتمد أساساً في ذلك على مقاييس السلوك الارتباطى الدالة على التعلق حيث من المعروف أن الأطفال الرضع

عندما يتعرضون لموقف من مواقف التوتر ولا يوجد أمامهم أى شخص ممن يقيمون معهم الارتباطات فإنهم سوف يبحثون عن العون والمساعدة من أشخاص لا يقيمون معهم فى الواقع أى ارتباطات (Bowlby, 1969). وعلى ذلك يجب أن نقيم الدليل على وجود تفضيلات حقيقية بيديها الرضع لشخص يفترض أن يقيمون معه الارتباطات وذلك على شخص آخر يظهر لهم الود ولكنه غير مألوف بالنسبة لهم (Cohen, 1974).

وتوضح مقاييس السلوك الارتباطى الدالة على التعلق أن الرضع يرتبطون بكلا الوالدين و يقيمون معهم العلاقات (e.g. Lamb, 1977c) وأنهم يفضلون أمهاتهم حينما يتعرضون لموقف من مواقف التوتر (Lamb, 1976a,f) بينما تميل مقاييس السلوك الدال على التواد إلى إظهار تفضيلات الرضع للآباء خلال العامين الأولين من حياتهم . ويبدو أن تلك التفضيلات التى تظهرها هذه المقاييس أى مقاييس السلوك الدال على التواد ترجع إلى الجدة Novelty النسبية للأب حيث لا يتواجد بالمنزل معظم اليوم ، كما قد ترجع أيضًا إلى حقيقة أن الأب نفسه يظهر فى تفاعله مع أطفاله الرضع مزيدًا من التفاعل الدال على التواد قياسًا بالأم (Clarke - Stewart, 1978; Lamb, 1977a,c).

وأخيرًا نلاحظ أنه من الطريف أن بعض الأطفال الرضع يتعلمون استخدام كلمات مثل «بابا» أو «دادي» أو «بابى» وغيرها ويطلقونها على آبائهم وذلك فى وقت مبكر عن ذلك الوقت الذى يستخدمون فيه كلمات مشابهة يطلقونها على أمهاتهم (Brooks - Gun & Lewis, 1979). إلا أن الأمر قد يختلف عن ذلك الشئ فيما يتعلق بتكوين الارتباطات من جانب الرضيع مع الوالدين وتفضيلاته الوالدية وذلك عندما تتبدل الأدوار الوالدية أو عندما يغيب الأب عن المنزل لأى سبب .

السمات المميزة لتفاعل كل من الأم والأب مع الرضيع :

من الجدير بالذكر أن الأدلة المتاحة حاليًا على قيام معظم الأطفال الرضع بتكوين الارتباطات مع آبائهم إضافة إلى قيامهم بتكوين ارتباطات مماثلة مع أمهاتهم ليست كافية بالدرجة التى تمكننا من إثبات أن الأب يلعب دورًا بنائيًا له دلالاته ومغزاه فى النمو الاجتماعى للرضيع حيث يمكن القول أن الأب يلعب دورًا إضافيًا فى الأساس فى هذا

الصدد إذ عادة ما يعمل كبديل للأم ، ولكنه مع ذلك له قدر ضئيل من التأثير المستقل على نمو الرضيع . وقد أدى هذا الاحتمال في الواقع إلى إثارة اهتمام الباحثين لإجراء العديد من البحوث التي تهدف في الأساس إلى التحقق مما إذا كان كل من الآباء والأمهات يمثلون أنماطًا مختلفة من الخبرات بالنسبة لأطفالهم الرضع أم لا . وقد كشفت نتائج الدراسات عن أن هذا هو ما يحدث بالفعل إذ يمثل كلاهما نمطًا مختلفًا من الخبرات لهم .

وفي حقيقة الأمر يبدو أن الآباء والأمهات حتى في الشهور الثلاثة الأولى من حياة أطفالهم يقومون بأنماط مختلفة من التفاعلات مع هؤلاء الأطفال الرضع حيث نجد على سبيل المثال أن الآباء يميلون إلى القيام بنوبات متقطعة من الإثارة الاجتماعية والجسمية للرضيع ، في حين تميل الأمهات إلى الإثارة الأكثر إيقاعًا - أي التي تتكرر على نحو منتظم - والأكثر شمولًا وذلك عند تسجيل تفاعلات المواجهة التي جمعت كل من الآباء والأمهات على حدة مع الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين أسبوعين فقط وخمسة وعشرين أسبوعًا وذلك على شريط فيديو (Yogman, et al., 1977) . وكانت الأمهات أيضًا تخاطبن أطفالهن الرضع بأصوات رقيقة تقوم على المحاكاة وتسم بالتكرار ، بينما كان يقوم الآباء بالربت على هؤلاء الرضع بشكل منتظم (Yogman, et al., 1977) . كما كانت الأمهات تقمن خلال زيارتهن لأطفالهن المتسرين الذين تم حجزهم بالمستشفى بالاستجابة لتلك الإشارات الاجتماعية التي تصدر عنهم ، في حين كان يقوم الآباء بالاستجابة لإشارتهم الحركية الكلية . وهو ما يؤكد على اختلاف أنماط تفاعلات الوالدين معهم (Marton & Minde, 1980) .

وغالبًا ما يبدى الأطفال الرضع الأكبر سنًا عدم رغبة في الجلوس في مقاعد أو عربات الأطفال للمشاركة في تفاعلات مع والديهم تقوم على المواجهة ، ولذلك فإن غالبية البيانات التي تتعلق بالسماح للميزة لتفاعل الوالد مع طفله الرضيع قد تم جمعها من خلال الملاحظات الطبيعية لمثل هذا التفاعل في المنزل . هذا وقد وجدنا في الدراسة الطولية التي قمنا بإجرائها والتي أشرنا إليها سابقًا أن الآباء يميلون إلى الاشتراك في الألعاب التي تعتمد على الإثارة الجسمية والألعاب التي لا يمكن التنبؤ بها أو التي تعتمد على خصوصية بنية أو مزاج الطفل وذلك بشكل يفوق ما تفعله الأمهات

(Lamb, 1976b, 1977c). ونظرًا لأن مثل هذه الأنماط من اللعب تثير استجابات أكثر إيجابية من جانب الرضيع فإن الاستجابة العادية للعرض الذى يقدمه الأب للرضيع للعب معه كانت أكثر إيجابية من مثيلتها التى تتعلق بمثل هذا العرض من جانب الأم . وفى حين يؤكد باور وباركى (Power & Parke ١٩٧٩) وكلارك - ستewart (١٩٧٨) Clarke - Stewart أن الآباء والأمهات يقومون بأنماط مختلفة من اللعب مع الأطفال الرضع ، فإن بيلسكى (١٩٧٩) Belsky لم يجد أى فروق دالة بينهما فى هذا الصدد . ونظرًا لأنه قد استخدم مجموعة مختلفة من المبادئ والقواعد فى تلك الملاحظة التى قام بها ، وقام بدراسة مجموعة من الأطفال الرضع الأكبر سنًا يصبح من غير الممكن أن نقوم بإجراء مقارنة بين ما توصل إليه من نتائج وبين تلك النتائج التى تناولناها من قبل والتى كشفت عنها دراسات أخرى .

وعند قيامنا بدراسة الأسباب التى يقوم من أجلها كل من الآباء والأمهات بالتقاط أطفالهم الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين سبعة شهور وثلاثة عشر شهرًا وحملهم وجدنا أنه كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للأمهات أن يحملن أطفالهن الرضع فى غضون قيامهن بالعباية بهم ، فى حين كان من الأكثر احتمالاً بالنسبة للآباء أن يقوموا بحملهم للعب معهم أو كاستجابة لطلب هؤلاء الرضع منهم أن يقوموا بحملهم (Lamb, 1976c, 1977c). وقد توصل بيلسكى (١٩٧٩) Belsky إلى نفس هذه النتائج . ولم يكن من المدهش بناء على ذلك أن نجد أن الأطفال الرضع يستجيبون بشكل أكثر إيجابية لحمل آبائهم لهم قياسًا باستجاباتهم لحمل أمهاتهم لهم (Lamb, 1976a, 1977).

وتؤكد البيانات التى تم جمعها عن طريق المقابلات أن الآباء يتميزون بالتفاعلات التى تحدث أثناء اللعب مع الرضع فى حين ترتبط الأمهات بعنايتهن بهم . وطبقًا لما يراه كوتيلشوك (Kotelchuck ١٩٧٥) فإن الأم تقضى ١,٤٥ ساعة يوميًا فى المتوسط فى إرضاع طفلها الذى يتراوح عمره بين ستة أشهر وواحد وعشرين شهرًا ، فى حين يقضى الأب حوالى ربع ساعة فقط فى المتوسط فى إرضاعه . كما تقضى الأم خمسًا وخمسين دقيقة يوميًا فى تنظيفه ، إضافة إلى ٢,٣ ساعة فى اللعب معهم وذلك فى مقابل تسع دقائق من جانب الأب فى تنظيف هذا الرضيع ، إضافة إلى ١,٢ ساعة فى اللعب معه .

وبذلك فإن الأمهات تقضين نسبة أكبر من تفاعلهن مع أطفالهن الرضع في العناية بهم ، بينما يقضى الآباء نسبة أكبر من تفاعلهم معهم في تفاعل اجتماعي يقوم على اللعب .

وفيما يتعلق بالمقدار الكلي للتفاعل ترى كلارك - ستوارت (Clarck-Stewart ١٩٧٨) أن الآباء يتميزون بانغماسهم بشكل ثابت في اللعب مع أطفالهم الرضع ، وأن انغماسهم النسبي في القيام بأنشطة العناية بالأطفال يزداد مع الوقت . وعلى الرغم من أن رندينا وديكرشيد (Rendina & Dickercheid ١٩٧٦) لم يقوموا بدراسة سلوك الأم مما جعل من غير الممكن بالنسبة لهما أن يقوموا بإجراء المقارنة بين سلوك الأم وسلوك الأب فإنه يتضح أن الأب يقضى غالبية وقته في تفاعل مع طفله يقوم على اللعب ، ولا يقضى في المقابل سوى ٣,٨ ٪ فقط في المتوسط في القيام بأنشطة العناية بالطفل . وفي دراستهم للأسر الإنجليزية توصل ريتشاردز وآخرون (Richards, et al. ١٩٧٥) من خلال مقابلاتهم التي أجروها مع الأمهات إلى نفس هذه النتائج فوجدوا أن التفاعل الشائع بين الأب والرضيع في تسعين في المائة من الأسر التي قاموا بدراستها عندما كان عمر الرضيع ثلاثين أسبوعًا وعندما كان عمره ستين أسبوعًا يتمثل في اللعب ، ونادرًا ما كان يحدث الانغماس الروتيني للأب في أنشطة العناية بالرضيع حيث وجد هؤلاء الباحثون أن ٣٥ ٪ فقط من الآباء الذين شملتهم عينة الدراسة كانوا يقوموا بإرضاع أطفالهم بانتظام عندما كان عمر هؤلاء الرضع ثلاثين أسبوعًا ، وأن ٤٦ ٪ منهم كانوا يقومون بذلك عندما كان عمر أطفالهم الرضع ستين أسبوعًا . ومن ناحية أخرى كان قيام الأب بتغيير الحفاض (البامبرز) للرضيع والقيام بتحميمه يمثل أقل أنشطته شيوعًا في مجال العناية بالطفل . ومع ذلك فقد وجدت مارتون وميند (Marton & Minde ١٩٨٠) أن آباء الرضع الذين تمت ولادتهم قبل مرور تسعة أشهر من بداية الحمل كانوا أكثر انغماسًا في أنشطة العناية بهم قياسًا بآباء الرضع الذين تمت ولادتهم بعد مدة حمل كاملة .

وترى كلارك - ستوارت (Clarck-Stewart) في دراستها الطولية التي استمرت من ١٩٧٨ - ١٩٨٠ على عينة صغيرة من الأطفال الرضع قوامها أربعة عشر طفلاً تراوحت أعمارهم بين خمسة عشر شهرًا وثلاثين شهرًا أن الأب يعتبر أكثر انغماسًا في اللعب مع الرضيع . وأظهرت هذه الدراسة أيضًا أنه يقوم بإعطاء التوجيهات اللفظية ويقوم

بالتعزيز الإيجابي للطفل بشكل يفوق ما تقوم به الأم ، كما أن لديه قدرة تفوق الأم على الانغماس في اللعب مع الأطفال الرضع . ومن جانبهم فقد أظهر الأطفال الرضع البهجة وقاموا بالانغماس في اللعب مع الأب بشكل يفوق ما فعلوه مع الأم . هذا ولم يتضح وجود أى فروق دالة بين الوالدين في مدى استجابتهم للأطفال الرضع . وعند اختيار أحد الأنشطة من جانب كلا الوالدين كجزء من مهمة معملية ليشاركوا أطفالهم الرضع فيه مالت الأمهات إلى اختيار الأنشطة العقلية بينما اختار الآباء أنشطة اللعب الجسمية الاجتماعية . وبالنظر إلى ذلك اللعب الذى يشغل كثيرًا من التفاعل بين الأب والرضيع يتضح أن الرضع الأقل عمرًا يفضلون القيام باللعب مع الأب عندما تتاح لهم فرصة الاختيار (Clarck-Stewart, 1978; Lamb, 1976c, 1977c; Lynn & Cross, 1974) .

وتدل المذكرات اليومية التى أدلت بها أمهات الأطفال الرضع الذين أجرت كلارك - ستewart (١٩٧٨) Clarck-Stewart عليهم دراستها وجود تغيرات هامة ترتبط بالعمر لم تتوصل إليها الدراسات الأخرى . ففى سن خمسة عشر شهرًا من عمر الطفل يزداد انغماس الأم في اللعب معه بشكل يفوق ما يفعله الأب ، وفى سن عشرين شهرًا من عمره يتساوى الوقت الذى يقضيه كل من الأب والأم في اللعب معه ، أما فى سن ثلاثين شهرًا من عمر الطفل يقضى الأب في اللعب معه وقتًا أطول مما تقضيه الأم . كما أن هناك أيضًا تغيرًا فى المسئولية النسبية عن العناية بالطفل يرتبط بعمره الزمنى حيث تقضى الأم فى سن خمسة عشر شهرًا من عمر طفلها وقتًا أطول من الأب بكثير فى العناية به ، أما فى سن ثلاثين شهرًا فيتساوى مقدار الوقت الذى يكرسه كلا الوالدين للعناية به .

ومن ناحية أخرى يرى بيدرسين وآخرون (١٩٨٢) Pedersen, et al. أن أنماط انغماس كلا الوالدين مع الطفل قد تختلف إذا ما كان كلاهما يعمل طوال الوقت على مدى اليوم إذ وجدوا أن الأمهات العاملات تقمن بإثارة أطفالهن الرضع بشكل يفوق ما تفعله قريناتهن غير العاملات ، كما كن أكثر فاعلية فى تفاعلهن مع أطفالهن قياسًا بأزواجهن . وطبقًا لنتائج هذه الدراسة كان الآباء المتزوجون من نساء غير عاملات يلعبون مع أطفالهم الرضع أكثر مما تلعب أمهاتهم معهم ، ويختلف هذا النمط تمامًا فى الأسر التى تعتبر الأم فيها من النساء العاملات حيث يظهر نمط عكسى لذلك . أما مسئولية الأم

عن العناية بالطفل فلم تختلف بالنسبة للأمهات العاملات والأمهات غير العاملات . وهذا بطبيعة الحال يناقض ما يراه هوفمان (١٩٧٧) Hoffman من أن معدل انغماس الأب في أنشطة العناية بالطفل يزداد إذا كانت الأم من النساء العاملات .

ولا يوجد للآن دليل مادي متاح يتعلق بوجود أصول لأنماط أو أساليب لعب كل من الأب والأم مع الطفل . إلا أن برازيلتون Brazelton وزملاءه (١٩٧٩) يرون أن هذه الأساليب تعكس فروقاً محددة بيولوجياً ، ونظراً لأن الأطفال الرضع الأقل سنًا يتوقعون بشكل فطري أن يتصرف كل من آبائهم وأمهم بطريقة مختلفة فإن هؤلاء الرضع يسلكون بالتالي أساليب تنتزع السلوك الأبوي الملائم من آبائهم الذين يقومون بدور أساسى في أنشطة العناية بهم . وقد يكون هذا هو الثابت أيضاً فيما يتعلق بحقيقة أن مدى اللعب يعتبر أيضاً سمة مميزة للعلاقة بين الأب والصغير بالنسبة للقرود (Zucker, et al. 1978) . ويبدو أن ذلك يعتبر غير محتمل نظراً لأنه ينسب إلى الطفل الرضيع الأصغر سنًا قدرات معرفة وإدراكية أكبر مما يوجد لديه في الواقع (Lamb & Sherrod, 1981) إلا أنه يبدو من الأكثر احتمالاً أن الأساليب التى تميز كلاً من الأب والأم تعتبر نتاجاً لأدوار محددة اجتماعياً يضطلع بها الآباء والأمهات فى الأسر التقليدية . ومع ذلك فلا يوجد سوى دراسة واحدة فقط هى التى قامت بإجراء المقارنة بين سلوك الآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالطفل والآباء الذين يقومون بدور ثانوى فى هذا الصدد هى تلك الدراسة التى أجراها فيلد (١٩٧٨) Field . وطبقاً لما يراه فيلد فإن الآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالطفل يسلكون بطريقة أكثر شبهاً بالأمهات عند مقارنتهم بالآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالأطفال . وكان من الملاحظ أيضاً أن التفاعلات غير الكابحة للعواطف وتلك التى تقوم على اللعب كانت أكثر شيوعاً بين الآباء بغض النظر عن مقدار المسئولية التى يضطلعون بها فى العناية بالأطفال .

وقد قمنا بالاشتراك مع فرودى وهوانج وفرودى Frodi, Hwang & Frodi بإجراء دراسة طويلة عن الآباء الذين يقومون بدور أساسى فى العناية بالأطفال وأقرانهم الذين يقومون بدور ثانوى وذلك بغرض تحديد دور الجنس البيولوجى والدور الاجتماعى فى التمييز بين أساليب الآباء والأمهات فى تفاعلهم مع الأطفال الرضع .

وأوضحت الملاحظات الطبيعية للأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاثة شهور وثمانية شهور إضافة إلى والديهم أن جنس الوالد يعتبر محددًا للسلوك الوالدى بدرجة تفوق نمط الأسرة .

ومهما كانت النتائج التى كشفت عنها هذه الدراسة فإنه يتضح أن الأمهات والآباء يمثلون بوجه عام أنماطًا مختلفة من الخبرات بالنسبة لأطفالهم الرضع . وتزيد هذه الحقيقة من احتمال أن يكون لكلا الوالدين آثار مستقلة وذات مغزى على نمو الرضيع إضافة إلى آثارهما المتداخلة فى هذا الصدد .

أثر الأب على النمو الاجتماعى للرضيع ونمو شخصيته :

من الجدير بالذكر أن الباحثين قد قاموا فى هذا المجال بالتركيز على السؤالين التاليين :

- ١ - هل يقوم الأطفال الرضع بتكوين ارتباطات مع آبائهم ؟
- ٢ - هل تختلف علاقة كل من الأب والأم مع الرضيع بأى شكل ؟

ونظرًا لذلك فلم تتم سوى محاولات قليلة نسبيًا فقط بغرض تحديد الكيفية التى يستطيع الأب بمقتضاها أن يسهم فى النمو الاجتماعى للرضيع . ومع هذا فهناك قدر كبير مما كتب حول إسهام الأب فى نمو الدور الجنسى للأطفال وهويتهم الجنسية وخاصة بالنسبة للبنين (Lamb & Lamb, 1976; Lamb & Stevenson, 1978; Parke, 1979) وربما ينبع ذلك فى الأساس من الافتراض العام الذى يرى أن الأب يؤثر فى هذا الجانب من جوانب النمو لدى الأطفال الأكبر سنًا .

وعلى الرغم من أننا نجد أن كلا من الآباء والأمهات يفضلون أن يكون أبنائهم من البنين فإن هذا التفضيل يزداد بين الآباء (e.g. Arnold, et al. 1975; Hoffman, 1977) . وقد لا يكون من المدهش مع ذلك أن نجد أن الآباء يفضلون القيام بالتفاعل مع البنين حتى بعد ميلادهم بفترة قصيرة إذ وجد باركى وأوليرى (١٩٧٥) Parke & Q'Leary أن الآباء يقومون بالتحدث إلى أطفالهم البنين ذوى الترتيب الميلادى الأول ، كما يقومون بلمسهم والاستجابة لهم بشكل أكثر تكرارًا مما يفعلونه مع بناتهم من ذوات الترتيب الميلادى الأول . وفى دراسة تالية أجريت على الرضع فى سن ثلاثة أسابيع وفى سن ثلاثة

أشهر وجد باركى وساوين (1975) Parke & Sawin أن الآباء ينظرون إلى البنين أكثر مما ينظرون إلى البنات ، كما يقومون بإثارتهم عن طريق اللمس وبصريًا أكثر مما يفعلون مع البنات أيضًا . أما الأمهات فقد كن على التقيض من ذلك يقمن بإثارة البنات أكثر من البنين . ووجد وينروب وفرانكيل (1977) Weinraub & Frankel تفضيلات مشابهة من جانب الوالدين للأطفال الرضع الأكبر سنًا من الجنسين ، ووجد باركى وساوين (1980) Parke & Sawin أنه كان من الأكثر احتمالًا بالنسبة للآباء أن يقوموا بتغيير الحفاض (البامبرز) لأطفالهم الرضع من البنين الذين يبلغون ثلاثة أشهر من العمر وإطعامهم أكثر مما يفعلون مع البنات في نفس العمر . ويرى كل من رندينا وديكرشيد (1976) Rendina & Dickercheid أن الآباء يقومون بملاحظة البنين أكثر من البنات وذلك بين الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين ستة أشهر وثلاثة عشر شهرًا وهو نفس ما لاحظته جيويرتز وجيويرتز (1968) Gewritz & Gewritz بالنسبة للآباء الإسرائيليين وأطفالهم الرضع من الجنسين الذين يبلغون أربعة أشهر من العمر .

ومن الملاحظ أن اختلاف معاملة الوالدين للأطفال باختلاف جنس هؤلاء الأطفال تبدأ في الزيادة خلال العام الثانى من عمرهم إذ أن بعض الدراسات التى كشفت عن عدم وجود اختلاف في معاملة الوالدين والأطفال باختلاف الجنس خلال العام الأول من حياتهم قد كشفت عن وجود فروق جوهرية في هذه المعاملة بعد ذلك (e.g. Lamb, 1977b) فأوضحت أن الآباء يقومون بالتحدث إلى أطفالهم البنين أكثر مما يفعلون مع البنات خلال العام الثانى من حياتهم (Lamb, 1977a,b) . كما اتضح من التقارير التى أوردها الآباء أنهم يقضون وقتًا في اللعب مع أطفالهم البنين من ذوى الترتيب الميلادى الأول يزيد عن الوقت الذى يقضونه في اللعب مع بناتهم من ذوات نفس الترتيب الميلادى بحوالى نصف ساعة يوميًا (Kotelchuck, 1976) . وحتى بين البدو الرحل فإن الآباء يقضون مع أطفالهم البنين وقتًا أطول مما يقضونه مع البنات (West & Konner, 1976) . كما يقوم الآباء بالتمييز في معاملتهم لكل من البنين والبنات من أطفالهم الرضع والأطفال الأكبر سنًا أكثر مما تفعل الأمهات (Lamb, 1976e, 1977b) ، وهو ما يؤكد فاجوت (1974) Fagot أثر مقابلاته التى أجراها مع الآباء والأمهات حيث يرى أن والدى البنين يتعدان أن هناك دورًا خاصًا للآب يجب أن يلعبه مع أطفاله البنين كأن

يكون شريكًا لهم في اللعب أو أن يمثل نموذجًا للدور بالنسبة لهم ، في حين لا يرى والدي البنات أن هناك أدوارًا مختلفة لكل من الآباء والأمهات .

ويقوم الآباء في واقع الأمر منذ وقت مبكر في حياة أطفالهم البنين بجعل أنفسهم ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهؤلاء البنين . وعلى الرغم من أننا قد وجدنا أن كلاً من الآباء والأمهات يتعاملون مع أطفالهم الرضع من الجنسين بطريقة مشابهة في المرحلة الأولى من دراستنا الطولية التي قمنا بإجرائها (Lamb, 1977c) فقد وجدنا تغييرًا واضحًا في معاملتهما لهم منذ وقت مبكر في العام الثاني من أعمارهم (Lamb, 1977a,b) فبدأ الآباء يقومون بتوجيه السلوك الاجتماعي لأطفالهم البنين بدرجة تفوق ما يفعلونه مع البنات مما كان له أثره في ظهور الفروق بين الجنسين في سلوك هؤلاء الرضع . وكما لاحظنا من قبل بدأ البنون في تركيز أنماط سلوكهم الارتباطي الدالة على التعلق على آبائهم خلال العام الثاني من أعمارهم ، بينما استمرت البنات في عدم إظهارهن تفضيل ثابت لأي من الوالدين . وبذلك فإن الآباء يسلكون بطريقة تعمل على تشجيع أطفالهم البنين على إقامة علاقات معهم ، وقد يساهم هذا السلوك في نمو هويتهم الجنسية وتوجه الدور الجنسي (Lamb, 1977b) .

وعلاوة على ذلك فإن ميل الآباء والأمهات إلى السلوك بطريقة تميز بين الجنسين من الأطفال قد يسهل من تأثير الأب على نمو هويتهم الجنسية . إلا أنه لا يوجد في الواقع تأكيد حقيقي لهذا الافتراض . بيد أن التأييد الدقيق لذلك يأتي من مصدرين ، يتمثل أولهما فيما يراه موني Money من أنه يجب أن يتم إرساء دعائم الهوية الجنسية للطفل خلال أول عامين أو ثلاثة من حياته إذا ما أردنا لها أن تتكون بشكل ثابت (Money & Ehrhardt, 1972) . أما ثانيهما فيتمثل في ذلك الدليل الذي يؤكد على أنه من الأكثر احتمالاً بالنسبة لغياب الأب أن يؤثر سلباً على نمو ذكورة البنين إذا ما بدأ هذا الغياب في وقت مبكر من حياة الولد (Lamb, 1976e; Biller, 1971, 1974; Hetherington & Deur, 1971) . ومع ذلك فإن عدم كفاية هذه البيانات يؤكد على حاجتنا لإجراء مزيد من الدراسات في هذا الجانب . وإضافة إلى ذلك فنحن لا نعلم على وجه التحديد ما إذا كان الأب يؤثر على نمو الأنوثة بالنسبة لابنته الأصغر سنًا أم لا ، وإذا كان له تأثيره في هذا الصدد فنحن لا نعلم بالتحديد أيضًا كيف يتم ذلك (Lamb, et al. 1979) .

ومن ناحية أخرى فإن العديد من الدراسات الحديثة نسبياً قد قامت بتناول أثر الأب على النمو المعرفي لأطفاله ونمو دافعتهم وذلك بدلاً من تناول أثره على نمو دورهم الجنسي . وقد يرجع ذلك جزئياً إلى أثر تفاعل الأم مع طفلها الرضيع على نموه المعرفي (Stevenson & Lamb, 1981) . كما قد يرجع جزئياً أيضاً إلى أن البنين الرضع الذين يغيب عنهم آباؤهم يقلون في كفاءتهم المعرفية عن أقرانهم الذين تتم تنشئتهم بين آباءهم وأمهاتهم أى في تلك الأسر التي لا يغيب عنها الأب (Pedersen, et al. 1979) . ونظراً لأن بيدرسين وآخرين Pedersen, et al. لم يجدوا أى فروق دالة بين الأمهات المتزوجات وغير المتزوجات في سلوكهن تجاه أطفالهن فإنهم يرون أن التفاعل المباشر للأب مع طفله الذكر هو الذى يؤثر بشكل دال على نمو ذلك الطفل في العديد من المجالات كالاستجابة الاجتماعية ، ونمو السلوك الدائرى الثانوى أى ردود الفعل الدائرية الثانوية^(*) ، وتفضيل المصادر الغريبة للإثارة .

ولا يمكن أن يرجع السبب في ذلك إلى أن الأطفال الرضع الذين يغيب عنهم آباؤهم تنقصهم مصادر الإثارة حيث نجد أن متوسط عدد أفراد الأسرة في تلك الأسر التي يغيب عنها الأب لا يختلف عن مثيله في الأسر التي لا يغيب عنها ، ولكن عند إجراء المقارنة بين الأفراد الذين يفترض أنهم يمثلون مصادر إثارة بالنسبة للطفل يتضح أن للأب تأثيره الذين يختلف نوعياً عن تأثير غيره من الراشدين . وهو ما يتفق مع ما يراه واكس وآخرون (Wachs, et al., 1971) من أن زيادة انغماس الأب في حياة الطفل يرتبط بتحسين أداء ذلك الطفل على مقاييس أو زجريز وهانت Uzgiris - Hunt Scales إلا أنه مع ذلك لا يبدو أن غياب الأب يؤثر على نمو البنات .

وفي دراستها التي تقوم على ملاحظة الأطفال الرضع الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر شهراً وثلاثين شهراً وجدت كلارك - ستوارت (Clarke - Stewart, 1978) أن الكفاءة العقلية للطفل ترتبط أيضاً بمقاييس الإثارة التي تقدمها له الأم سواء كانت هذه

(*) لمزيد من المعلومات حول ردود الفعل الدائرية الثانوية عند الطفل راجع كتابنا «النمو العقلي للطفل» (المترجم) .

الإثارة مادية أو لفظية ، كما ترتبط أيضًا بمقاييس مدى الإسراع بالنمو العقلي ، والتعبيرية إضافة إلى ارتباطها بمقاييس مدى انغماس الأب في اللعب معه ، وتقديراته الإيجابية للأطفال ، وكم الوقت الذي يقضيه في التفاعل معه ، ومدى تطلعات الأب لاستقلالية الرضيع . ومع ذلك فإن فحص أنماط الارتباطات التي يتم الحصول عليها مع مرور الوقت توضح أن الأمهات يؤثرن على نمو أطفالهن وهو ما يؤثر بدوره على سلوك الآباء ، بمعنى أن سلوك الأب يعتبر نتيجة للفروق الفردية في سلوك الأطفال وليس عاملاً على هذه الفروق . وتوضح هذه النتائج تلك الفكرة التي سنعرض لها في القسم التالي من هذا الفصل والتي ترى أن الطفل ينمو في إطار نسق أسرى يقوم كل طرف فيه بالتأثير في غيره والتأثر به ، وأن نمط التأثيرات لا يسير دائماً وبشكل مباشر من الوالدين إلى الطفل . إلا أن العينة التي أجرت عليها كلارك - ستewart Clarke - دراستها هذه كانت صغيرة جداً خاصة للقيام بأنماط التحليلات التي تم إجراؤها ، وهو ما يستوجب التعامل بحذر مع تلك النتائج التي توصلت إليها حتى يتم التحقق منها عن طريق إجراء دراسات أخرى تالية .

وتقوم بعض الافتراضات التي تتعلق بتأثير الأب بالتركيز على الفروق الخاصة أو النوعية بين أساليب كل من الأب والأم وذلك بدرجة أقل من تركيزها على حقيقة أنها يختلفان عن بعضهما البعض في العديد من الأمور . فقد يكون من السهل بالنسبة للأطفال الرضع في الشهور الأولى من حياتهم على سبيل المثال أن يتعلموا القيام بالتعرف على السمات المميزة لأحد الوالدين وإدراكها عندما يتعرضون بشكل مستمر نسبياً لشخص آخر - الوالد الآخر - يختلف عن هذا الوالد أو ذاك بصورة جلية . وعلاوة على ذلك فإنه من المحتمل أن يطور الأطفال الرضع توقعات مختلفة من كلا الوالدين نظراً لأن كلا منهما يمثل أنماطاً مختلفة من التفاعل معهم (Lamb, 1981) مما يعمل بالتالي على زيادة وعيهم بأساليب اجتماعية مختلفة ، وربما يسهل حساسيتهم الإدراكية لمثل هذه الفروق الدقيقة ، وهو ما قد يساهم في نمو كفاءتهم الاجتماعية إذ وجد بيدرسين وآخرون (Pedersen, et al. ١٩٧٩) أن مدى انغماس الأب في حياة طفله الرضيع كما تراه الأم يرتبط إيجاباً بالاستجابية الاجتماعية للأطفال الرضع الذين يبلغون الشهر الخامس من العمر . وسوف نجد إذا ما نظرنا لذلك بمنظور مختلف تماماً أن علماء التحليل النفسي

الذين تبعوا خطوات مرجريت ماهر (Mahler, 1968) وماهر وجوزلاينر (Mahler & Gosliner, 1955) يرون أن الأب يعمل على انتزاع الطفل الرضيع وتحليصه من برائن تلك العلاقة التكافلية التي يقيمها مع الأم (Abelin, 1975, 1980).

وأخيرًا يجب أن نضع في اعتبارنا من جديد الدلالة البنائية للحساسية الوالدية تجاه الرضيع حيث هناك أدلة تؤكد على أن حساسية الأم تجاه الرضيع تحدد ثبات ورسوخ العلاقة بينها وبينه (Ainsworth, et al., 1978). ويحدد مدى رسوخ هذه العلاقة كيفية تصرف الطفل فيما بعد في مواقف حل المشكلات، وكيفية تصرفه مع جماعة الأقران (e.g. Matas, et al., 1978, Waters, et al., 1979). كما يعمل أيضًا على تحديد جوانب أخرى من تلك التي تشكل في مجملها شخصية الطفل المستقبلية (Arend, et al., 1979). ومع ذلك فليست هناك للآن دراسات تناولت مدى حساسية الأب تجاه الرضيع وأثرها على ثبات ورسوخ العلاقة بينهما. إلا أن هناك دراستين قد أوضحتا أن العديد من الأطفال الرضع يقيمون علاقات ثابتة وراسخة مع أحد الوالدين وأخرى غير ثابتة أو راسخة مع الوالد الآخر، وهذا يعنى أن ثبات العلاقة التي يقيمها الطفل مع أحد الوالدين ورسوخها يتحدد بشكل مستقل عن تلك التي يقيمها مع الوالد الآخر استنادًا على حساسية هذا الوالد أو ذاك تجاهه (Lamb, 1978b; Main & Weston, 1982). ومن ناحية أخرى فقد وجد ماين ووستون (Main & Weston, 1982) أن ثبات علاقة الطفل الرضيع مع كلا الوالدين ورسوخها يؤثر على استجاباته تجاه شخص غريب غير مألوف بالنسبة له. ولكن لم يكن من الممكن تحديد أى من هاتين العلاقتين لها التأثير الأكبر في هذا الصدد حيث كانت الجلسة التي جمعت بين الرضيع والشخص الغريب تحدث في نفس الوقت الذي يتم فيه تقييم علاقة الرضيع بأمه وذلك قبل ستة أشهر من تقييم علاقته بأبيه. ومع ذلك يبدو أنه من المعتقد أن علاقة الرضيع بالشخص الذي يعتبر هو القائم الأساسى على العناية به هي الأكثر تأثيرًا في ذلك، وأن الطفل الذي يقيم علاقة واحدة على الأقل تتسم بالثبات والرسوخ يكون في وضع أفضل من ذلك الطفل الذي لا يقيم أى علاقة ثابتة أو راسخة. إلا أننا إذا ما أردنا أن نفهم الكيفية التي يمكن بها لتلك العلاقات التي يقيمها الطفل مع والديه أن تؤثر على مستوى نموه فإنه لا يكفينا

أن نقوم بتقييم سلوك أحد الوالدين فقط أو تقييم طبيعة العلاقة التي يقيمها الطفل معه حيث لا تنشأ علاقة الطفل بوالديه في فراغ، وبالتالي لا يمكننا أن نفهم آثارها المختلفة دون أن نضع في اعتبارنا تلك المصادر الهامة الأخرى التي تعمل على حدوث مثل هذا التأثير .

الآثار المباشرة وغير المباشرة :

هناك تأثيرات متعددة تعمل على نمو الرضيع تعود مصادرها إلى الأب أو الأم أو الأخوة أو إلى الجانب البيولوجي على سبيل المثال . كما أن هناك العديد من التأثيرات غير المباشرة التي تعمل مصادرها من خلال وجودها في بعض الأساليب المعقدة التي يتعرض لها الرضيع ، أو تلك الشبكات الاجتماعية المعقدة التي يوجد فيها (Belsky, 1981). ووفقاً لما يراه لويس ووينروب (Lewis & Weinraub ١٩٧٦) فإن غالبية آثار الأب على نمو الرضيع تحدث بشكل غير مباشر وذلك من خلال أثر الأب على الأم . وعلى الرغم من أنه لم يتم التحقق من هذا الافتراض بعد فإن هناك دراسات عديدة قد كشفت عن أن مثل هذه التأثيرات غير المباشرة لها في واقع الأمر مغزاها وأهميتها ، فيرى بيدرسين وآخرون (Pedersen, et al. ١٩٧٧) على سبيل المثال أنه يمكن التنبؤ بالتأثير الكيفي لتفاعل الوالد مع الطفل الرضيع من خلال تلك المقاييس التي تقوم على ملاحظة وتسجيل النقد المتبادل الذي يسود علاقة الوالدين ببعضهما . ومع ذلك فلا توجد هناك علاقات دالة بين المقاييس التي تتناول المشاعر الإيجابية في علاقة الوالدين ببعضهما وبين تلك العلاقات التي يقيمها الوالد مع الطفل . وعلى النقيض من ذلك يرى برايس (Price ١٩٧٧) أن قدرة الأم على إسعاد أطفالها الرضع وعلى الإغداق عليهم بالحنان ترتبط بنوعية العلاقات الزوجية التي تخبرها ، وترى ميند وآخرون (Minde, et al. ١٩٧٩) أنه يمكن التنبؤ بتكرار زيارات الأم لطفلها الرضيع المبسر الذي تم حجزه بالمستشفى من خلال نوعية العلاقات الزوجية السائدة . كما يرى بيدرسين وآخرون (Pedersen, et al. ١٩٧٢) أن الصراعات الزوجية تؤدي إلى تكوين علاقات غير مشبعة بين الوالد والطفل ، وهو ما يتفق بطبيعة الحال مع ما يراه روتر (Rutter ١٩٧٢ ، ١٩٧٩) من أن الصراعات الزوجية لها آثارها الضارة والسلبية على النمو الاجتماعي الانفعالي للطفل وذلك بشكل يفوق آثار الانفصال الذي قد يحدث بين الوالد والطفل أو آثار غياب الأب عنه . ويرى برونسون (Bronson ١٩٦٦) أن انخفاض

درجة التوافق الزوجي وزيادة العدائية أو اللامبالاة بين الزوجين يؤدي إلى حدوث أنماط انفجارية للتعبيرات الانفعالية بين الأطفال بالمرحلة الابتدائية .

وقد قام الباحثون من خلال دراساتهم التجريبية فقط بتناول أثر وجود أحد الوالدين في نفس الموقف على التفاعل بين الوالد الآخر وبين الطفل الرضيع ، واتضح أن وجود أحد الوالدين في ذات الموقف يؤدي بوجه عام إلى الإقلال من حدوث التفاعل بين الوالد الآخر وبين الطفل سواء كان هذا التفاعل يحدث في المنزل (Blesky, 1979; Clarke - Stewart, 1978; Pedersen, et al. 1980) أو من خلال مواقف مخطط لها في المعمل (Lamb, 1976a.f, 1977a, 1978a, 1979). كما اتضح أيضًا وجود أثر مشابه لذلك في الدراسات التي تناولت السلوك الأسرى بشكله الطبيعي في الأماكن العامة (Rosenblatt, 1974; Cleaves & Rosenblatt, 1977) وفي الدراسات التي تناولت أحاديث الآباء والأمهات لأطفالهم الرضع (Golinkoff & Ames, 1979). ويرى لويس وكرتيزبرج (Lewis & Kreitzberg ١٩٧٩) أن آباء وأمهات الأطفال ذوي الترتيب الميلاذي الأول يتحدثون إليهم أكثر مما يفعل أقرانهم مع أطفالهم ذوي الترتيب الميلاذي الأخير ، وربما يرجع ذلك من وجهة نظرهما إلى أن الأخوة الآخرين كانوا يتواجدون في الغالب أثناء الملاحظات . وكما يرى باركي وتنسلي Parke & Tinsley فإن الآثار التي يمكن ملاحظتها في الثلاثية الأسرية التي تضم الأب والأم والوليد الجديد تبدو مختلفة عن ذلك إلى حد ما ، وهو ما عرضنا له بالتفصيل في الفصل السابق .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات قد قدمت أداة يمكن بواسطتها دراسة بعض جوانب المعرفة الاجتماعية للرضع (Lamb, 1979) وقدمت أساليبًا منهجية يمكن استخدامها في الدراسات التي تتناول العلاقات التي تنشأ بين الوالد والطفل فإنها مع هذا لا تكشف سوى عن القليل فيما يتعلق بالآثار غير المباشرة للوالد على نمو الرضيع . ويستثنى من ذلك تلك الدراسة التي أجراها لايتون (Lyttون ١٩٧٩) والتي كشفت من خلالها عن أن وجود الأب يزيد من احتمال قيام الأم بالاستجابة الإيجابية لما يظهره طفلها المتحرك من مطاوعة وإذعان ، ويقلل من عدد المحاولات التي تبذلها كي تتمكن من فرض سيطرتها على الموقف والطفل . كما أنه يزيد أيضًا من فاعليتها كقائم أساسي على تهذيب الطفل .

ويرى باركى وآخرون (١٩٧٩) Parke, et al. أن هناك عددًا من الأساليب والصور تتخذها تلك الآثار غير المباشرة ، وهذا بطبيعة الحال يجعل من الصعب علينا اكتشاف أنماط التأثير داخل الأسرة . ولا يكفي أن نقوم بحساب الارتباطات بين سمات أعضاء أسرة الفرد وطبيعة العلاقات التي تنشأ فيها بينهم في سبيل ذلك . وبدلاً من هذا يجب على الباحثين القيام بتطوير أطر نظرية يشتقون منها فروضاً دقيقة محكمة يمكن إخضاعها للفحص الإمبريقي ، وهو الطريق الذي بدأه باركى وآخرون (١٩٧٩) Parke, et al. وبلسكى (١٩٨١) Belsky .

ويرى باولبي (١٩٥١) Bowlby عند تناوله للعلاقة بين الأم والرضيع أن أحد الأساليب التي يقوم الآباء بمقتضاها بالتأثير على نمو أطفالهم بشكل غير مباشر على الرغم من محدودية فرص التفاعل التي يتيحها هذا الأسلوب يتمثل في قيام الأب بمساعدة الأم على تكريس جهدها للعناية بطفلها الرضيع أو المتحرك وذلك عن طريق إحاطتها بالحب والصحة إذ أنه بإحاطتها بهذا الحب وتلك الصحة يساندها انفعاليًا ويساعدها في الإبقاء على مزاج منسجم يدل على الرضا وسط ذلك الجو الذي يزدهر فيه الرضيع . وإلى جانب قيام الأب بتقديم المساندة الانفعالية للأم فإنه يقوم أيضًا بتقديم المساندة الاقتصادية لها حيث يعتبر هو الممول الأساسي والرئيسي للأسرة .

وقد تناول العديد من الباحثين أهمية المساندة التي يقدمها الأب للأم ، وعلى الرغم من ذلك فإن النتائج المتاحة أمامنا والتي تدور حول هذا المحور هي نتائج ارتباطية في طبيعتها . فيرى هيننبورن ولوجان (١٩٧٥) Hennenborn & Logan وأندرسون وستاندلي (١٩٧٦) Anderson & Standley أن الأمهات اللائي كان يقوم أزواجهن بتقديم المساندة لهن أثناء العمل كن أقل توترًا . ووجد فيرنج (١٩٧٦) Feiring أن السيدات اللائي كانت تقدم لهن المساندة من آباء ثانويين كالقرناء أو الأصدقاء أو الأجداد كن يستجبن بشكل أكثر حساسية لأطفالهن الرضع . ويرى لام Lamb وزملاؤه (١٩٧٩، ١٩٨٠) أن المساندة الأبوية والأسرية التي تقدم للأم تعتبر محددًا هامًا لحساسيتها تجاه الرضيع في وقتنا الراهن وخصوصًا عندما تشعر الأم الشابة بالصراع بين طموحاتها كأم وبين تطلعاتها المهنية .

وفقًا لما يراه بيدرسين (١٩٧٥) Pedersen كانت الأمهات اللاتي يقوم أزواجهن بتقييم مهاراتهم كأمهات بشكل إيجابي أكثر فاعلية في إطعام أطفالهن الرضع الذين يبلغون أربعة أشهر من العمر وذلك على الرغم من صعوبة تحديد اتجاه التأثير في تلك الحالة . كما وجد بلسكى (١٩٨٠) Belsky ارتباطًا دالًا بين تكرار تعليقات الوالدين بخصوص الطفل الرضيع ومقدار تفاعل الأب معه ، إلى جانب وجوده لارتباط دال بين تكرار التعليقات التي لا ترتبط بالرضيع وبين تكرار التجاهل لذلك الرضيع . أما كلارك - ستوارت Clarke - Stewart فقد وجدت مجموعة من العلاقات تعتبر هي الأكثر تعقيدًا والأكثر إثارة للاهتمام في الوقت ذاته حيث وجدت أن سلوك الأم يسهل من حدوث النمو المعرفي للطفل ، وهذا بالتالي يثير الأب لكي يصبح أكثر انغماسًا في حياة ذلك الطفل .

ويصاحب زيادة الوعي بالسطح البيئي لعلاقات الزوجين وعلاقات الوالد بالطفل إدراك للحقيقة التي ترى أن كلاً من الوالدين والطفل الرضيع والعلاقات الزوجية ينمو ويتغير مع مرور الوقت . وقد تؤثر التغيرات التي تطرأ على أي فرد أو علاقة على كل الأشخاص الآخرين أو العلاقات الأخرى . وبالتالي توجد شبكة معقدة من التأثيرات والعلاقات البيئية أي المتبادلة داخل الأسرة وليس مجرد تأثيرات تأخذ نمطًا أحادي الاتجاه يأخذ فيه التأثير مسارًا من الوالد إلى الطفل .

وقد حاول عدد قليل من الباحثين القيام بتقييم الوالدية ونمو الرضيع وكيف الحياة الزوجية في آن واحد ، ومنهم من يعمل في هذا المجال حاليًا أمثال باركي Parke وبيدرسین Pedersen وبلسكى Belsky ولام Lamb . ومن الجدير بالذكر أن العمل في هذا المجال يتطلب إتباع إجراءات منهجية ومفاهيمية معينة إضافة إلى مستويات متعددة للتحليل . فإذا ما أردنا على سبيل المثال أن نفسر السبب الذي يتصرف الوالدان من أجله بطريقة ما فإن علينا أن نعرف على اتجاهاتهم وإدراكاتهم ، وهذا لا يحدث إلا عن طريق إجراء المقابلات معهم . ويجب إتباع أسلوب الملاحظة وإجراء المقابلات على أن تكمل نتائج كل منهما الآخر وتدعمها . كما لا يجب أن ننظر إليهما على أنها بديلان لبعضهما البعض . وتعتبر تلك الدراسات التي أجراها باركي وتنسلي Parke & Tinsley والتي أجراها بيدرسين Pedersen بمثابة دراسات نموذجية يجب الاقتداء بها في دراستنا لهذا المجال .

يرى لام (١٩٧٥ - أ) Lamb أن الأب لم يعد هو ذلك المساهم المجهول في نمو الطفل ، ويرجع ذلك إلى أن العلاقات التي تنشأ بين الأب والرضيع قد خضعت للدراسة الآن على نطاق واسع وبشكل دقيق . ومع ذلك فلا يزال هناك عدد من الأسئلة بلا إجابة محددة ، إلا أنه قد تم على الأقل إزالة الغموض الذي كان يكتنف بعض الأمور التي تتعلق بهذا المجال ، ومنها على سبيل المثال ما يلي :

١ - أن الأطفال الرضع يقومون بتكوين الارتباطات مع كلا الوالدين في نفس الوقت تقريباً خلال العام الأول من حياتهم .

٢ - أن هناك سلماً هرمياً للتفضيلات بين الأشخاص الذين يقيم الأطفال الرضع معهم الارتباطات حيث يفضل معظم الرضع أمهاتهم على آبائهم . ومن المحتمل أن تخضع هذه التفضيلات هي الأخرى للنمو لأن الأم كانت هي القائم الأساسي على العناية بهم في تلك الدراسات التي تم إجراؤها . وعندما يشارك الأب في مسؤوليات العناية بالطفل أو يصبح هو القائم الأساسي على العناية به فإن أنماط التفضيلات هذه قد تختفى تماماً أو قد تنعكس . إلا أن هذا المجال لا يزال في حاجة إلى إجراء مزيد من الدراسات .

٣ - أن الأدوار الوالدية التقليدية تؤثر على أنماط التفاعل مع الرضيع ، إضافة إلى تفضيلات ذلك الرضيع لأحد الوالدين . وتوضح العديد من الدراسات التي تقوم على الملاحظة أن الأب يرتبط مع الطفل الرضيع بالتفاعل الاجتماعي والتفاعل الذي يقوم على اللعب معه والذي غالباً ما يثيره بشدة ، بينما ترتبط الأم بالعناية به . وتعكس هذه الأساليب الاجتماعية أدواراً جنسية تقليدية منمطة ، كما أنها من المفترض أن تلعب دوراً هاماً في النمو المبكر للدور الجنسي للطفل وهويته الجنسية . إلا أننا لا نعلم للآن على وجه التحديد ما إذا كانت تلك الأساليب المميزة للأب ومثيلاتها التي تميز الأم تعتبر نتائجاً لتأثيرات اجتماعية معينة أم أنها تعتبر بمثابة أساليب محددة بيولوجياً .

وإذا كنا نعلم أن كلاً من الآباء والأمهات قادرين على السلوك بحساسية وسرعة استجابة في تفاعلها مع أطفالهما الرضع ، وأنه لا يوجد هناك دليل على أن الأم لديها الاستعداد البيولوجي الذي يمكنها من أن تصبح هي الوالد الأفضل قياساً بالآب ، ويستثنى من ذلك إفرازها للبن ، فإن القواعد الاجتماعية وليس الميراث البيولوجي هي المسئولة عن ذلك التقسيم التقليدي للمسؤوليات الوالدية .

وفي هذا الإطار يجب أن تقوم الدراسات المستقبلية بالتركيز على تحديد الكيفية التي تؤثر بها أنماط التفاعل داخل النسق الأسري على مضمار نمو الرضيع . ومن الواضح أن أسلوب تفاعل أى من الوالدين مع الرضيع يتحدد عن طريق شخصية هذا الوالد أو ذاك ، وعلاقته بالوالد الآخر ، والسمات المميزة للرضيع . ولكننا مع ذلك لا نعلم بالتحديد كيف يمكن لهذا المؤثرات المختلفة أن تكمل وتدعم بعضها البعض . وعلى ذلك سيكون من الصعب أن نكشف عن شبكة التأثيرات المباشرة وغير المباشرة داخل الأسرة على الرغم من أنه سيكون من الأكثر فائدة أن نحاول القيام بذلك عن أن نحاول تحديد الإسهامات المستقلة لكل من الأم والآب على نمو الرضيع .

* * *

مراجع الفصل الثاني عشر

- Abelin, E. L. (1971). The role of the father in the separation-individuation process. In J. B. McDevitt & C. F. Settlege (Eds.), *Separation-Individuation*. New York: International University Press.
- Abelin, E. L. (1975). Some further observations and comments on the earliest role of the father. *International Journal of Psychoanalysis*, 56, 293-302.
- Abelin, E. L. (1980). Triangulation, the role of the father, and the origins of core gender identity during the rapprochement sub phase. In R. Lax A. Bur land, & S. Bach (Eds.), *Rapprochement*. New York :Jason Aronson.
- Abelin, E- L. (Manuscript in preparation). Self image, gender identity and early triangulations.
- Ainsworth, M. D.S. (1973). The development of infant-mother attachment. In B. M. Caldwell & H. N. Ricciuti (Eds.), *Review of child development research*, Vol. 3. Chicago: University of Chicago Press.
- Ainsworth, M. D. S., Bell, S. M., & Stayton, D. J. (1974). Infant mother attachment and social development : Socialization as a product of reciprocal responsiveness to signals. In M. P. M. Richards (Ed.), *The integration of a child into a social world*. Cambridge, England : Cambridge University Press.
- Ainworth, M. D. S., Blehar, M. C., Waters, E., & Wall, S. (1978). *Patterns of attachment*. Hillsdale, N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Ainsworth, M. D. S., & Witting, B. A. (1969). Attachment and exploratory behavior of one-year-olds in a strange situation . In B. M. Foss (Ed.), *Detemminats of infant behavior*, Vol. 4. London : Methuen.
- Anderson, R. J., & Standley, K. (1976). A methodology for observation of the childbirth environment. Paper presented to the American Psychological Association, Washington. D. C., September.
- Arnold, R. Bulates, R., Buripakdi, C., Ching, B. J., Fawcett, J. T., Iritani. T., Lee, S. J, & Wv, T. S. (1975). *The Value of Children Introduction and Comparative analysis* . Honolulu : East West Population Institute.
- Ban, P., & Lewis, M. (1974). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the one-year-old. *Merrill-Palmer Quarterly*, 20, 195-205.

- Belsky , J. (1979). Mother-father - infant interaction :A naturalistic observational study *Developmental Psychology*, 15,601-607.
- Belsky, J. (1980). A family analysis of parental influence on infant exploratory competence. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship: Observational studies in a family setting*. New York: Praeger.
- Belsky, J. (1981). Early human experience :A family perspective *Developmental Psychology*, 17, 3-19.
- Berlyne, D. E. (1969). Laughter, humor, and play. In G. L. Lindsey, & E. Aronson (Eds.), *Handbook of social psychology*. Reading, mass Addison-Wesley.
- Biller, H. B. (1971). *Father, child, and sex role*. Lexington, Mass: Heath.
- Biller, H. R. (1974). *Paternal deprivation : Family, school, sexuality and society*. Lexington, Mass. :Heath.
- Blount, G. B., & Padgug, E. J. (1976). Mother and father speech : Distribution of parental speech features in English .. and Spanish. *Paper and Reports on Child Language Development*, 12, 47-59.
- Bowlby, J (1951). *Maternal care and menial health*. Geneva : WHO.
- Bowlby, J. (1969). *Attachment and loss*, Vol. 1. *Attachment*. New York : Basic Books.
- Brazelton, T. B., Yogman, M. W., Als, H., & Tronick, E. (1979). The infant as a focus for family reciprocity. In M. Lewis. & L. A Rosenblum (Eds.), *The child and its family*. New York: Plenum.
- Bronson, W. C. (1966). Early antecedents of emotional experessiveness and reactivity control. *Child Development*, 37, 793-810.
- Brooks-Gun, J., & Lewis, M. (1979). Why Mama and Papa? "The development of social labels *Child Development*, 50, 1203-1206.
- Chamove, A., Harlow, H. F., & Mtichel, G. D. (1967). Sex differences in the infant-directed behavior of preadolescent rhesus monkeys. *Child Development*, 38, 329-335.
- Clarke - Stewart, K. A. (1973). Interactions between mothers and their young children : Characteristics and consequences. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 38, Serial No. 153.
- Clarke - Stewart, K. A. (1978). And daddy makes three : The father's impact on mother and young child. *Child Development*, 49, 466-478.
- Clarke-Stewart, K. A. (1980). The father's contribution to children's cognitive and social development in early childhood . In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship: Observational studies in family setting*. New York: Praeger.

- Cleaves, W., & Rosenblatt, P. (1977). Intimacy between adults and children in public places. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Cohen, L. J. (1974). The operational definition of human attachment. *Psychological Bulletin*, 81, 207-217.
- Cohen, L. J. & Campos, J. J. (1977). Father, mother, and stranger as elicitors of attachment behaviors in infancy. *Developmental Psychology*, 10, 146-154.
- De Vore, I. (1963). Mother-infant relations in free-ranging baboons. In H. L. Rheingold (Ed.), *Maternal behavior in mammals*. New York : Wiley.
- Easter books, M. A., & Lamb, M. E. (1979). The relationship between quality of infant-mother attachment and infant competence in initial encounters with peers. *Child Development*, 50, 380-387.
- Fagot, B. I (1974). Sex differences in toddler's behavior and parental reaction. *Developmental Psychology*, 10, 554-558.
- Feiring, C. (1976). The preliminary development of a social systems model of early infant-mother attachment. Paper presented to the Eastern Psychological Association, New York, March.
- Feldman, S. S., & Ingham, M. E. (1975). Attachment behavior :A validation study in two age groups. *Child Development*, 46, 319-330.
- Feldman, S.S., & Nash S.C. (1977). The effect of family formation on sex stereotypic behavior : A study of responsiveness to babies. In W. Miller, & L. Newman (Eds.), *The first child and family formation*. Chapel Hill : University of North Carolina Press.
- Feldman, S. S., & Nash, S. C. (1978). Interest in babies during young adulthood. *Child Development*, 49, 617-622.
- Feldman, S.S., Nash S. C., & Cutrona, C. (1977). The influence of age and sex on responsiveness to babies. *Developmental Psychology*, 13, 675-676.
- Field, T. (1978). Interaction behaviors of primary versus secondary caretaker fathers. *Developmental Psychology*, 14, 183-184.
- Frodi, A. M., & Lamb, M. E. (1978). Sex differences in responsiveness to infants A developmental study of psycho physiological and behavioral responses. *Child Development*, 49, 1182-1188.
- Frodi, A. M., Lamb, M. E., Leavitt, L. A., & Donovan, W. L. (1978). Father's and mothers, responses to infant smile: ; and cries. *Infant Behavior and development*, 1, 187-198.

- Frodi, A. M., Lamb, M. E., Leavitt, L. A., Donovan, W.L., Neff, C., & Sherry, D. (1978). Fathers' and mothers' responses to the faces and cries of normal and premature infants. *Developmental Psychology*, 14, 490-498.
- Gewirtz, H. B., & Gewirtz, J. L. (1968). Visiting and caretaking patterns for Kibbutz infants : Age and sex trends. *American Journal of Orthopsychiatry*, 38, 427-443.
- Gleason, J. B. (1975). Fathers and other strangers: Men's speech to young children. In D. P. Dato (Ed.), *Language and linguistics*. Washington D. C. :Georgetown University Press.
- Golinkoff, R. M., & Ames, G. J. (1979). A comparison of father's and mothers' speech with their young children. *Child Development*, 50, 28-32.
- Gove, F., Arend, R., & Sroufe, L. A. (1979). Continuity of individual adaptation from infancy to kindergarten. Paper presented to the Society for Research in Child Development, San Francisco, March.
- Greenberg, M., & Morris, N. (1974). Engrossment: The newborn's impact upon the father. *American Journal of Orthopsychiatry*, 44, 520-531.
- Harlow H. F. (1958). The nature of love. *American psychologist*, 13, 673-685.
- Henneborg, W. J., & Cogan, R. (1975). The effect of husband participation in reported pain and the probability of medication during labor and birth. *Journal of Psychosomatic Research*, 19, 215-222.
- Hetherington, E.M., & Deur, J. L. (1971). The effect of father absence on child development. *Young Children*, 26, 233-248.
- Hinde, R. A. (1960). Energy models of motivation. Symposium for the Society of Experimental Biology, 14, 119-213.
- Hoffman, L. W. (1977). Changes in family roles, socialization and sex differences. *American Psychologist*, 32, 644-658.
- Kauffman, A.L. (1977). Mother's and father's verbal interactions with children learning language. Paper presented to the Eastern psychological Association, Boston, April.
- Klaus, M. H., Trause, M. A., & Kennel, J. H. (1975). Human maternal behavior following delivery : Is it species specific? Unpublished manuscript, Case Western Reserve University.
- Kotelchuck, M. (1972). The nature of the child's tie to his father. Unpublished doctoral dissertation, Harvard University.
- Kotelchuck, M. (1975). Father caretaking characteristics and their influence on infant father' interaction. Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.

- Kotelchuck, M. (1976). The infant's relationship to the father : Experimental evidence. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York: Wiley.
- Kotelchuck, M., Zelazo, P. R., Kagan, J. , & Spelke, E. (1975). Infant reactions to parental separations when left with familiar and unfamiliar adults. *Journal of Genetic Psychology*, 126, 255-262.
- Lamb, M. E. (1975). Father : Forgotten contributors to child development. *Human Development*, 18, 245-266(a).
- Lamb, M. E. (1975). Physiological mechanisms in the control of maternal behavior in rats : A review. *Psychological Bulletin*, 82, 104-119(b).
- Lamb, M.E. (1976). Effects of stress and cohort on mother-and father-infant interaction . *Developmental Psychology*, 12, 435-443(a).
- Lamb, M. E. (1976). Interaction between eight-month-old children and their fathers and mothers. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York : Wiley (b).
- Lamb, M. E. (1976). Interactions between two-year-olds and their mothers and father's. *psychological Reports*, 38, 447-450(c)
- Lamb, M. E. (1976). Parent-infant interaction in eight-month-olds . *Child Psychiatry and Human Development*, 7, 56-63(d).
- Lamb, M E. (1976). The role of the father: An overview. In M. E. Lamb (Ed.), The role of the father in child development. New York :Wiley, (e).
- Lamb, M. E. (1976). Twelve-month-olds and their parents : Interaction in a laboratory playroom. *Developmental Psychology*, 12, 237-244(f).
- Lamb, . M. E. . (1977). The development of mother - infant and, father-infant attachments in the second year of life. *Developmental Psychology*, 13, 637-648 (a).
- Lamb, M. E. (1977). The development of parental preferences in the first two years of life. *Sex Roles*, 3, 495-497(b).
- Lamb, M. E. (1977). Father-infant and mother-infant interaction in the first year of life. *Child Development*, 48, 167-181(c).
- Lamb, M. E. (1978). Infant social cognition and "second - order" effects. *Infant Behavior and Development*, 1, 1-10(a).
- Lamb, M. E. (1978). Qualitative aspects of mother-and father-infant attachments. *Infant Behavior and Development*, 1, 265-275(b).
- Lamb, M. E. (1978). Social interaction in infancy and the development of personality. In M. E.Lamb (Ed.), Social and personality development. New York :Holt. Rinehart, & Winston. (c).

- Lamb, M. E. (1979). The effects of the social context on dyadic social interaction. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.). *Social interaction analysis : Methodological issues*. Madison: University of Wisconsin Press.
- Lamb, M. E. (1979). Separation and reunion behaviors as criteria of attachment to mothers and fathers. *Early Human Development*, 3/4, 329-339.
- Lamb, M. E. (1981). The development of social expectations in the first year of life. in M. E. Lamb & L. R. Sherrod (Eds.), *Infant social cognition : Empirical and theoretical considerations*. Hillsdale N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E., Chase-Lansdale, L., & Owen, M. T. (1979). The changing American family and its implications for infant social development :The sample case of maternal employment. In M. Lewis, & L. A. Rosenblum (Eds.), *The child and its family*. New York: Plenum.
- Lamb, M. E., & Easterbrooks, M. A. (1981). Individual differences in parental sensitivity Origins, Components and consequences. In M. E. Lamb, & L. R. Sherrod (Eds.), *Infant social cognition : Empirical and theoretical considerations*. Hillsdale N.J.: Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E., Frodi, A. M., Hwang, C.P., & Frodi, M. (1982). Varying degrees of paternal involvement in infant care : Attitudinal and behavior correlates . In M. E. Lamb (Ed.), *Nontraditional families :Parenting and child development*. Hillsdale N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E., & Goldberg, W. A. (1982). The father-child relationship : A synthesis of biological, evolutionary and social perspectives. In L. W. Hoffman & R. Gandelman (Eds.), *Perspectives on parental behavior*. Hillsdale N. J. : Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E., & Lamb, I. E. (1976). The nature and importance of the father-infant relationship. *Family Coordinator*, 25, 379-385.
- Lamb, M. E., & Sherrod, L. R. (Eds.) (1981). *Infant social cognition : Empirical and theoretical considerations*. Hillsdale N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.
- Lamb, M. E., & Stevenson, M. B. (1978). Father-infant relationships :Their nature and importance. *Youth and Society*, 9, 277-298.
- Lamb, M. E., Owen, M. T., & Chase-Lansdale, L. (1979). The father-daughter relationship: Past, present and future . In C. B. Kopp & M. Kirkpatrick (Eds.), *Being a female : Perspectives on development*. New York: Plenum.

- Lamb, M. E. Owen, M. T., & Chase - Lansdale, L. (1980). The working mother in the intact family : A process fiodle. In R. R. Abidin (Ed.), Handbook of parent education. Springfield, III. : Thomas.
- Lester, B. M. , Kotelchuck, M., Spelke, E., Sellers, M. .T., & Klein, R. E. (1974). Separation protest in Guatemalan infants : Cross-cultural and cognitive findings. *Developmental Psychology*, 10,79-85.
- Lewis, M., & Ban, P. (1971). Stability of attachment behavior : A transformational analysis. Paper presented to the Society for Research in Child Development. Minneapolis, April.
- Levvis, M., & Kretizberg, V. S. (1979). Effects of birth order and spacing on mother-infant interactions. *Developmental Psychology*, 15,617-625.
- Lewis, M, & Weinraub, M. (1974). Sex of parentx sex of child : Socioemotional development. In R. Richart, R. Friedman, & R. Yandle Wiele (Eds.), Sex differences in behavior. New York: Wiley.
- Lewis, M., & Weinraub, M. (1976). The father's role in the infant's social network. In M. E. Lamb (Ed.), The role I of the father in child development. New York : Wiley.
- Lewis, M., Weinraub, M., & Ban, P. (1972). Mothers and fathers, girls and boys : Attachment behavior in the first two years of life. Educational. Testing Service Research Bulletin, Princeton, N. J.
- Lieberman A. F. (1977). Preschoolers' competence with a peer : Relations with attachment and peer experiences. *Child Development*, 48, 1277-1287.
- Lind, R. (1974). Observations after delivery of communications between mother-infant-father. paper presented to the International Congress of Pediatrics , Buenos Aires, October.
- Lynn, D. B., & Cross, A. R. (1974). Parent preference of preschool children. *Journal of Marriage and the Family*, 3b, 555-559.
- Lytton, H. (1979). Disciplinary encounters between young boys and their mothers and fathers : Is there a contingency system ? *Developmental psychology*, 15, 256-268.
- Mahler,M. (1968). On human symbiosis and the vicissitudes of individuation. New York International University Press.
- Mahler, M., & Gosliner, B. J. (1955). On symbiotic child psychosis :Genetic dynamic, and restitute aspects. *The psychoanalytic Study of the Child*, 10, 195-212.

- Main, M., & Weston M. (1981). The independence of infant-mother and infant-father attachment relationships : Security of attachment characterizes relationships, not infants. *Child Development*, 52, .
- Marto~ P. L., & Minde, K. (1980). Paternal and maternal behavior with premature infants. Paper presented to the American Orthopsychiatry Association, Toronto, April.
- Matas, L., Arend, R., & Sroufe, L. A. (1978). Continuity of adaptation in the second year of life. *Child Development*, 49, 547-556.
- Minde, K., Marton, P., Manning, D. & Hines, B. (1979). Some determinates of mother-infant interaction in the premature nursery. *Journal of the Academy of Child Psychiatry*.
- Money, J., & Ehrhardt, H. A. (1972). *Man and woman, boy and girl*. Baltimore : Johns Hopkins University Press.
- Nash~. S. C., & Feldman, S. S. (1981). Sex role and sex-related attributions : Constancy and change across the family life cycle. In M. E. Lamb & A . L. Brown (Eds.), *Advances in developmental psychology*, Vol. 1. Hillsdale, N. J. Lawrence Erlbaum Associates.
- Parke, R. D. (1978). Parent-infant interaction : Progress , paradigms and problems . In G. P. Sackett (Ed.), *Observing behavior*. Baltimore: University Park I Press.
- Parke, R. D. (1979). Perspectives on father-infant interaction. .in J. D. Osofsky (Ed.), *Handbook of infant development*. New York : Wiley.
- Parke, R. D., & O'Leary, S. E. (1976). Father-mother -infant interaction in the newborn period : Some findings, some observations and some unsolved issues. In K. Riegel, & J. Meacham (Eds.), *The developing individual in a chhning world*, Vol. 2. Social and environmental issues. The Hague : Mouton.
- Parke, R. D., O'Leary, S. E., & West, S. (1972). Mother-father- newborn interaction : Effects of maternal medication., labor and sex of infant. *Proceedings of the American Psychological Association.*, 85-86.
- Parke, R. D., Power, T. G., & Gottman, J. (1979). Conceptualizing and quantifying influence patterns in the family triad. In M. E. Lamb, S. J. Suomi, & G. R. Stephenson (Eds.), *Social interaction analysis: Methodological issues*. Madison: University of Wisconsin Press.
- Parke. R. D., & Sawin, D. B. (1975). Infant characteristics and behavior as elicitors of maternal and paternal responsivity in the newborn period. Paper presented to the Society for Research in Child \ Development, Denver, April.

- Parke, R. D., & Sawin, D. B. (1980). The family in early infancy : Social interactional and attitudinal analyses. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship : Observational studies in a family setting*. New York: Praeger.
- Parke, R. D., & Suomi, S. J. (1980). Adult male-infant relationships: Human and nonhuman primate evidence. In K. Immelman., G. Barlow, M. Main, & L. Petrino (Eds.), *Early development in animals and man*. Cambridge, England :Cambridge University Press.
- Pedersen, F. A. (1975). Mother , father, and infant as an interactive system . Paper presented to the American Psychological Association, Chicago, September.
- Pedersen, F. A., Anderson, B., & Cain, R. (1977). An approach to understanding linkages between the parent-infant and spouse relationships Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Pedersen, F. A., Anderson, B., & Cain, R. (1980). Parent-infant and husband-wife interactions observed at age 5 months. In F. A. Pedersen (Ed.), *The father-infant relationship : Observational studies in family setting*. New York: Praeger.
- Pedersen, F. A., Cain, R., & Zaslow, M. (1982). Variation in infant experience associated with alternative family roles. In L. Laosa & I. Sigel (Eds.), *The family as a learning environment*. New York: Plenum.
- Pedersen, F. A., & Robson, K. (1969). Father participation in infancy. *American Journal of Orthopsychiatry*, 39, 466-472.
- Pedersen, F. A., Rubinstein, J. L., & Yarrow, L. J. (1979). Infant development in father-absent families. *Journal of Genetic Psychology*, 135, 51-61.
- Phillips, P., & Parke, R. D. (1979). Father and mother speech to prelinguistic infant. Unpublished manuscript, University of Illinois.
- Power, T. G. , & Parke, R. D. (1979). Toward a taxonomy of father-infant and mother-infant play patterns . Paper presented to the Society for Research in Child Development, San Francisco, March.
- Price, G. (1977). Factors influencing reciprocity in early mother-infant interaction. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Redican, W. K. (1976). Adult male-infant interactions in nonhuman primates. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development* . New York : Wiley.

- Rendina, I., & Dickerscheid, J. D. (1976). Father involvement with first -born infants. *Family Coordinator*, 25, 373-379.
- Rheingold, H. L. (1956). The modification of social responsiveness in institutional babies *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 21, Whole No. 63.
- Richards, M. P. M., Dunn, J. F., & Antonis, B. (1975). Caretaking in the first year of life : The role of fathers' and mothers' social isolation. Unpublished manuscript, Cambridge University.
- Rosenblatt, J. S. (1970). The development of maternal responsiveness in the rat. *American Journal of Orthopsychiatry*, 39, 36-56.
- Rosenblatt, P. C. (1974). Behavior in public places: Comparison of couples accompanied and unaccompanied by children. *Journal of Marriage and the Family*, 36, 750-755.
- Ross, G., Kagan, J., Zelazo, P., & Kotelchuck., M. (1975). Separation protest in infant in home and laboratory . *Developmental Psychology*. 11. 256-257.
- Rutter, M. (1972). *Maternal deprivation reassessed*. Harmondsworth, England: Penguin.
- Rutter, M. (1979). Maternal deprivation 1972-1978: New findings, new concepts, new approaches. *Child Development*, 50,283-305.
- Schaffer, H. R. (1963). Some issues for research in the study of attachment behaviour. In B. M. Foss (Ed.), *Determinates of infant behavior* , Vol. 2. London : Methuen.
- Sheaffer, H. R., & Emerson, P. E. (1964). The development of social attachments in infancy . *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 29, Whole No. 94.
- Spelke, E., Zelazo, P., Kagan, J., & Kotelchuck, M. (1973). Father interaction and separation protest. *Developmental Psychology*, 9, 83-90.
- Stayton, D. J., Ainsworth, M. D.S., & Main, M. B. (1973). Development of separation behavior in the first year of life : Protest, following, and greeting. *Developmental Psychology*, 9, 213-225.
- Wachs, T., Uzgis, I., & Hunt, J. (1971). Cognitive development in infant of different age levels and from different environmental backgrounds. *Merrill-Palmer Quarterly*, 17, 283-317.
- Waters, E., Wippman., J., & Sroufe, L. A. (1979). Attachment, positive affect and competence in the peer group :Two studies m construct validation. *Child Development*, 50, 821-317.

- Weinraub, M., & Frankel, J. (1977). Sex difference in parent-infant interaction during free play, departure, and separation. *Child Development*, 48, 1240-1249.
- Welker, W. I. (1971). Ontogeny of play and exploratory behaviors: A definition of problems and a search for new conceptual relations. In H. Moltz (Ed.), *The ontogeny of vertebrate behavior*. New York : Academic.
- West, M. M., & Konner, M. J. (1976). The role of the father: An anthropological perspective. In M. E. Lamb (Ed.), *The role of the father in child development*. New York: Wiley.
- White, R. W. (1959). Motivation reconsidered : The concept of competence. *Psychological Review*, 66, 297-333.
- Willemsen, E., Flaherty, D., Heaton, C., & Ritchey, G. (1974). Attachment-behavior' of one-year-olds as a function of mother vs father, sex of child, session, and toys. *Genetic Psychology Monographs*, 90, 305-324.
- Yogman, M. J., Dixon S., Tronick E., Als, H., & Braselton, T. B. (1977). The goals and structure of face - to - face interaction between infants and their fathers. Paper presented to the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Zelazo, P. R., Kotelchuck M., Barber, L., & David, J. (1977). Father and sons : An experimental- facilitation of attachment behaviors Paper presented to' the Society for Research in Child Development, New Orleans, March.
- Zucker, E. L., Mitchell, G. D., & Maple, T. (1978). Adult male-offspring play interactions within a captive group of orangutans (*Pongo pygmaeus*). *Primates*, 19, 379-384.

* * *